التربية الإسلامية للطفل والمراهق

اللواء أركان حرب
محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام

التربية الإسلامية

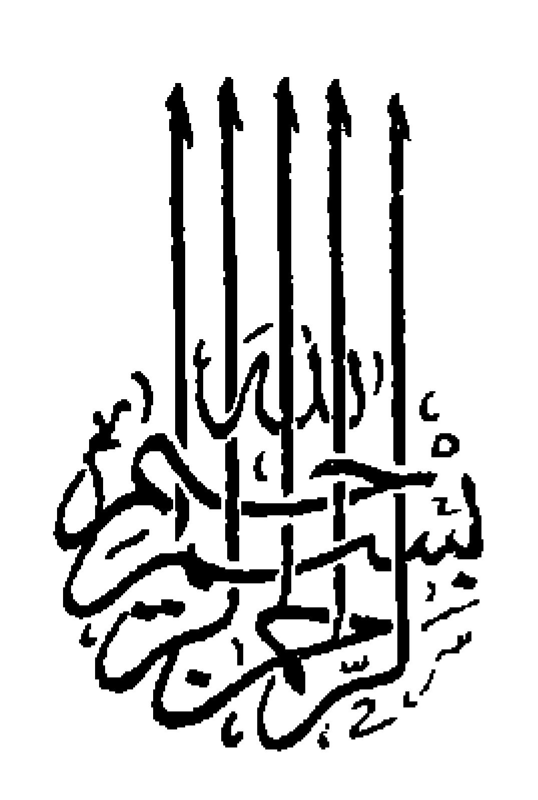
للطفل والمراهق

اللواء أركان حرب

محمد جمال الدين علي محفوظ

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دار الاعتصام



المقدمة

الحمد لله المدبر الحكيم ، الحنان المنان الرحمن الرحيم ، خلقنا وسوانا ، وعلى موائد بره وكرمه ربانا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اصطفاه الله ليبلغ أعظم رسالة ، وجعله تحت حراسته ورعايته حتى كان أفضل قومه ، واستوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده حتى خاطبه الله بقوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (سورة القلم: ٤) ، وحتى حدث هو عن نفسه فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وبعد ...

فليس من شك فى أن الإنسان هو العنصر الحاسم فى بناء أمته والدفاع عنها ، فهو الذى يفكر ويخطط ويعمل وينتج ويصدر القرارات وهو الذى يقاتل ويقود ويحمل السلاح .

وتطبيقا لقاعدة إذا صلح الأساس صلح البناء ، فإن بناء الإنسان الصالح يكون هو الأساس السليم لبناء الأمة وبناء نهضتها وقدراتها الدفاعية .

ولقد أتاحت لى ظروف خدمتى العسكرية التى امتدت إلى ثلث قرن أن أتولى قيادة وتدريب أعداد هائلة لاحصر لها من زهرة

شباب أمتى فى ظروف السلم والحرب على حد سواء ، وبحكم الصلة الوثيقة بين القائد ورجاله التى تعد من خصائص الحياة العسكرية ، ونتيجة لاهتمامى برعاية شئون الجند وبحث مشكلاتهم وتقصى أسبابها وتفسير أنماط سلوكهم ، عرفت ما للسنوات الأولى من حياة الإنسان من أثر كبير فى بناء دعائم شخصيته وفى تشكيل سلوكه فيما بعد .

وها هو ذا أحد القادة العسكريين المشهورين وهو الجنرال مارشال الأمريكى يقول فى كتابه (الجنود فى مواجهة النيران) :

« إذا رغبنا فى الحصول على الجندى الصالح للقتال فيجب أن تتجه أنظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلا ، وإلى المدرسة حيث يتعلم كيف يضحى بمصالحه الشخصية من أجل الوطن ، وفى أروقة الحكومة حيث ينبثق فى قلوب الشعب وعى صادق عن الواجب » .

ثم أتاحت لى ظروف خدمتى العسكرية(١) أن أكون مسئولا عن تربية فئة من شباب أمتى ممن يتراوح عمرهم بين الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة ، فكانت فرصة لاستخلاص دروس نافعة فى مجال تربية الشباب فى مرحلة هامة من مراحل عمره وهى « مرحلة المراهقة » .

وكانت هذه الدروس النافعة مع خبرتى السابقة فى القيادة والتدريب والقتال دافعاً لى لوضع هذا الكتاب لكى ينتفع

---

(١) خلال عملى مديرا للمدرسة الثانوية الجوية .

المسلمون بما فيه ، ويدركوا معى عدة حقائق بالغة الأهمية وهى :

أولاً : إن مرحلتى الطفولة والمراهقة هما أخطر مراحل العمر فى مجال تكوين الشخصية ، وبناء الإنسان ، فإذا اجتاز النشء تلك المرحلة بسلام ، فسوف يمضى فى حياته صحيح النفس ، سوى الشخصية ، أما إذا لم يخرج منها سليماً ، فإن ذلك يؤذن بأوخم العواقب على تكوينه النفسى وسلوكه الاجتماعى فى المستقبل .

ثانياً : إن تراثنا وتكويننا النفسى والأخلاق عامر بقيم الدين الإسلامى الحنيف ومبادئه ، وشبابنا فى أشد الحاجة إلى إحياء دينى وروحى يبنى نفوسهم ويقوى شخصياتهم ويقوِّم معوجهم ويعصمهم من الانحراف والانقياد إلى مايفد إلينا من الخارج من مذاهب واتجاهات تحمل فى طياتها بذور الاستهتار بالقيم والمقومات التى يقوم عليها الإيمان والتدين .

ثالثاً : إن منهج الإسلام فى التربية السلوكية ــ وهو ماحرصت على تطبيقه واتباعه ــ هو المنهج الأمثل لتربية النشء وهو منهج لايتسامى إليه أى منهج وضعته عقول المصلحين والمربين ، وإن على الذين يحملون أمانة تربية أبناء أمتنا ألا يذهبوا شرقاً ولا غرباً بحثاً عن نظرية أو منهج ، بل عليهم أن يلتمسوا من توجيهات الإسلام مايضىء لهم الطريق إلى أداء تلك الأمانة على خير وجه ، فيصنعون شباباً تعز بهم الأمة وتسود ، وينطبق عليهم وصف الفتية الذين ذكر الله شأنهم فى سورة الكهف تقديراً لصلابتهم فى الحق واستمساكهم بالعقيدة والمبدأ حيث قال جل

شأنه : ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ .

فالإسلام قد رسم الطريق الصحيح لبناء الإنسان صحيح النفس والعقل والجسم ، بحيث يصبح لبنة قوية متماسكة ، وعنصراً إيجابياً صالحاً فى مجتمعه الكبير ومقاتلا لايقهر دفاعا عن دينه وشرفه ووطنه ، كما رسم الطريق الصحيح لبناء المجتمع الإنسانى الفاضل ، الذى يشكل البيئة الصالحة لبناء الإنسان بالتنشئة السليمة والتربية القويمة ، ويتيح له إظهار طاقاته المدخرة فيه .

ولقد وُضع هذا المنهج التربوى الشامل موضع التطبيق منذ أربعة عشر قرناً ، فأثبت نجاحه التام فى المراحل التى كان تطبيقه فيها سليماً ومحكماً ، وظهرت آثار هذا النجاح فى قوة بناء المجتمع الإسلامى من جهة ، وفى ازدهاره وتقدمه من جهة أخرى ، وبالعقيدة الإسلامية انطلق العرب من جزيرتهم ، يخرجون العالم من الظلمات إلى النور . ويؤدبون الأكاسرة والقياصرة ، وينقلون الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، وامتدت فتوحاتهم فى أقل من مائة عام من حدود الصين شرقا إلى شاطىء الأطلسى غربا .

وعاش أجدادنا عصورهم أعزاء أقوياء أغنياء ، ويوم تخلى المسلمون عن الجهاد وأقبلوا على الدنيا وزينتها غافلين عن الخطر المحدق بهم ، ضاع وجودهم وكيانهم فتمكن العدو منهم ، ومال عليهم ميلة واحدة ، بحرب حضارية تستهدف طمس معالم الحضارة الإسلامية وقطع أبناء الأمة الإسلامية عن مقوماتهم الأساسية

الأصيلة المطبوعة بطابع الدين والعلم والأخلاق .

فإذا كانت الأمة الإسلامية اليوم تسعى إلى نهضة حضارية شاملة فإن من الأمور الحيوية التى ينبغى أن تلقى فى سبيلها بكل ثقلها إعادة بناء الإنسان على مبادىء الدين الحنيف ومكارم الأخلاق ، فما الأمم إلا بالأخلاق ، وما الأخلاق إلا بالتربية الدينية الصحيحة .

من أجل ذلك فإننى أقدم للآباء والمربين والدعاة والمصلحين هذا الكتاب الذى عرضت فيه منهج الإسلام فى التربية السلوكية للإنسان فى أهم وأخطر مراحل التنشئة أى فى مرحلتى الطفولة والمراهقة فى البيت والمدرسة والمجتمع ، مع ربطه بأصول علم النفس والصحة النفسية ، وأوردت فيه بعض التطبيقات العملية من واقع خبرتى وتجربتى فى مجال تربية الشباب .

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينتفع به المسلمون ، والله تعالى ولى التوفيق .

لواء أركان حرب

محمد جمال الدين محفوظ

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المبحث الأول

أهمية التربية فى مرحلتى الطفولة والمراهقة

الإنسان ومراحل حياته :

اتفق العلماء على أنه يمكن تقسيم حياة الفرد إلى المراحل التالية :

من يوم الولادة إلى سن سنتين .... مرحلة المهد
من سن سنتين إلى سن ٦ سنوات .... مرحلة الطفولة المبكرة
من سن ٦ سنوات إلى سن ١٢ سنة .... مرحلة الطفولة المتأخرة
من سن ١٢ سنة إلى سن ١٥ سنة .... مرحلة بداية المراهقة
من سن ١٥ سنة إلى سن ١٨ سنة .... مرحلة وسط المراهقة
من سن ١٨ سنة إلى سن ٢٢ سنة .... مرحلة المراهقة المتأخرة
من سن ٢٢ سنة إلى سن ٣٠ سنة .... مرحلة النضج والشباب
من سن ٣٠ سنة إلى سن ٦٠ سنة .. مرحلة وسط العمر أو الرجولة
من سن ٦٠ سنة فما فوق .... مرحلة الشيخوخة

وواضح أن مرحلتى الطفولة والمراهقة تشكلان الأساس فى تكوين شخصية الإنسان ، وعلى قدر التوفيق من جانب الآباء والمربين فى تربية الأبناء خلال هاتين المرحلتين ، يكون النجاح فى بناء الشباب الأصحاء نفسيا وعقليا وبدنيا .

الأوان المناسب للتربية :

وإذا دخل الفرد مرحلة الشباب (بعد سن العشرين) دون أن تتم تربيته خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة فقد فات الأوان ويصبح المطلوب حينئذ هو « العلاج » وليس التربية .

وفى ذلك يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

« هناك مشكلة تتمثل فى أننا نقول « تربية الشباب » بينما يجب أن نقول « علاج الشباب » ، لأن هناك فارقا بين التربية التى « تقى من الآفات » والعلاج الذى « يواجه الآفات » » .

فإذا كان الشباب فيه آفات ، فاعلم أن مرحلة من مراحل حياته قد مرت عليه دون أن يربى ، وحينئذ لاتقول : أربيه ،ولكن تقول : أعالجه . وهنا تكون المشقة .. لماذا ؟ .. لأن الشباب مادام بلغ الأَشُدَّ ، فإن بلوغ الأَشُدَّ يتطلب الشعور بالذاتية ، والشعور بالذاتية هو مايشقى به كثير من الآباء ، وتشقى به كثير من الأمهات ، ويشقى به المجتمع ، ذلك لأن الذاتية حين تحب أن تستقل « قبل » استكمال عناصر الاستقلال ، فذلك هو الفساد ، يظل الواحد منا يوجه وليده إلى أن يبلغ سنا معينة ، ثم يسمع منه معارضة لرأيه ، فساعة تسمع المعارضة للرأى ، والتصميم على هذا الرأى ، فاعلم أن الذاتية أوشكت أن تتفتح وأن تتفجر .

لكن .. هل هو مأمون على هذه الذاتية ؟ .. لو أنه ربى فى مرحلة التربية ، وأدب فى مرحلة التأديب ، لكان مأمونا على هذه

الذاتية ، ولكن حين يفوت الأوان على المرحلة الأولى « التربية » والمرحلة الثانية « التأديب » وأعطيت له الذاتية كما يحب هو ، فقد خارت المسألة ، واستطاع هو أن يحدد أموره على غير مايوافق المصلحة التى تراها البيئة ممثلة فى المعلمين أو ممثلة فى الأبوين .

والتربية التى يقصدها الإسلام هى أن يتعهد المربى تعهدا يبلغه الكمال المهيأ له ، والمربى تستقبله بيئته ، فهو محتاج إلى مرب ، هذا المربى هو الذى ينقل له القضايا التى تشكل « خميرة » سلوكه فى الحياة .

فحين يتعهد المربِّى المربَّى بما يبلغه الكمال المهيأ له ، يكون الإنسان قد بلغ أشده مستويا مستوفيا مارا بمرحلتين :

١ ـــ مرحلة التربية : الذى يخطىء فيها ، لانعاقبه ولكن نوجهه .
٢ ـــ مرحلة التأديب : الذى يخطىء فيها ، نؤدبه على الخطأ .

فحين يوجد المربى الصالح ، يكون الإنسان قد وضع فى يد أمينة عليه ، واليد الأمينة التى تربى مأمونة على المربَّى ، يجب أن نضمن لها « اتساق العاطفة » ، واتساق العاطفة معناه : أن يعطف المربِّى على المربَّى حتى لايغشه فى قوانين التربية ، وليعلم أنه هو « العجينة » التى يشكلها كما يريد ، فالإنسان مخلوق صالح لأن يشكل تشكيلا خيرا وأن يشكل تشكيلا شريرا ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة » لذلك يعطينا الرسول ﷺ المثل فى البيئة الأولى للإنسان وهى « أبواه » فيقول : « فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

بين البيت والمدرسة :

وأعمال الإنسان تصل بعد زمن إلى درجة من الثبات والآلية ، فتكون هذه الأعمال عنوانا عليه ، وتنسب إلى شخصه ، ويعبر عنها « بالشخصية » وجزء من هذه الشخصية يكون خلقيا كالصدق والأمانة ، ومرجع الصفات الخلقية فى تكوين الشخصية إلى المجتمع ، لأن الإنسان على أى حال كائن اجتماعى قبل كل شيء .

وأول تأثير يتلقاه الطفل فى حياته ، هو تأثير الأشخاص الذين يحيطون به وهم والداه وأهله فى المنزل فإذا شب قليلا واشتد ساعده فإنه يختلط بغيره من الصبية ممن هم فى مثل سنه أو يكبرونه قليلا ، ويتصل بالمعلم .. والصبى فى مثل هذه السن لايزن الأمور ولا يقدر مرامى الأعمال ، وإنما يتصرف ويسلك تحت وحى المحاكاة الفطرية فى النفس ، والشخصية الجديدة التى يتأثر بها ويحاكيها ويعتبرها أعظم الشخصيات بالنسبة له ولجميع الصبيان هى شخصية المعلم ، فهم لايجدون أمامهم إلا هو ، يتعهدهم من الصباح الباكر سحابة النهار ،وهو الذى يعلمهم أو يُلقنهم إذا أخطأوا السبيل ، وهو الذى يؤمهم فى الصلاة إذا حضر وقتها ، وله عليهم سيطرة شديدة ، والصبيان فى هذه السن الصغيرة اللينة يكونون كالعجينة التى يسهل تشكيلها .

ومما يؤيد تأثر الصبيان بشخصية المعلم ماروواه الجاحظ من كلام عقبة بن أبى سفيان لمؤدب ولده ، قال :

« ليكن أول ماتبدأ به من إصلاح بنى : إصلاح نفسك ، فإن

أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ماالستحسنت ، والقبيح عندهم مااستقبحت »[1] .

التحديات التي تواجه الآباء والمربين :

ولعل أهم ماينبغي أن يتنبه إليه الآباء والمربون والدعاة هو أن الطريق أمامهم ليس مفروشا بالورود ، فإن هناك تحديات جساما تواجههم وعليهم أن يواجهوها ويقهروها ونذكر منها مايلي :

١ ــ التحدى الأول ويتمثل فى سمات وخصائص المراهقة بقوة غرائزها وعنادها واندفاعها ،والميل إلى مقاومة توجيه الآباء والمربين ، والنزعة الاستقلالية ، والميل إلى المناقشة والجدل وخاصة فى مسائل الدين إلى حد الشك مما يتطلب منهم قدرا كبيرا من الحلم والصبر وسعة الصدور .

٢ ــ والتحدى الثانى الذى لايقل خطرا عن سابقه ، هو مايبذله أعداء الدين وأعداء الأمة من جهد مكثف لجذب أبنائنا بعيدا عن الدين والقيم والتقاليد ، مستخدمين من أساليب التشويق مايسحر ألباب تلك البراعم البشرية الغضة ويزين لهم طريق الغواية والانحراف بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال فى الرأى ، تلك المعانى التى تصادف هوى لدى المراهق على وجه الخصوص ، وتتفق تماما مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته ، فتراه ــ لأن نضجه العقلى والنفسى لم يكتمل بعد ــ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

---

(١) الأهوانى : التربية الإسلامية ص ٢٠١ .

إنما تنجح المقالة فى المرء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

كما أنه ـــ بسبب ماهو واقع فيه من فراغ فكرى ودينى ـــ لايكاد عقله الناشىء يتلقى هذه السموم حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

٣ ـــ أما التحدى الثالث الذى يواجه الآباء والمربين والمصلحين فهو يتمثل فى ذلك التقدم المذهل فى وسائل الاتصال والنشر للكلمة المسموعة والمقروءة والمرئية ، الذى جعل من المتعذر إن لم يكن من المستحيل من الناحية العملية إقامة السدود والحواجز أمام مانريد ألا يصل إلى عقول أبنائنا ونفوسهم ،وأصبح الأمر يعتمد أساسا على الدوافع الذاتية للفرد وقوة إرادته ، فجهاز الفيديو مثلا يشكل أكبر الأخطار التى تهدد أبناءنا فى الدين والثقافة فى السنوات الأخيرة ، ولا يصح أن نخدع أنفسنا لنعلق المسئولية على أجهزة الرقابة فى الدولة ، فليس باستطاعة أية رقابة فى العالم أن تمنع مثل هذا الغزو الثقافى من الخارج أو الداخل منعا باتا ، يكفى أن تتسرب نسخة واحدة من فيلم ما ليطبع منه فى مسكن بسيط عدة نسخ فى اليوم الواحد على الأقل ، تتضاعف بصورة مذهلة فى بضعة أيام لنعرف أن الرقابة الحقيقية تكمن داخلنا نحن من ناحية وفى إرادتنا وصمودنا فى مواجهة هذا الخطر التخريبى الناعم الذى يتسلل إلى بيوتنا .

المبحث الثانى

الصحة النفسية وسيكولوجية التكيف

من الضرورى أن يكون الآباء والمربون والمصلحون عارفين بسيكولوجية التوافق أو التكيف فى إطار علم الصحة النفسية ، ففى هذه المعارف نفع كبير لهم وعون على فهم حياة أبنائهم والتغلب على مشكلاتهم .

مفهوم علم الصحة النفسية[١] :

ويعرف علم الصحة النفسية بأنه « علم التكيف أو التوافق النفسى الذى يهدف إلى تماسك الشخصية ووحدتها ، وتقبل الفرد لذاته ، وتقبل الآخرين له ، بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحة النفسية » .

ووفقا لهذا المفهوم الإيجابى فى النظر إلى الشخصية المتكيفة يمكن القول إن هذه الشخصية لايصدر عنها إلا ذلك النمط من السلوك السَّوِىّ الذى يحقق مواجهة واقعية للمشكلات أو الصراع ، وليس هروبا منها ، أى أن سلوكها يمثل الجانب البنائى الإنشائى الواقعى ، وليس سلوكها هروبا انسحابيا .

---

(١) د . مصطفى فهمى : الصحة النفسية ص ١٨ .

خصائص السلوك الإيجابى السوى :

ويمكن القول إن السلوك الإيجابى السوى يتميز بالخصائص الآتية :

١ ـــ القدرة على التحكم فى الذات .
٢ ـــ تحمل المسئولية وتقديرها .
٣ ـــ التعاون البناء .
٤ ـــ القدرة على الحب والثقة المتبادلة .
٥ ـــ القدرة على الأخذ والعطاء المتبادل ، وفى الوقت نفسه يكون لدى الفرد القدرة على أن يعطى أكثر مما يأخذ .

٦ ـــ المشاركة فى دفع عجلة التطور والتقدم لمجتمعه خاصة ، وللمجتمع العالمى عامة .

٧ ـــ العناية والاهتمام بالآخرين ، والسعى إلى إقامة علاقات منتجة بناءة مع أبناء المجتمع الإنسانى ، والعمل على خلق التفاهم وتبادل المساعدات بينهم .

٨ ـــ القدرة على اتخاذ أهداف ومستويات للطموح ، يكون قادرا على تحقيقها (أى ليست فوق قدراته واستعداداته) ويعمل بكل طاقاته فى سبيل تحقيقها .

٩ ـــ القدرة على مواجهة الصراع والمخاوف والقلق والشعور بالذنب .

١٠ ــ التمتع بدرجة عالية من احترام الذات ومن القدرة على اجتذاب الآخرين نحوه ، وحصوله على حبهم وتقديرهم .

١١ ــ المرونة فى مواجهة الواقع ، ذلك أن سلوك الأفراد متنوع ومتعدد إلى حد كبير ، ويتطلب كل ظرف تصرفا مناسبا ، ويتطلب كل مكان وكل زمان ما يناسبه من السلوك .

والسلوك الايجابى ــ بهذه الخصائص ــ هو الذى يحقق التكيف الشخصى والاجتماعى للفرد ، فتكون لديه القدرة على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا يؤدى به إلى التمتع بحياة خالية من التأزم والاضطراب مليئة بالحماس والإيجابية ، ويعنى هذا أن يرضى الفرد عن نفسه وأن يتقبل ذاته كما يتقبل الآخرين ، فلا يبدو منه مايدل على عدم التوافق الاجتماعى ، كما لايسلك سلوكا اجتماعيا شاذا بل يسلك سلوكا معقولا يدل على اتزانه الانفعالى والعاطفى والعقلى ، فى ظل مختلف المجالات ، تحت تأثير جميع الظروف .

والشخص الذى هذا نمطه يعتبر فى نظر الصحة النفسية « شخصا سويا » لأنه يتميز بالقدرة على السيطرة على العوامل التى تؤدى إلى الإحباط أو اليأس ، بل إنه ليستطيع أيضا أن يسيطر على عوامل الهزيمة المؤقتة دون اللجوء إلى مايعوض هذ الضعف أو عدم النضج ، إنه يستطيع أن يصمد للصراع العنيف ومشكلات الحياة اليومية ولا يصيبه إلا القليل من الهزيمة والفشل مستعينا ببصيرته وقدرته على التحكم الذاتى .

إن هذا الشخص وأمثاله أسوياء ــ لامحالة ــ لأنهم يتمتعون

بقدر كاف من الصحة النفسية ، حيث يمكنهم أن يعيشوا فى وفاق وسلام مع أنفسهم من جهة ، ومع غيرهم فى محيط الأسرة أو المدرسة أو العمل أو المجتمع الخارجى من جهة أخرى .

معنـــى التكيـــف :

والتكيف فى علم النفس هو « تلك العملية الديناميكية المستمرة التى يهدف بها الشخص إلى أن يغير سلوكه ، ليحدث علاقة أكثر توافقا بينه وبين البيئة » .

والبيئة هنا تشمل كل المؤثرات والإمكانات والقوى المحيطة بالفرد ، والتى يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الاستقرار النفسى والبدنى فى معيشته ولهذه البيئة ثلاثة أوجه : البيئة الطبيعية ،والبيئة الاجتماعية ، ثم المرء نفسه .

والبيئة الطبيعية عبارة عن العالم الخارجى وكل مايحيط بالفرد من أشياء حيوية وطبيعية ، كالملبس والسكن والطعام .. إلخ .

أما البيئة الاجتماعية والثقافية فهى عبارة عن المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان بأفراده وعاداته والقوانين التى تنظم الأفراد وعلاقاتهم بعضهم ببعض .

أما الوجه الثالث للبيئة فهو النفس ، والتى يجب على الفرد أن يكون قادرا على أن يتعامل معها وأن يتعلم : كيف يسوسها ، ويسيطر عليها ، ويتحكم فى مشتهياتها ومطالبها إذا ماكانت هذه المطالب والمشتهيات غير منطقية أو رزينة .

أبعـــاد التكيـــف :

وللتكيف بعدان : شخصى واجتماعى نوضحهما فيما يلى :

(أ) التكيـــف الشخصـــى :

وهو أن يكون الفرد راضيا عن نفسه ، غير كاره لها أو نافر منها أو ساخط عليها أو غير واثق فيها . كما تتسم حياته النفسية بالخلو من التوترات والصراعات النفسية التى تقترن بمشاعر الذنب والقلق والضيق والنقص والرثاء للذات . ومن المكونات الرئيسية لهذا البعد من التكيف اشباع الفرد لدوافعه وحاجاته المختلفة بصورة ترضى الفرد والمجتمع فى آن واحد ، أو على الأقل بصورة لاتضر بالغير ولا تتنافر مع معايير المجتمع . وإذا ذكرنا الدوافع فيجب ألا ننسى (الضمير) ، وهو تلك السلطة الداخلية التى تراقبنا وتوجهنا وتنقدنا وتعاقبنا فى آن واحد .

إن غير المتكيف مع نفسه شخص يعانى حربا تدور رحاها بين جوانب نفسه وهى حرب تستنفد قدرا من طاقاته كان يجدر أن يستغل فى مواجهة تكاليف الحياة وشدائدها . لذلك تراه قليل الحيوية ، سريع التعب ، عاجزا عن المثابرة والانتاج وبذل الجهد ، فقد استنفدت الصراعات النفسية قواه . كما تراه عاجزا عن الثبات والصمود حيال الشدائد والأزمات ، لايلبث أن يختل ميزانه ويشوه إدراكه وتفكيره إذا ارتطم بمشكلة .

(ب) التكيــف الاجتمــاعى :

هو قدرة الفرد على أن يعقد صلات اجتماعية راضية مرضية مع من يعاشرونه أو يعملون معه من الناس ، صلات لايغشاها الاحتكاك والتشكى والشعور بالاضطهاد ، ودون أن يشعر الفرد بحاجة ملحة إلى السيطرة أو العدوان على من يقترب منه ، أو برغبة ملحة فى الاستماع إلى إطرائهم له ، أو فى استدرار عطفهم عليه ، أو طلب المعونة منهم .

والمتكيف مع المجتمع أقدر على ضبط نفسه فى المواقف التى تثير الانفعال فلا يثور ويتهور لأسباب تافهة أو صبيانية ، ولا يعبر عن انفعالاته بصورة طِفْلِيَّة فجة ، هذا إلى قدرته على معاملة الناس بصورة واقعية لاتتأثر بما تصوره له أفكاره وأوهامه عنهم ، لذلك يوصف المتكيف مع المجتمع بأنه (ناضج انفعاليا) .

العوامل الأساسية فى إحداث التكيف :

هناك عدة عوامل لها أكبر الأثر فى إحداث التكيف الشخصى والاجتماعى لدى الأفراد من أهمها :

(أ) إشباع الحاجات الأولية والحاجات الشخصية[1] :

فإذا لم تشبع حاجات الفرد ، عضوية كانت أم نفسية ، فإنها تخلق لديه توترا يدفعه إلى محاولة إشباع هذه الحاجة ، وكلما طالت

---

(١) الحاجات الأولية كالحاجة إلى الطعام والشراب ؛ والحاجات الشخصية كالحاجة إلى الحب وإلى الانتماء وإلى الاستقلال .

مدة حرمان الفرد ، زاد التوتر شدة ، وينتهى الموقف عادة إذا مااستطاع المرء إشباع هذه الحاجة . أما إذا لم تسمح الظروف البيئية والاجتماعية باشباع هذه الحاجة ، وكانت الحواجز التى تقف بين المرء وبين إشباع حاجاته قوية مانعة ، فإنه يحاول أن يجد أية وسيلة يشبع بها حاجاته ، وقد تكون هذه الوسيلة غير سوية ، لايقرها المجتمع ، ومن هنا ينحرف الفرد أو يجنح فتختل بذلك عملية التوافق .

فالشخص الجائع قد يلجأ فى بعض الظروف القاسية إلى السرقة لاشباع الحاجة إلى الطعام ، والشخص الذى لايتمتع بدرجة مناسبة من التقدير الاجتماعى قد يلجأ إلى العدوان ، والطفل الذى يحس أنه منبوذ من أسرته فإنه بسبب عدم إشباع الحاجة إلى الانتماء ، قد يلجأ إلى الانطواء .

فالسرقة فى الحالة الأولى ، والعدوان والانطواء فى الحالتين الثانية والثالثة تعتبر أساليب مختلفة لعدم التكيف بين الشخص وبيئته ، نتجت عن عدم إشباع حاجة من حاجاته بطريقة طبيعية .

إن الأساس فى التكيف يقوم على أمرين :

الأمر الأول : أن يكون الشخص قادرا على توجيه حياته توجيها ناجحا ، بحيث تشبع حاجاته المختلفة .

الأمر الثانى : أن يشبع الشخص حاجاته بطريقة لاتعوق إشباع الحاجات المشروعة للآخرين ، فالشخص المحروم من الطعام الذى أشرنا إليه قد أشبع حاجته ولكن بطريقة تضر الآخرين ، ولا تتفق والمسئولية الاجتماعية وهى السرقة .

(ب) أن تتوفر لدى الفرد العادات والمهارات التى تيسر له إشباع حاجاته الملحة :

ولا شك أن هذه المهارات والعادات إنما تتكون فى المراحل المبكرة من حياة الفرد ، ولذلك كان التكيف فى الواقع محصلة لما مر به الفرد من خبرات وتجارب ، أثرت فى تعلمه للطرق المختلفة التى يشبع بها حاجاته ويتعامل بها مع غيره من الناس ، فى مجال الحياة الاجتماعية .

إن هذا ــ دون شك ــ يؤكد أهمية السنوات الخمس الأولى فى حياة الطفل وتكوين شخصيته ، ففى هذه السنوات ــ كما أكد (فرويد) ــ تتكون المعالم الأولى لشخصية الطفل ، وفيها تنمو لديه بذور التوافق أو عدمه . ويشبه علماء مدرسة التحليل النفسى هذه السنوات الأولى من حياة الفرد بأنها (مشتل الشخصية) ، حيث يربى الفرد فى جو اجتماعى يتوافر فيه الحنان والدفء العاطفى والشعور بالأمن من جانب الوالدين .. ولا شك أن توافر الظروف الملائمة كى يمر الطفل بعملية التنشئة الاجتماعية السليمة من شأنه أن يتيح له نمو الشخصية ، وبذلك يستطيع أن ينتقل من هذا المشتل ــ ونقصد به الأسرة ــ إلى الحديقة الكبرى ــ ونقصد بها المجتمع ــ وهو مزود بالعادات والمهارات والوسائل التى تساعده على أن يضطلع بدور اجتماعى بناء وأن يكون عضوا متفاعلا متجاوبا مع الجماعة التى يعيش فيها ..

والواقع أن كل إنسان فى كبره يحمل فى طيات نفسه رواسب الطفولة ، وغالبا ماتكون هذه الرواسب قوية جداً وراسخة فى

الأعماق . إن الخبرة فى الطفولة تحدد بدرجة واضحة وسيلة الرضا النفسى والتوافق فى الحياة المتأخرة ،وهذا يوضح بجلاء العلاقة الوثيقة بين التكيف وعملية النمو .

(ج) أن يعرف الإنسان نفسه :

أى أن يعرف امكانياته وقدراته ، ذلك أنه إذا ماعرف هذه الامكانات والقدرات فإنه لايرغب فى شىء لاتسمح هذه القدرات والامكانات بتحقيقه . أما إذا كان جاهلا بهذه القدرات والإمكانات فإن رغباته قد تأتى بحيث تعجز هذه الإمكانات عن تحقيقها ، وعندئذ يكون مايترتب على عدم تحقيق هذه الرغبات من إحباط ، عاملا من عوامل اختلال التوافق .

(د) أن يتقبل الإنسان نفسه :

إن فكرة الإنسان عن نفسه من أهم العوامل التى تؤثر فى سلوكه . فإذا كانت هذه الفكرة حسنة وتتسم بالرضا ، فإن ذلك يدفعه إلى العمل والتوافق مع أفراد المجتمع . كما أن ذلك يدفعه إلى النجاح حسب قدرته دون أن يحاول العمل فى مجالات لاتسمح له قدراته بالنجاح فيها. أما الفرد الذى لايتقبل نفسه فإنه يتعرض للمواقف الاحباطية التى تجعله يشعر بالعجز والفشل ، وهنا تصبح درجة التكيف الاجتماعى سيئة ، وهذا يدفعه إلى الانطواء أو العدوان ، ليجذب أنظار الآخرين ويمحو من أذهانهم مايرى أنهم يعتقدونه عنه .

(هـ) المرونـــــة :

ونقصد بها هنا أن يستجيب الفرد للمؤثرات الجديدة استجابات ملائمة ، فالشخص الجامد غير المرن لايتقبل أى تغيير يطرأ على حياته ، ومن ثم فإن توافقه يختل وعلاقاته بالآخرين تضطرب إذا ماانتقل إلى بيئة جديدة ، يغاير أسلوب الحياة فيها ، الأسلوب الذى مارسه وتعود عليه . أما الشخص المرن فإنه يستجيب للبيئة الجديدة استجابات ملائمة تحقق التكيف بينه وبين هذه البيئة .

ومعنى ذلك أن توافق الفرد يكون أسهل ، كلما كان الشخص مرنا ، والعكس صحيح ، فكلما قلت مرونة الشخص قلت قدرته على التكيف فى محيط ظروفه وبيئته الجديدة .

وهناك نوعان من المرونة : المرونة القوية التى يتكيف فيها الشخص مع البيئة الجديدة دون أن يغير من طبيعته وشخصيته الأصلية . وهناك المرونة الضعيفة التى يتقبل الشخص فيها قيم البيئة الجديدة ومثلها ، تقبلا يؤدى به إلى أن ينكر شخصيته الأصلية . وتكون نتيجة ذلك عدم توافق الفرد إذا ماترك هذه البيئة الجديدة وعاد إلى بيئته القديمة . مثل هذه المرونة لاتحقق التكيف ، بل تؤدى على العكس من ذلك إلى اختلاله .

ولنأخذ مثالا لذلك حالة الطلبة الذين يرسلون إلى بعثات دراسية فى الخارج حيث نجد أن بعض هؤلاء الطلاب إذا ماحلوا فى هذه البيئات الجديدة ، فإنهم ينساقون إلى تقليد كل مافيها من مثل وعادت وقيم، ولا يمضى زمن يسير حتى يكون هؤلاء الطلاب قد نسوا

شخصيتهم الأصلية ، فإذا عادوا إلى وطنهم سلكوا سلوكا غريبا ، مما يؤدى إلى تعرضهم للنقد الذى يكون سببا مباشرا لشعورهم بالغربة ، وهى مظهر من مظاهر عدم التكيف . مثل هؤلاء الطلبة لديهم مرونة ، ولكنها مرونة ضعيفة ، سلبية ، تتأثر فقط دون أن تقوم بدور إيجابى .

أما البعض الآخر ، فإنه إذا حل فى البيئة الجديدة نجده يتكيف معها ولكنه مع ذلك لايتخلى عن شخصيته الأصلية ، فإذا ماعاد إلى وطنه فإنه لايتغير ، ولا يتعرض لمثل ماتعرض له النوع الأول من النقد وعدم التوافق ، مثل هذا النوع من الطلبة لديه مرونة لأنه لايقف من البيئة الجديدة موقفا جامدا ،وإنما يعدل من سلوكه ويتكيف مع ظروف هذه البيئة ، دون أن يغير من شخصيته الأساسية .

سوء التكيف :

إذا تمكن الإنسان أن يعيش حياة سعيدة ناجحة قيل إنه (حسن التكيف) فإن عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود للتكيف قيل إنه (سيء التكيف) أو إنه يعانى اضطراباً فى شخصيته .

والمعروف أن حياة الإنسان لاتخلو من صعوبات وعقبات ، مادية ومعنوية ، خارجية وداخلية ، تعترض إرضاء دوافعه وتحول دون تحقيق أهدافه . والطريق الطبيعى لإزالة هذه العقبات أو التغلب عليها أن يبذل كل مافى وسعه من جهد وتفكير وتكرار المحاولات فإذا استحال الحل فإنه يواجه أزمة نفسية أو يعتبر فى حالة سوء تكيف ، وهنا يختلف سلوك بعضهم عن بعض :

(أ) فمنهم من يمضى فى التفكير والتقدير وبـــذل الجهد للخروج من المأزق حتى ولو كان فى حالة من التوتر الشديد .

(ب) ومنهم من يسارع إلى الاستسلام وإلقاء السلاح على الفور .

(جـ) ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر ، فإذا به قد أصبح نهبا للغضب أو الذعر أو الخجل أو الرثاء للذات ، وقد احتوته مشاعر أليمة بالنقص والقلق والعجز والخيبة والذنب إلى غير تلك المشاعر البغيضة التى تنجم عن الفشل والإخفاق . وبدلا من أن يتجه بجهوده إلى حل المشكلة إذا به يلجأ إلى طرق وأساليب معوجة أو ملتوية أو متطرفة تنقذه مما يكابد من تأزم نفسى وهى أساليب لاتدنيه من هدفه بل تنأى به عنه ، أى أنها لاتحقق التكيف بينه وبين بيئته أو بينه وبين نفسه .

ويأخذ سوء التكيف صورا شتى ودرجات تتفاوت شدة وعنفا وإزمانا واستعصاء على الشفاء فمنها مايعطل صاحبه عن العمل ، ويجعله غريبا عن نفسه وعن الناس خطرا على نفسه وعلى الناس . ومنها مالا يباعد بين الفرد والواقع بدرجة تقصيه عن العمل والنشاط الاجتماعى ، بل يبدو فى صورة انحرافات خفيفة أو نوع من السلوك الشاذ . ومنها مايسبب لصاحبه كثيرا من الألم والعذاب ، فترى الفرد يتخطفه الخوف ، الخوف من كل شىء ومن لاشىء ، ويستبد به الجزع ، وتحاصره الوساوس والشكوك والأفكار السود .. ويأتيه الفزع والاضطراب من كل مكان .. لايطرب لشىء ، يشكو من غير

شىء ولا يجد للحياة طعما بل يجدها عبئا ثقيلا وحملا بغيضا . وفى إطار هذه الاضطرابات المختلفة فى الشدة والنوع تندرج الأمراض العقلية (الجنون) والأمراض النفسية (الأعصاب) والأمراض السيكوسوماتية (الجسمية النفسية المنشأ) والإجرام العصابى ، والانحرافات الجنسية ، ومشكلات الأطفال السلوكية ، ومشكلات الشباب النفسية .

أسباب سـوء التكيف :

إن لم يكن لسوء التكيف أساس عضوى أو فسيولوجى كتلف فى النسيج العصبى ، أو اضطراب هرمونى ، أو تلوث ميكروبى ، أو تسمم من أملاح بعض المعادن ، كما يحدث أحيانا فى بعض الصناعات .. إن لم يكن هذا ، كانت العوامل النفسية الاجتماعية هى العوامل الجوهرية الغالبة فى إحداث الاضطرابات ، وسمى الاضطراب وظيفيا كما هو الحال فى الأمراض النفسية ، وطائفة من الأمراض العقلية ، والأمراض السيكوسوماتية والانحرافات السلوكية والإجرام كما يعتبر هذا الاضطراب نفسى المنشأ .

هذه الاضطرابات الوظيفية ، خاصة النوع العنيف منها ، يندر أن تكون نتيجة عامل واحد كما يظن الناس فى العادة ، إذ يرون أنها ترجع إلى الوراثة أو إلى الصدمات العنيفة التى تصيب الإنسان فى حياته ــ فالحياة النفسية ليست من البساطة حتى يكون اعتلالها رهنا بحادثة واحدة أو صدمة واحدة بل لابد من عدة عوامل تختلف فى نوعها وأهميتها وترتيبها الزمنى حتى يسوء التكيف وتضطرب الشخصية .

(أ) فهناك العوامل الممهدة :

أى العوامل التى ترشح الفرد للاضطراب وتكون بمثابة تربة صالحة له من هذه العوامل الوارثة والتربية غير الصالحة فى عهد الطفولة المبكرة .

(ب) وهناك العوامل المعززة :

التى تتوسط الطفولة وعهد الكبر مثل « مرحلة المراهقة » ، فتخلف فى نفس الفرد أزمات تدعم أزمات الطفولة ، فتزيد من حساسية الفرد وتضعف من مقاومته . من هذه العوامل عدم رضاء الفرد عن عمله أو خوفه الموصول من فقدان مركزه ، أو صبره على الظلم والاضطهاد مدة طويلة ، ومنها الخلافات والمتاعب العائلية ، والارهاق الجسمى الموصول ، وبعد الشقة بين مستوى طموح الفرد ومستوى قدراته ، أى بين مايريده وما يقدر عليه .. وقد تكون هذه العوامل المعززة ذات أثر عميق فى بعض الشخصيات فتكفى لاندلاع الإضطراب ، وتكون بمثابة العوامل المباشرة فى ظهوره .

(ج) أما العوامل المباشرة أو المعجلة :

فهى العوامل التى يعقبها الانهيار مباشرة . وقد تكون هذه العوامل جسمية كالاجهاد أو الضعف أو المرض الجسمى . وهذا مايلاحظ عند بعض الطلبة قبيل الامتحان . وقد تكون العوامل المباشرة صدمات نفسية كخسارة مالية فادحة ، أو موت عزيز ، أو فشل فى حب أو فضيحة اجتماعية ، أو طرد العامل من عمله ، أو تغيرات سريعة فى حياة الفرد كتلك التى تطرأ على حياة من يهجرون .

الريف إلى الحضر أو الحياة الزراعية إلى الحياة الصناعية أو التى تبدو على طلبة البعثات حين ينتقلون من حضارة إلى حضارة أخرى مغايرة لها .

وبمعنى آخر نستطيع أن نقرر أن العوامل المختلفة التى تؤدى إلى سوء التكيف بمختلف أنواعه يمكن أن ترد جميعها آخر الأمر إلى وجود عقبات وعوائق مادية أو جسمية أو نفسية أو اجتماعية — تحول دون إرضاء الدوافع الأساسية للفرد وبلوغ أهدافه ، عقبات ينجم عنها صراع بين الفرد ونفسه وليس الصراع إلا حالة نفسية أليمة تنجم عن إحباط الدوافع والحيلولة دون إشباعها فإن تراكمت هذه الصراعات والتوترات لدى الفرد ، قيل إنه يعانى (أزمة نفسية) و (سوء تكيف) وليست الضروب المختلفة لسوء التكيف إلا طرقاً شاذة غير واقعية للتخفف من هذه الأزمات والاضطرابات .

وقد دلت بعض البحوث على أن المواقف الآتية مصادر هامة للتأزم النفسى وسوء التكيف لدى أغلب الناس :

(أ) المواقف أو الأعمال التى تثير وخز الضمير ..

(ب) كل مايمس كرامة الفرد واحترامه لنفسه ، وكل مايحول بينه وبين تأكيد ذاته .

(جـ) حين تثبت له الظروف أنه ليس من الأهمية أو من القوة بقدر ماكان يظن .

(د) حين يستبد به الخوف من فقدان مركزه الاجتماعى أو

حين يتوهم ذلك أو حين يفقده بالفعل .

(هـ) حين يشعر بالعجز وقلة الحيلة إزاء عادة سيئة يريد الإقلاع عنها .

(و) حين يبتلى برئيس مستبد .

(ز) حين يعاقب عقاباً لايستحقه .

(ح) حين يمنع من تحقيق مايريد منعاً تعسفياً .

(ط) حين يشعر ببعد الشقة بين مستوى طموحه ومستوى اقتداره .

(ى) حين يشعر ببعد الشقة بين مايملك وما يراه حقاً له .

(ك) حين يرى الغير يكافئون دون استحقاق .

ويلجأ الفرد أول الأمر عادة إلى التخفف من أزمته النفسية بأساليب واقعية ناجحة أو بأساليب فاشلة غير بناءة مثل : العدوان ، والنكوص ، والجمود ، والاستسلام وأحلام اليقظة وغيرها . فإن لم يوفق إلى حل أزمته بهذه الطرق ، فقد يصاب بمرض نفسى أو سيكوسوماتى أو غيرها من الاضطرابات الخطيرة .

سمات الأشخاص سيىء التكيف :

(أ) أن الشخص الذى يسوء تكيفه لايجد للحياة طعماً وهو لايعيش حياته بل يكابدها وذلك لأسباب عدة منها : كثرة مايعانيه من توترات موصولة وصراعات نفسية غير محسومة وما تنطوى عليه هذه الصراعات من مشاعر القلق والذنب والنقص والسخط والرثاء للذات .

(ب) وهو غير ناضج من الناحية الانفعالية ، فهو أنانى غيور غضوب كالطفل ، له قسوة الطفل وأنانيته وحبه من النوع الذى يأخذ ولا يعطى .

(جـ) وهو شخص جعلته خبرات طفولته شديد الحساسية لمواقف معينة ، مواقف النقد والتنافس والمواقف التى تشم منها رائحة الإذلال أو الكراهية أو النبذ أو الذنب فإذا به يستجيب لهذه المواقف استجابات مشتطة أو شاذة ، إنه يحس وخزة الإبرطعنة خنجر ، ويرى الحبة يحسبها قبة ، ويسمع الهمسة صيحة . مثل هذه الحساسية النفسية الزائدة ، كمثل الحساسية الجسمية الزائدة التى تبدو مثلا لدى المدخن المفرط حين لايعود يطيق رائحة الدخان .

(د) ومن سماته أنه يطرح انفعالاته واتجاهاته النفسية اللاشعورية من حب وكره وغيرها على أشخاص لاصلة لهم أصلا بهذه الانفعالات والاتجاهات . فالطالب العصابى يفرغ كراهيته لأبيه على مدرسه . وكذلك حال العامل نحو رئيسه ، والزوج العصابى نحو زوجته .

(هـ) إنه يجد عسراً فى انتشال نفسه من المواقف الصعبة التى تعرض له ، وغالباً مالا تتمشى الحلول التى يصل إليها مع الواقع ، أو لاترضى عنها الجماعة التى يعمل معها .

(و) يجد الناس صعوبة فى التعامل معه وفى التفاهم ، معه ، كما أنه كثيراً مايرتاب فى سلوكهم ومقاصدهم ، فيؤول كل حركة تصدر منهم على أنها موجهة ضده . وأغلب الأمر أنه لايطيق أى نوع

من أنواع السلطة ، ومن ثم يشق عليه مجاراة رئيسه والانسجام معه ولذا فهو لايحسن العمل الجماعى ، ولا يرحب به بقدر مايؤثر العمل الفردى ، فهو يرى الأمن والسلامة فى ابتعاده عن الناس ، لأن المواقف الاجتماعية أشد مايثير قلقه . ومن هنا نرى أن العمل الجماعى المنتج علامة على الصحة النفسية لأفراد الجماعة .

(ز) وهو شخص يسوء عمله وإنتاجه وتزداد حالته اضطراباً إذا أرغم على الإسراع والتعجل فى عمله بتأثير بواعث مالية أو ضروب أخرى من الإغراء وقد يمضى فى عمله طمعاً أو خوفاً لكنه لايلبث أن ينهار بعد وقت طويل أو قصير .

(ح) كما أنه يفدحه التعب بعد المجهود القليل والواقع أنه يكون فى حالة من الإرهاق المزمن من فرط مايستنفد الكبت والصراعات النفسية من طاقته وحيويته .

(ط) ثم إن الاضطراب الانفعالى الذى يعانيه لابد أن ينعكس على حالته الجسمية فنراه يشكو من الأرق أو فقد الشهية للطعام أو خفقان القلب أو ضيق التنفس أو سوء الصحة الجسمية بوجه عام .

* * *

المبحث الثالث

الصحــة النفسيــة للطفــل

السنوات الأولى من حياة الطفل وأهميتها(1) :

كلنا يعلم أن سنى الطفولة الأولى لها أهميتها فى تنشئة الطفل ، وفى تمتعه بأكبر قسط من التكيف السليم فى مستقبل حياته . ولذلك وجب علينا — كمربين — أن نتفهم أحسن السبل ، للتعامل مع الطفل فى مراحل نموه الأولى ، لكى نضمن له نموا سليما متطورا محققا لحاجاته العضوية والنفسية والاجتماعية .

إن البيئة المحيطة بالطفل — بما فى ذلك أسلوب معاملة الآباء — تعتبر عاملا هاما فى تشكيل شخصيته ، وتكوين اتجاهاته وميوله ونظرته للحياة . ونحن كآباء نعتبر أنفسنا العمد الأساسية فى هذه البيئة . وفى الحقيقة أن مانقدم للطفل يحدد نوع البيئة التى يترعرع فيها ، وبطريقة أخرى إننا نخلق له الجو الذى يعيش فيه . ولذا كان لزاما علينا أن نبدأ بتهيئة الجو الصالح للطفل منذ ولادته ، ونتبع

---

(1) د . مصطفى فهمى : الصحة النفسية ص ٦٥ — ٧٧ .

أحسن الوسائل التى تساعده على الانتقال من مرحلة الطفولة المبكرة ، حتى يصل مرحلة الرشد . وكلما ازددنا بصيرة بخصائص نموه فى النواحى البدنية والعقلية والعاطفية والاجتماعية ، دل على مقابلة وإشباع حاجاته المختلفة . إن هذا الفهم لخصائص نمو الأطفال ، سيساعدنا على معرفة طرق التعامل معهم فى مراحل نموهم المتعاقبة . ولكن يجب أن نضع فى الاعتبار ، أن دفع الطفل للوصول إلى المستويات المقبولة اجتماعيا مثلا ، دون أن نراعى قدراته لمواجهة هذه المستويات ، يعمل — دون محالة — على اعاقته أكثر من الأخذ بيده .

ويجب أن نشير كذلك إلى أن الطفل فى السنوات الأولى من حياته يتعلم الكثير من الخبرات التى تساعده على النمو السليم . فإذا كان الطفل — خلال هذه الفترة — يعيش فى جو عائلى هادىء ، يسوده العطف والحنان والطمأنينة ، استطاع أن ينمو نموا صحيحا ، يتميز بالقدرة على التكيف مع نفسه ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه . فالتفاعل الاجتماعى السوى فى الأسرة ، يمتاز بخصائص معينة تقوم على أسس من المودة والإخاء والحرية والصراحة ، مع الاستمرار والدوام . وتلك صفات لانراها بوضوح فى أى علاقات اجتماعية أخرى .

والسؤال الذى يواجهنا الآن : ماهى أهم الشروط التى يجب أن تتوفر فى الجو العائلى ، حتى نستطيع مساعدة الطفل على التكيف فى مستقبل حياته ؟ وما أثر هذا الجو على بناء شخصية الطفل ؟ ..

إن المجال الذى ينشأ فيه الطفل يؤثر تأثيراً كبيراً هائلاً فى نموه ، فإذا ساعد هذا المجال على إشباع حاجات الطفل البيولوجية والنفسية ؛ أثر ذلك تأثيراً بارزاً فى سلوكه ، أى فى مظاهر سروره وأساليب تكيفه . أما إذا تعددت مواقف الحرمان وزادت حدتها ، فإن شخصيته ستعانى من الاضطراب والصراع ، وستبقى آثار الصراع المترتبة على الحرمان مصاحبة لشخصيته عندما يكبر ، وسينعكس ذلك الاضطراب فى مظاهر سلوكه .

ولا يقتصر خطر مرحلة الطفولة المبكرة على أنها المرحلة التى توضع فيها بذور اضطرابات الشخصية المختلفة ، بل إنها كذلك المرحلة التى توضع فيها أسس الشخصية السليمة بأبعادها ومكوناتها المختلفة . ذلك أن مايكتسبه الفرد فى هذه الفترة من عادات واتجاهات ، إنما يميل إلى الثبات النسبى وإلى أن يصعب تغييرها فيما بعد :

ويدل على ذلك مأأيدته الأبحاث والدراسات التالية :

١ ــ الدراسات التتبعية للأطفال .

٢ ــ الدراسات الاكلينيكية والتحليل النفسى للكبار .

٣ ــ الدراسات الانثروبولوجية فى كثير من الشعوب والقبائل البدائية .

١ ــ الدراسات التتبعية للأطفال :

أوضحت هذه الدراسات أن مايكونه الفرد فى مرحلة الطفولة من أسلوب فى الحياة ومن مفهوم للذات ، إنما يميل إلى أن تظل آثاره

باقية فى حياة الفرد كلها وفى الأساليب المختلفة التى يتعامل بها مع الناس أو التى تحقق له تكيفاً . ولهذا لم يكن بمستغرب أن نجد (فرويد) يرد سلوك الشخص الراشد إلى عهد الطفولة المبكرة .

غير أن أصحاب مدرسة التحليل النفسى حين يقررون أن السمات الرئيسية للشخصية توضع أصولها فى الطفولة ، فهذا لايعنى أن الفرد يصبح بعد ذلك عاجزاً عن التعلم والتكيف ، بل يعنى أن ماانطبع فى نفوسنا من آثار إبان مرحلة الطفولة يكون له أثر دائم فى شخصياتنا .. فكما يستطيع الإنسان ــ مثلا ــ أن يكتسب الكثير مما يتوفر له فى سن متقدمة كتعلم لغة جديدة أو التكيف لبيئة ثقافية جديدة ، كذلك يستطيع تعلم عادات جديدة ونظرة جديدة إلى أهدافه ومثله . أما مايظل مستعصياً على التغيير بدرجة كبيرة ، فهو سمات الشخصية الأساسية للفرد التى تكونت فى سنواته الخضر ، كالخجل أو الجرأة ، التفاؤل أو التشاؤم ، العدوان أو الاستكانة ، الاتكال على الغير أو الاستقلال ، الثقة بالنفس أو عدم الثقة بها ، النظام أو الاهمال إلى غير ذلك مما يرسخ فى كياننا النفسى من اتجاهات وعواطف عميقة نحو آبائنا .

٢ ــ البحوث الاكلينيكية والتحليلية النفسية :

أكدت البحوث الاكلينيكية ــ التحليلية وغيرها ــ أن البيوت التى يغشاها الود والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام والتقدير والمحبة ، والتى تحتفظ بتوازن حكيم بين الحرية والضبط ، هى البيوت التى تخرج أشخاصا أسوياء . أما البيوت التى تغرس فى نفوس

الأطفال اتجاهات الكراهية والحقد والنقمة ، والقائمة على الخوف فهى التى تخرج للحياة جحافل المنحرفين والمشكلين والجانحين والعصابيين. فمن نشأ فى بيئة مشبعة بالعدوان لايشعر بالصداقة فى كبره أينما ذهب . ومن حرم الأمن أو العطف فى طفولته ، رفض أن يتقبل الحب ممن يريدون أن يمنحوه إياه ، وعز عليه أن يمنح أطفاله الأمن والحب . ومن حرم الاستمتاع بالحياة أو بالحرية فى طفولته ، أخذ يختلسهما أو يتحايل على الظفر بهما فى شبابه . ومن شب على الهرب من المشكلات ومن مواجهة المصاعب والعقاب ، استقبل عهد الرجولة خائفاً خانعا . ومن دلله أبواه فى عهد الطفولة انتظر من رؤسائه وزملائه أن يمجدوه ويرفعوا من قدره دائماً وهو كبير .

وتدل مقارنات تواريخ حياة من خرجوا من الحرب منهارين من أثر العصاب ، أن المشاكل السلوكية فى طفولتهم ـــ كالمخاوف المرضية واضطراب النوم والتبول اللا إرادى ـــ كانت أكثر بثلاثة أمثالها منها عند من خرجوا من الحرب سالمين .

كذلك تدل الدراسات التى قام بها (بيرت) عن الأحداث الجانحين على ماللأسرة ولدينا مئات العلاقات السائدة بين الوالدين بعضهم وبعض وما يضفيه ذلك من أثر على الجو الأسرى من ناحية ، وبين علاقات الوالدين مع الأبناء من ناحية أخرى ـــ من أثر هائل فى انحراف الأحداث . ويقرر (بيرت) : « إن أبشع العوامل وأكثرها خطراً وتدميراً هى العوامل التى تدور حول حياة الأسرة فى الطفولة » .

٣ ــ الدراســات الانثروبولوجيــة :

أيدت هذه الدراسات وجود علاقة وثيقة بين أساليب تنشئة الأطفال والصغار فى الشعوب البدائية وبين بناء شخصيات الكبار . فهذه قبيلة بدائية تتسم شخصيات أفرادها بالدعة والهدوء والمسالمة والصداقة والتعاون ، ينفرون من التنافس والتسلط ، ويمقتون الصلف والغرور والعدوان مقتاً شديداً . وقد لوحظ أن الطفل الصغير فى هذه القبيلة يكون موضع مودة وعطف كبير ، ترضعه أمه كلما صاح ، وتطيل وقت إرضاعه ، وتحمله أينما ذهبت ، وتداعبه على الدوام . والطفل فى هذه القبيلة لايعاقب البتة بل يوحى إليه من سن مبكرة أن كل شىء فى الدنيا (طيب) ، البيت والعم والأخ والجار ..

وهذه قبيلة أخرى يتسم أفرادها بالعدوان المفرط والارتياب المتبادل فى كل إنسان : الأب يحذر ابنه ويكرهه لأنه منافس محتمل له ، والأخ لايستطيع أن يعيش مع أخيه ،والرجل المثالى موضع الإعجاب والتبجيل هو العدوانى المحارب ، والمرأة المثالية محاربة أيضاً . وقد وجد أن الطفل فى هذه القبيلة يولد وينشأ فى جو غير آمن : فمتى حملته أمه كف الأب عن الاتصال بها مما يثير غضبه فلا يرحب بقدوم الطفل . والرضاعة مؤلمة إذ يوضع الطفل فى سلة خشنة ، ولا يعطى اللبن إلا إذا كان فى حاجة ظاهرة إليه ولفترة قصيرة . ولكى يظفر الطفل بقدر كاف من اللبن فى هذا الوقت القصير والوضع المؤلم يجب عليه أن يتخذ موقفاً «حربيا» ، فإذا به يمسك بحلمة الثدى فى قوة ويرضع فى سرعة وعنف وإلا ضاع حظه من الرضاعة .

وكثيراً ما « يشرق » الطفل فتثور الأم ؛ فعملية الرضاعة كفاح وتوتر وغضب . وليست عملية الفطام أقل غلظة وقسوة : إذ يزاح الطفل عن أمه فى عنف قد يقترن بالضرب واللكم والشتم . وعلى هذا النحو يشعر الطفل منذ أول حياته أنه فى عالم عدوانى ، وهو شعور تدعمه خبراته التالية فى بيئته .

وهكذا تؤيد كل هذه الدراسات والأبحاث ما للسنوات الأولى من حياة الطفل التى يقضيها فى أسرته قبل ذهابه إلى المدرسة من أثر فى وضع الدعائم الأولى للشخصية وفى غرس بذورها فى تربية الأسرة التى تتميز بالدفء والحماية والرعاية .. ومن هنا كان رأى أصحاب مدرسة التحليل النفسى حول تأييدهم لأهمية السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل فى بناء دعائم الشخصية .. وبقدر مايكون الجو النفسى والاجتماعى الذى يعيشه الطفل فى الأسرة فى هذه المرحلة متسما بمشاعر الأمن والتقبل والاستقرار وما يخبره فيه من أساليب تربوية متزنة ومن اتجاهات والدية حكيمة — بقدر مايتمتع بمواصفات الصحة النفسية فى مرحلة الرشد . أما إذا اضطرب هذا الجو الأسرى ، سارت الحياة النفسية للطفل فى جانب الاضطراب والانحراف . وليس مضطرب الشخصية إلا شخصاً بدأ حياته بعادات سيئة وكون أسلوب حياة شاذا لازمه منذ الصغر ، ولم يستطع أن يتخلص منه فى عهد الكبر . فإذا أردنا أن نفهم متاعب الكبار وانحرافاتهم فهما صحيحاً متعمقاً ، فلابد من أن نفهم طفولتهم المبكرة على حقيقتها .

شعور الطفل بالأمن وأهميته فى التكيف :

إن الطفل يحتاج إلى الشعور بالأمن حاجة شديدة ، ويرى « أوسجينان »(١) أن الطفل إذا كان فى وسط مألوف يحس فيه بالأمن ، حيث يشعر بوجود شخص راشد مألوف لديه فإن سلوكه يتسم بالاتزان . وهذه حقيقة أكيدة تعضدها اعمال الدكتور « برلنجهام » و « أنافرويد » . وقد لاحظت الأخيرة ــ عند قذف المبانى بالقنابل فى لندن عام ١٩٤٠ م ــ أن الأطفال كانوا يستمرون فى اللعب أو النوم إذا بقيت أمهاتهم على قرب منهم . أما الأطفال الذين أُجْلُوا إلى الريف بعيدين عن أمهاتهم بعيداً عن القنابل ، فقد أظهروا كثيراً من القلق ، رغم المميزات الشخصية والتربوية التى كانت تمتاز بها المشرفات عليهن ممن كن يقمن مقام الأمهات الحقيقيات .

وللأمن عناصر أساسية هى : المحبة والقبول والاستقرار .

فشعور الطفل بحب من يحيطون به عامة ، وحب أمه له خاصة ، أمران ضروريان لنموه ، لافى المستوى الانفعالى فقط ، بل فى المستوى البيولوجى والفكرى أيضاً . ولقد أثبتت الدراسات المختلفة أن الطفل المحبوب طفل سعيد . ولكن هذا الحب يجب أن يكون حباً حقيقياً ، صادرا من القلب ، وليس مظهرا خارجياً لحب مفروض من الخارج .

---

(١) عن (الطفل والعلاقات العائلية) تأليف الدكتور موريس بورو ــ ترجمة السيد فتحى ناصر (جامعة دمشق) ..

والحب لايستطيع أن يقوم بدوره فى الإشعار بالأمن إلا إذا أحس الطفل بأنه مقبول فى عائلته . ومظاهر قبول الطفل كثيرة ، منها شعوره بأن له مكانة فى المنزل ، ومنها شعوره بأن والديه يقدمان الكثير من التضحيات فى سبيل إسعاده ، فهذا يكشف للطفل أنه مرغوب فيه ، وأن هناك روابط قوية تربطه بأفراد أسرته .

واستقرار الوسط العائلى هو الشرط الثالث للأمن ، فكلما كانت الأرض التى يعيش عليها الطفل ثابتة ترحب به ، ساعد ذلك على نموه وتكيفه مع البيئة ، أما إذا كانت هذه الأرض مضطربة غير متجانسة ، فقيرة فى القيم الاجتماعية فإن نموه يكون غير تام . كذلك فإن ثبات الأساليب التى يعامل بها الطفل شرط أساسى من شروط استقراره النفسي ، أما اختلاف الاتجاهات العائلية فى تنشئة الطفل فيدعو ـــ دائماً ـــ إلى زعزعة الكيان النفسى للطفل ، ومن أمثلة ذلك قسوة الأب وتزمته وصلابته ، فى الوقت الذى تتساهل فيه الأم وتكثر من الصفح والتسامح .

ويجب أن يضاف إلى الاستقرار الذى يتعلق بأسلوب المعاملة ، استقرار العلاقات المتبادلة بين الزوجين ، فالطفل يجب ألا يشعر بأنه منجذب فى مخاصمات انفعالية تنشأ فى الجو العائلى ، وبأنه مضطر إلى أن يحكم ـــ أراد أو لم يرد ـــ على من كان ينبغى أن يحتفظ فى نفسه بالحب له .

ومن العوامل الأخرى التى تؤدى إلى عدم الاستقرار للطفل كثرة التغيير فى المسكن والمدرسة بصورة خاصة هذه التغييرات يمكن

أن تكون فى المسكن ضارة بمقدار ماتضطر الطفل فى كل مرة إلى ترك مجموعة صداقاته لينشىء مجموعة جديدة . ولكن هذا الضرر يمكن تخفيف حدته عن طريق الاستقرار الانفعالى الدائم فى الأسرة ، أثناء التغيرات المتوالية للأمكنة .

والخلاصة أن المحبة والقبول والاستقرار هى الأعمدة الثلاثة للأمن الذى هو شرط أساسى للنمو الانفعالى للطفل ، والذى يعتبر بدوره مقوما هاما من مقومات التكيف السليم . ولما كانت الأسرة هى المجال الاجتماعى الأول الذى ينشأ فيه الطفل ، أصبحت العلاقات العائلية سبباً مباشراً من أسباب نمو الطفل ، إما نموا طبيعياً أو مرضيا إلى حد كبير . ودرجة الأمن التى يحس بها الطفل ، ذات أثر كبير فى رشده وتكيفه أو عدم تكيفه من الوجهة الاجتماعية والنفسية .

التضامن فى الأسرة وأثره فى عملية تكيف الأطفال :

لايمكن أن يحصل الطفل على مايريد من حب وقبول واستقرار ، إلا باتحاد عميق بين والديه . إن اتحاد الأبوين يعلم الطفل التضامن . وإن وجود تكتل أبوى ضرورة هامة لنموه الجيد . وللطفل إحساسات قوية تتيح له الشعور بالعواطف الانفعالية التى تخلق عنده شعورا مقلقا غامضاً ، هذا الشعور يهدد ويعصف بمشاعر الأمن اللازمة لنموه .

يجب أن نؤكد ــ إذن ــ الحقيقة التالية : « ليس هناك من علاقات ذات قيمة بين الوالدين والأبناء دون كتلة أبوية غير متصدعة ، ولذلك كان من الضرورى أن يحافظ الوالدان على تقوية

رباط الوحدة بينهما « ظاهرياً على الأقل » ، ويجب عليهما أن يبذلا المستحيل ، ليحافظا على هذه الوحدة العميقة الضرورية للتوازن الانفعالى للطفل للصغير .

إن تفاهم الزوجين أمام الطفل ضرورة واقعية . وفى الواقع العملى ، يفضل أن يعطى الطفل مظهرا خارجيا للوحدة من أن يعطى مظهر تفسخ مفضوح . هذا ومن النادر أن ينخدع الطفل بالمظاهر الخارجية ، لأن كل تصدع فى هذه الوحدة يعود بالضرر الجسيم على غد الطفل .

أسباب تصدع العلاقات العائلية :

يمكن أن نجمل الأسباب التى تؤدى إلى تصدع العلاقات العائلية فى عاملين أساسيين :

أولاً : العوامل الاجتماعية التى تفصل بين الزوجين .

ثانياً : العوامل النفسية وأثرها فى التكوين النفسى للزوج أو الزوجة .

أولاً : العوامل الاجتماعية :

يمكن تقسيم العوامل الاجتماعية إلى الأقسام التالية .

١ ـــ انهيار الجو الأسرى بسبب :

(أ) موت الأب أو الأم .

(ب) هجر أحد الوالدين أو كلاهما للطفل .

(جـ) الانفصال أو الطلاق .

(د) سجـن الوالــد .

٢ ــ الحالة الأخلاقية فى الأسرة :

(أ) الإدمان على المخدرات وشرب الخمر .

(ب) مجون الزوج أو الزوجة .

(جـ) عدم أمانة أحد الوالدين .

٣ ــ الحالة الاقتصادية للأسرة :

(أ) الفقر والفاقة .

(ب) البطــالة .

(جـ) عدم وجود المسكن .

(د) ازدحام المنزل بالسكان وانعدام وسائل الراحة فيه .

هذه كلها عوامل تتعلق إما بالشخصية الأبوية من الناحية الاجتماعية ، وإما بالبيئة المادية التى يعيش فيها الأبوان ولقد اتضح من الدراسات العديدة ، وخاصة الدراسات التى أجريت على الجانبين ، أن هذه العوامل تؤثر على الأسرة ، وبالتالى على العلاقات بين الآباء والأبناء . ولقد اتضح فى بحث أجراه الدكتور « موريس بورو » على عدد يبلغ ٦٥٤ طفلا جانحاً فى الجزائر (٥٢٥ فتى ، ١٢٩ فتاة) أن ثلث أفراد هذه الحالات كانوا ينتمون إلى عائلات طبيعية فى مظهرها الخارجى ، بينما الـ (٤٤٤) طفلا الجانحون الآخرون ، كانوا ينتمون إلى عائلات غير طبيعية فى جانب أو أكثر من جوانبها .

ثانياً : العوامل النفسية :

إن اضطرابات الروابط الانفعالية بين الزوجين بسبب مايسيطر عليهما من اتجاهات نحو الوالدية أو نحو الزوجة أو بسبب تكوينهما النفسى الشاذ غالباً مايكون عاملا فى انحلال الروابط الأسرية ، الأمر الذى يؤدى إلى سوء العلاقات الانفعالية التى تنشأ إما بين الأبوين من جهة ، أو بين الأبوين والطفل ، من جهة أخرى .

١ ــ الاتجاهات الانفعالية الضارة وأثرها :

(أ) اتجاهات الوالدين نحو الزوجية :

قد يكون اتجاه الوالدين أو أحدهما نحو الوالدية ، أنها مسئولية لاطاقة لهما باحتمالها ، فأمثال هؤلاء الآباء يكثرون من الشكوى من مسئوليات الحياة الوالدية ومطالبها .

وتنعكس آثار هذا الاتجاه على الأطفال أنفسهم ، إذ نلاحظ أن والديهم يعاملانهم معاملة تقوم على عدم التقدير وعلى الإهمال والنبذ ، الأمر الذى يؤدى إلى شعور الأطفال بعدم الانتماء إلى الجو العائلى .

(ب) اتجاهات الوالدين الزوجية :

يأخذ هذا الاتجاه الشكل التالى ــ نجد بعض الآباء يفخرون بأنهم أزواج وآباء لأطفال ، ويجدون فى صفة الزوجية أو الوالدية مزايا كثيرة ومناعة من العبث والمروق . وهناك على العكس من ذلك ، من يعتقد من الأمهات والآباء ، أن الحياة الزوجية والوالدية

حالت بينهم وبين القيام بأوجه من النشاط الاجتماعى الخارجى ، إذ أن هذه الحياة أصبحت عقبة كؤودا فى سبيل حرياتهم . إن أمثال هؤلاء الأزواج يفضلون أن يعيشوا فى خيال شاب أو فتاة عيشة طليقة خالية من المسئوليات والالتزامات أمام الأبناء ، ولاشك أن هذا الاتجاه الشاذ له أثر واضح على نمو الأبناء وتكوينهم النفسى ونمو شخصياتهم .

٢ ــ المشاكل النفسية للزوجين وأثرها فى استقرار الجو العائلى :

إن بعض الأزواج والزوجات بسبب تكوينهم النفسى الشاذ ، والذى هو نتيجة مامروا به من خبرات فى طفولتهم وفى مراهقتهم ، يتعرضون إلى مشاكل نفسية تستحق دراسة خاصة . إن هذه المشاكل تهدد كيان الأسرة وتحيل الحياة الزوجية إلى جحيم ، وبالتالى تؤثر على درجة تكيف الأبناء أثناء فترات النمو .

وسنعرض فيما يلى لبعض الأنماط الزوجية المرضية :

(أ) الزوجة المسترجلة « النساء ــ الرجال » :

إن هذا النوع من الزوجات يكون مشبعا بالرغبة فى التسلط والتحكم فى الجنس الآخر ، فالزوجة من هذا النوع تحب دائما أن يكون لها مركز الصدارة فى الأسرة ، بمعنى أن يحتل زوجها فى مجلسها مركزا ثانويا ، فنجد هذه الزوجة إذا ماوجدت مع زوجها فى مجلس أو اجتماع عائلى ، تحاول جاهدة أن تظهر سيطرتها على هذا الزوج ، فتعمل على مقاطعته أثناء الكلام والاعتراض على آرائه ومحاولة التقليل من أهميتها .

مثل هذه الزوجة تميل أيضاً إلى اظهار عيوب زوجها ، فهى توجه إليه النقد لأقل خطأ يرتكبه ، كأن يضع ملابسه فى غير المكان المخصص لها ، أو أن يلقى بعقب السيجارة على الأرض ... إلخ .

ومثل هذه الزوجة أيضاً تكون ثرثارة ، محبة للجدل ، فتناقش زوجها فى الموضوعات المختلفة بحق أو بغير حق . والغريب أن الجدل الذى تثيره هذه الزوجة يكون غالباً حول موضوعات تافهة لاتستحق أن تكون سببا للخلاف بين الزوجين .

هذا ويمكن القول أن الزوجة المسترجلة تكون غير قادرة على إيجاد علاقات عاطفية مع زوجها ، لأن الرجال جميعا ، بما فيهم زوجها ، يمثلون بالنسبة لها شخصية الأب غير المرغوب فيه . ذلك أن هذا النوع من الزوجات كن فى الغالب بنات لآباء غير مكترثين بأطفالهم ولا بمنازلهم ، آباء من النوع السكير أو المقامر . ومن ثم أصبحت فكرة هؤلاء البنات عن آبائهم فكرة لايشوبها الاحترام والتقدير . وبالتدريج أخذت هذه الفكرة تعم الرجال جميعا حتى شملت الأزواج . وهذا بدوره يفسر اتجاهات الزوجة العدوانية نحو زوجها ومحاولتها السيطرة عليه والتقليل من شأنه وإخضاعه لإرادتها .. إلخ .

ومن هنا نجد أن الزوجة المسترجلة ، بما فيها من صفات غير مألوفة بين النساء العاديات ؛ تصبح مصدر قلق للزوج ، مما يؤدى إلى سوء العلاقات بينهما ، فيختل التوافق الأسرى ، وهو عامل هام فى اضطراب الصحة النفسية للأطفال .

(ب) الزوجة الهستيرية :

وهذا طراز ثان من الزوجات العصبيات . إن الزوجة الهستيرية تكون دائمة الشكوى من سوء صحتها ، دائمة التردد على الأطباء . تبحث عن علاج لآلامها الكثيرة « الوهمية » . وأذكر على سبيل المثال مريضة ظلت أعواماً تتردد على الأطباء وتستنفد فى ذلك كل دخل زوجها ، كانت « الفواتير » تكدس أمام الزوج كل يوم ،و عند فحص الحالة اتضح أنها لاتعانى أمراضا عضوية ، وإنما كانت تلجأ إلى هذا الأسلوب كوسيلة تلفت نظر المحيطين بها ، لأنها كانت محرومة من العطف .

وفى بعض الحالات الأخرى تلجأ الزوجة إلى هذا الأسلوب المرضى لتنتقم « بطريقة لاشعورية » من زوجها الذى يهملها .

إن الزوجة الهستيرية ، شأنها شأن الزوجة المسترجلة ، تعتبر مصدرا من مصادر القلق والاضطراب فى الحياة الزوجية ، لدرجة تصبح فيها هذه الحياة جحيما لايطاق . وتظهر آثار ذلك فى تبرم الزوج وهروبه من المنزل . وهذه كلها من العوامل التى تؤدى إلى اختلال الصحة النفسية لأفراد الأسرة جميعاً ، كبارا وصغاراً .

(ج) الزوج الطفـــل :

إن سلوك زوج من هذا الطراز يشبه سلوك الأطفال ، ذلك أن تربيته ونشأته لم تمكنه من أن يتعود الاعتماد على نفسه والبت فى شئونه المختلفة ، فيظل دائم الارتباط بأمه وبأسرته ، دائم الاعتماد عليهم فى قضاء حاجاته .

وحين يتزوج مثل هذا الشخص فإنه يتطلب من زوجته أن تكون له وحده ، كما كانت أمه ، أى أنه يتطلب أن يعتمد عليها اعتماداً كليا فى قضاء حاجاته . غير أن طبيعة الزوجة تختلف عن طبيعة الأم ، فالزواج تفاعل مشترك بين الزوجين وتحمل للمسئولية معاً . ولذلك فإن الزوجة العادية « غالباً » ماتثور فى وجه هذا الزوج المدلل ، مما يؤدى إلى اضطراب التوافق بينهما .

وبالإضافة إلى ماسبق ذكره ، فإن هذا الطراز من الأزواج لايستطيع أن يبت برأى فى مطالب الأسرة ، كما أنه لايقوم بدور إيجابى كرب للمنزل ، وخاصة فيما يتعلق بتنشئة الأطفال . وهو لذلك عبء على زوجته ، ويتطلب منها أن تكون له ، كما كانت أمه ، يعتمد عليها اعتمادا كبيرا فى إجابة مطالبه .

إن هذا الزوج إذا ماجابهته مشكلة ، أو إذا كانت زوجته من هذا النوع العنيد ، فإنه سرعان ماينهار ويعجز عن التصرف ، وتتضح مظاهر سلوكه الطفلى الذى يدل على عدم النضج ، فيهرع إلى أمه ليلتمس منها العون على حل مشاكله .

تلك هى بعض صور الزوجات والأزواج غير المتوافقين ، بسبب تكوينهم النفسى الشاذ ، الأمر الذى يؤدى إلى اضطراب العلاقات الزوجية ويترتب على هذا الفشل تفكك المجتمع الأسرى وتشرد الأبناء .

إن الأسرة كائن حى يولد ويحيا ويموت ، وإنه يعيش ويتغذى من العناية والتضحيات اليومية بين الزوجين . وإن المشاكل اليومية

التى تحدث بينهما ، بسبب مشكلاتهم الانفعالية ، كثير ماتؤدى إلى قتل هذا الكائن الحى وإضعافه ، والمهاترات بينهما تؤدى كذلك إلى الإهمال ، ويكون ذلك كله على حساب الأطفال .

أساليب التربية الخاطئة وأثرها فى تكيف الطفل

تلعب الطريقة التى يتم بها تربية الطفل فى سنواته الأولى دورا هاما فى التأثير على تكوينه النفسى والاجتماعى ، أو بعبارة أعم على « تكوين شخصيته » . فإذا كانت هذه الطريقة أو أسلوب التربية يقوم على إثارة مشاعر الخوف وانعدام الأمن فى نفوس الأطفال الصغار فى مواقف متعددة ، متكررة ، ترتب على ذلك تعرضهم للاضطراب النفسى ، والتأخير فى نواحى النمو المختلفة الأمر الذى يؤثر دون شك فى صحتهم النفسية فى مستقبل حياتهم .

ومن أهم الأسباب التى تؤدى إلى هذا الاضطراب مايلى :

١ ــ الحرمان من رعاية الأم :

أن أول أساس لصحة النفس ، يستمد من العلاقة الحارة الوثيقة الدائمة التى تربط الطفل بأمه أو من يقوم مقامها بصفة دائمة . وأى حالة يحرم فيها الطفل من هذه العلاقة تسمى « الحرمان الأمومى » وهذا الحرمان إما أن يكون حرمانا كليا كأن يكون الطفل منفصلا عن أمه لسبب من الأسباب ، وإما أن يكون حرمانا جزئيا ، كأن يعيش معها ولكنها لم تستطع أن تمنحه الحب الذى يحتاج إليه .

وللحرمان الأمومى أضرار سيئة على الطفل نذكر منها :

(**أ**) تعطيل النمو فى النواحى الجسمية والذهنية والاجتماعية .

(**ب**) اضطراب النمو النفسى وتعرض الطفل للجناح (أو الانحراف) والاضطرابات النفسية التى يكون من بين مظاهرها المرضية : العدوان ــ الأنانية ــ السلبية ــ التبول اللا إرادى ــ الصعوبة فى الكلام .

٢ ــ شعور الطفل بأنه مهمل أو منبوذ :

ومما يدعو الطفل إلى الشعور بأنه غير مرغوب فيه مايلى :

(أ) إهمال الطفل وعدم الاهتمام برعاية شئونه فى المأكل والملبس والظروف المعيشية ... إلخ .

(**ب**) انفصال الطفل عن والديه .

(**ج**) تهديد الطفل بالعقاب البدنى بقصد تعويده النظام والطاعة .

(**د**) تهديده بالطرد من المنزل أو إدخاله مدرسة داخلية أو حرمانه من الفسحة .. إلخ . إذا مارتكب ذنبا فى محيط الأسرة .

(**هـ**) إذلال الطفل بالنقد أو اللوم أو اطلاق أسماء أو ألقاب تهكمية عليه أو المقارنة بينه وبين غيره بما يقلل من شأنه إلى غير ذلك مما يجرح الشعور .

(**و**) أن تكون الأم عصبية المزاج ، يسود سلوكها الضجر والتذمر وهى تقوم بإشباع حاجات الطفل .

ويؤدى شعور الطفل بأنه مهمل أو منبوذ إلى أن يسلك سلوكا يدل على عدم الرضا أو المرارة أو الانتقام ومن ذلك مثلا : كثرة « الشقاوة » أو اتلاف أدوات المنزل أو السرقة أو ادعاء المرض أو الامتناع عن الأكل أو الكلام أو التبول اللاإرادى وكلها من مظاهر الاضطراب النفسى .

٣ ـــ افراط الأبوين فى التسامح والتساهل والصفح :

وإذا كانت القسوة وسوء المعاملة والإهمال والحرمان من العطف تحدث آثارا سيئة فى التكوين النفسى للطفل ، فكذلك الإفراط الزائد فى التسامح والتساهل والصفح من جانب الآباء ، فهو يؤدى إلى آثار مماثلة ، ويترتب عليه النتائج التالية :

(أ) عدم النضج الانفعالى ، إذ يكبر الطفل ، لكنه يسلك سلوكا يدل على أنه مازال حدثا صغيرا .

(ب) لايستطيع الطفل الابتعاد عن أمه أو قضاء وقته بمفرده أو تسلية نفسه بأسلوبه الخاص ، ومثل هذا الطفل يكون بحاجة إلى نوع من « الفطام النفسى » .

(جـ) لايشعر الطفل بالمسئولية ، ولا يقدرها ، وإذا أسند إليه عمل قلما ينجزه دون مساعدة خارجية .

(د) مثل هذا الطفل لم يتعود الاحباط ولم يعرف الفشل فى حياته المبكرة ، فإذا انتقل إلى عالم الواقع يصطدم بصعوبات كثيرة ، وعندما تكثر أمامه المواقف الصعبة (الإحباطية) يتعرض لبعض

مظاهر الاضطراب النفسى أو العصبى مثل قضم الأظافر — البوال — ثورات الغضب .

٤ — الافراط فى رعاية الأطفال وحمايتهم :

ومن ذلك المغالاة فى الرعاية الصحية ، والقلق الشديد على الطفل وهو بعيد عن أمه حتى ولو كان فى المدرسة ، والخوف الزائد عليه من التعرض للأخطار فى الطريق وأثناء اللعب إلى حد الاشراف على حركاتهم وعلى ألعابهم .. إلخ .

ومن أضرار هذا الأسلوب مايلى :

(أ) عدم قدرة الطفل على مواجهة الحياة ومشكلاتها عندما يصبح كبيرا .

(ب) صعوبة تكوين علاقات ناجحة مع غيره من الناس ، والشعور بالخوف أو الارتباك إذا اضطر إلى الاجتماع مع الغرباء .

(ج) تبدو عليه مظاهر الإهمال وسوء النظام ، وتصدر عنه أخطاء دون مبالاة ، وهو مع هذا ليست لديه رغبة فى إصلاح هذه الأخطاء .

٥ — صرامة الآباء وقسوتهم :

هناك من الأباء من يتصف بالقسوة والسيطرة والتحكم الزائد فى معاملة أبنائه ومقاومة رغباتهم ظنا منهم أن ذلك من أجل صالحهم ، وفاتهم أن التربية التى تقوم على العنف تحرم الطفل من إشباع الكثير من حاجاته النفسية وتؤدى إلى نتائج سيئة كما يلى :

(أ) المغالاة فى الأدب والخضوع للسلطة والميل إلى الاستكانة ، والخنوع والطاعة فى غير موضعها كما أن الطفل لايقدر على المناقشة وإبداء الرأى .

(ب) الاعتماد على الغير وخاصة الوالدين اعتمادا كليا ، فلا يستطيع الطفل التصرف فى أمر من الأمور دون أخذ رأى الوالدين أو من يكبره من الأبناء .

(جـ) عدم القدرة على التمتع بالحياة وقضاء وقت الفراغ لأن تفكير الطفل يتجه إلى العمل على الدوام .

٦ ــ طموح الآباء الزائــد :

بعض الآباء يظهرون اهتماما زائدا بأعمال أبنائهم المدرسية فيدفعونهم دفعا فى هذه الأعمال دون مراعاة لقدراتهم وميولهم ومن أمثلة ذلك الآباء الذين حرموا من التعليم الجامعى فيحلمون باليوم الذى يلتحق أبناؤهم بالجامعة ويتخرجون منها .

ونتيجة لذلك يصاب الأبناء بنوع من البلادة الانفعالية ، ومنها أن يمتنع الطفل عن تحمل المسئوليات ، وكلما زاد الآباء دفعا ، تقاعس الأبناء وزادوا رغبة فى التخلف .

* * *

المبحث الرابع
مظاهر سوء التكيف فى الطفولة[1]

تمهيـــــد :

يتعرض بعض الأطفال إلى نوع من المشكلات ترجع العلة فيها إلى أسباب انفعالية ، فى حين أن أعراضها تأخذ مظاهر خارجية متنوعة .

ويمكن تقسيم هذه الفئة من الانحرافات ، من حيث المظاهر الخارجية إلى المجموعات التالية :

أولاً : مجموعة الانحرافات التى تتصل بعملية الإخراج (التبول اللاإرادى) .

ثانياً : مجموعة الانحرافات التى تتصل بالتغذية (صعوبات الأكل) .

ثالثاً : مجموعة الانحرافات السلوكية (سرقة وكذب وتمرد وجولان والرغبة فى التدمير) .

رابعاً : الغيرة والغضب ومخاوف الأطفال .

خامساً : اضطـــرابات النــــوم .

ونتناول فيما يلى بعضا من هذه المظاهر .

---

(١)   د . مصطفى فهمى : الصحة النفسية ص ٢٢٣ .

أولاً ــ التبول اللا إرادى (البوال)

تكتمل قدرة الطفل على التحكم فى عملية التبول النهارى فى الشهر الثامن عشر ، أما التحكم فى عملية التبول الليلى فيتم ــ عادة ــ فى المدة التى تقع بين منتصف العام الثانى ونهايته ($\frac{1}{2}$ ٢ ــ ٣) .

هذا هو التطور الطبيعى لعملية التبول فى الطفل العادى ، إلا أننا نلاحظ فى بعض الحالات أن الطفل يتعذر عليه التحكم فى العملية إلى سن كبيرة ، تصل أحياناً إلى السابعة أو الثامنة ، وقد تمتد إلى مابعد ذلك . وهنا يجد المشرفون على تربية الطفل أنفسهم أمام مشكلة من مشكلات الطفولة ، يطلق عليها أحياناً (البوال)[١] ويطلق عليها أحياناً أخرى (التبول اللاإرادى)[٢] .

أسباب التبول اللاإرادى :

إن التبول اللاإرادى ــ شأنه فى ذلك شأن بعض الاضطرابات الانفعالية ــ يرجع مصدر العلة فيه أحياناً إلى أسباب نفسية ، تنشأ بفعل البيئة والطريقة التى تربى بها الطفل ؛ هل هى طريقة تقوم على إشباع حاجات الطفولة المختلفة من حنو وانتماء إلى جماعة تحب الطفل وتقدره وتنمى فيه الرغبة فى التحرر والمخاطرة ؟ أم هى طريقة تقوم على الإذلال والحرمان والمنع والكف وإصدار الأوامر والنواهى فى

---

(١) ترجمة الدكتور إسحق رمزى للفظ الإنجليزى Enuresis .

(٢) ترجمة الدكتور عبد العزيز القوصى لنفس اللفظ .

إسراف وقسوة ؟ ومما لاشك فيه أن هذا النوع من التربية الخاطئة يعرض الطفل إلى ألوان شتى من الصراعات المستمرة ، المصحوبة بشعور غامض من القلق ؛ ثم تأخذ بوادر هذا القلق تستفحل تدريجياً ، إلى أن تصبح خطراً يهدد كيان الطفل النفسى ؛ وهنا يلجأ العقل إلى الاحتماء بنوع من التنفيس الانفعالى ، الذى يتجه إلى مركز تنفيس صالح . ففى حالة التبول ، نلاحظ أن أى خلل عضوى يصيب الجهاز البولى ، سواء أكان مباشراً (ضيق المخارج البولية ، الالتهابات) أو غير مباشر (استسقاء النخاع الشوكى) (Spina Bifida) قد يتيح مركز تنفيس صالحا . ويؤدى كذلك خلل الجهاز البولى من الناحية الوظيفية إلى نفس النتيجة . ومن العوامل التى تساعد على الخلل الوظيفى مايأتى : الإصابة بالبلهارسيا والانكلستوما ووجود البول الحمضى المركز وعدم تدريب الطفل على العادات الصحية المتصلة بعملية التبول ، والضعف الجسمى العام الذى يترتب على فقر الدم وسوء التغذية مثلا ، واضطراب الجهاز العصبى أو حساسيته .

ومعنى ذلك أن إصابة الطفل بالتبول اللاإرادى ، يجب أن يتضافر فيها عاملان .

(أ) عامل استعدادى يتصل بالتكوين العضوى أو الوظيفى للجهاز البولى .

(ب) عامل نفسى ينشأ بسبب البيئة ومافيها من خبرات مؤلمة واضطرابات انفعالية حادة .

كيف يمكن القضاء على عادة التبول اللاإرادى :

إن تبصير المرء بالأضرار التى تلحقه نتيجة تلك العادة يعتبر من أكبر العوامل المساعدة على القضاء على تلك العادة . ومن هنا وجب أن نبصره بما يترتب على هذه الأضرار فى المستقبل . وأن نقنعه بأنه لم يعد بعد ذلك الطفل الذى تصدر عنه مثل هذه العادة غير المرغوبة ، حتى يستطيع أن يساهم فى مختلف وجوه النشاط فى الحياة دون أن يتعرض للتهكم والسخرية من أفراد مجتمعه ، ولنوضح له أن المزايا التى تعود عليه تستأهل ماينبغي بذله من جهد للنجاح فى القضاء على تلك العادة . ويلاحظ أن الأولاد فى هذه السن يميلون إلى مرافقة آبائهم فى أسفارهم ، وإلى القيام بالرحلات ، أو مزاولة بعض نواحى النشاط التى يحبونها ، ولذلك ينبغى أن نبين لهم استحالة ذلك عليهم تماماً ، إلا إذا هم تغلبوا على عادة التبول اللاإرادى .

وبعد أن نبصر الطفل بكافة المزايا والأضرار ومختلف الدوافع التى تتطلب منه بذل الجهد للقضاء على تلك العادة ، علينا أن نمده ببعض العون من الخارج . فمثلا يجب أن نستبعد الماء واللبن من طعامه بعد الساعة الخامسة مساء . وأن يحاول الآباء القيام بجولات يفتشون فيها ، لعلهم يستطيعون الوقوف على الميعاد الذى يقع فيه التبول اللاإرادى . فإذا استطاعوا الوقوف على هذا الميعاد وجب أن يوقظوا الطفل وأن ينبهوه تماما عند ذهابه إلى المرحاض كما يجب أيضا أن يوقظوه فى الصباح المبكر إذا لزم الأمر . وأن يعنوا بإنشاء سجل يبينون فيه ماأصابه من نجاح ومن إخفاق . وتنفع مثل هذه اللوحة

البسيطة المنشورة فى الصفحة الآتية لا كسجل فحسب ، بل كدلالة ملموسة تثبت للطفل قدر نجاحه .

اسم الطفل ________ المـدة ________				
الليـــالى النظيفـــــة				
السبت	●			
الأحـد	●			
الاثنين				
الثلاثاء				
الأربعاء	●			
الخميس				
الجمعة				

ثانياً-المشكلات السلوكية

(أ) الســـــرقة

قد يهمل بعض الآباء أهمية العمل على تكوين إتجاه إيجابى قوى نحو الأمانة فى الأطفال . فيلاحظ أن بعض الآباء كثيراً مالا يحفلون ببعض العادات والميول الخاصة فى تلك السن المبكرة ، وهذا من شأنه أن يمهد الطريق إلى تكوين اتجاه سلبى نحو الأمانة لدى الأطفال . فالطفل الذى لم يدرب فى محيط الأسرة على أن يفرق بين خصوصياته وخصوصيات غيره ، وعلى أن يعرف ماله من حقوق وما عليه من واجبات ، فإن من الصعب عليه فى مستقبل أيامه أن يميز بين مايحق له ومالا يحق له ، ويكون أكثر ميلا إلى الاعتداء على حقوق غيره .

ويرغب الطفل دائما فى أن يقتنى كثيراً من الأشياء ، ويدعى ملكيتها ، إلا أنه مع تطور نموه يدرك أن هناك بعض الأشياء محرمة عليه لأنها من خصوصيات غيره ، وهنا نجد أنه لزاماً على الآباء أن يعلموا الطفل ويغرسوا فى نفسه إتجاهاً إيجابيا بأن الاعتداء على أملاك غيره هو من الصفات اللااجتماعية والتى تأباها القوانين والأخلاق ، وأن هذا الاعتداء سوف يوصم بالسرقة أمام الناس . كما يجب ألا يقوم الآباء بتبرير موقف أبنائهم الذين قد لايحفلون بحقوق الآخرين ، على اعتبار أن هؤلاء الأبناء لازالوا أطفالا أو أن مايأخذونه إنما هو من الأسرة لا من أحد خارجها ، ويفوتهم أن مايتعلمه الطفل فى الأسرة سوف ينتقل أثره إلى المجتمع .

ومن الأساليب التى تساعد على تكوين اتجاه سلبى نحو السرقة ، وعلى تكوين اتجاه إيجابى نحو الأمانة ، تبصير الطفل بقواعد الأخلاق والتقاليد الاجتماعية الواجب مراعاتها . وليس أجدى فى تحقيق هذا من احترام حقوق الطفل فيما يملك من أدوات خاصة ، ومن تخويله حق التصرف المشروع فى ذلك . فمثلا : لاينبغى أن نتصرف فى ملابسه أو لعبه أو كتبه أو نقوده وغير ذلك ، دون رضاه وموافقته .

ويمتص الأطفال من آبائهم موقفهم من احترام حقوق الآخرين ، فإذا كانت تصرفات الآباء فى ذلك تنم عن اتجاه إيجابى قوى نحو الأمانة ، تشربه الأطفال منهم . أما إذا أظهر الآباء نوعا من اللامبالاة بحقوق الغير ، فإن ذلك من شأنه أن ينتقل إلى الأبناء .

ومن الوسائل التى تساعد كذلك على تكوين ذلك الاتجاه الإيجابى نحو الأمانة هو العمل على تكوين عادات احترام الملكية فى الطفل ، وأن أى خرق لذلك لابد أن يعتبر مخالفة وعصياناً . وإذا كان الطفل ينزع إلى الحصول على كل ماقد يحقق له اللذة ، وأن يعمل على امتلاك كل ماقد يقع تحت يديه ، فإن العمل على التبكير فى غرس ذلك الاتجاه فى نفوسهم من شأنه أن يعودهم ويبصرهم بأهمية الأمانة .

ومع ذلك فمن واجب الآباء أن يتناولوا تكوين ذلك الاتجاه بشىء من الحكمة والمرونة ، فمثلا يجب ألا يهولوا ويجسموا مما قد يلجأ إليه الأطفال أحياناً من الاعتداء على حقوق الغير ، أو أن يسطو الطفل على طعام أو حلوى أو غير ذلك من الأشياء الصغيرة . إن

بعض الآباء قد يلجأون فى ذلك إلى أشد الأساليب عنفا ، ويحاولون أن يفرضوا الذلة والمهانة وأن يوقعوا العقاب الشديد على الطفل جزاء على مااقترف . كذلك قد يقف بعض الآباء موقف المدافع عن ابنهم وينفون عنه أى تهمة تسيء إلى أمانته ، وينكرون وقوع ذلك إنكاراً تاماً . وهذان الأسلوبان كلاهما لايساعدان على تكوين اتجاه الأمانة بطريقة سليمة .

أما الدوافع الشائعة التى تؤدى إلى السرقة فهى عديدة . فقد يلجأ الطفل إلى سرقة شيء محروم منه وليس فى مقدور أهله الحصول عليه ، أو يعرف أنه شيء محرم لايمكن الحصول عليه إلا بالسرقة . فالدافع فى مثل هذه الحالات هو محاولة إشباع بعض حاجاته . وقد يكون الدافع إلى السرقة هو الرغبة فى الانتقام من الآخرين ، فمثلا جاء على لسان أحد الأطفال : « إن أحداً لايحبنى ،ولست أدرى ماالسبب فى ذلك .. إن زملائى كثيراً مايعتدون على بالضرب والكيد ويهزأون منى ، لهذا فإنى لم أسرق إلا من الذين يغيظوننى وممن يكرهوننى !! » .

وقد تكون الغيرة سبباً غير مباشر للسرقة ، فمثلا قد يلجأ بعض الأطفال إلى محاولة سرقة بعض الأشياء التى قد يقتنيها غيرهم ولا يستطيعون هم الحصول عليها .

وقد يكون الدافع إلى السرقة هو الرغبة فى تأكيد الذات وسط جماعة الزملاء . فالسرقة عند مثل هؤلاء الأطفال وسيلة يستشعرون بها القوة والسطوة .

ومشاعر النقص والدونية قد تدفع بعض الأطفال إلى السرقة . فمثلا الطفل الذى يشعر أنه دون زملائه مكانة اجتماعية أو علمية ، قد يلجأ إلى أن يعوض ذلك بالظهور بمظهر الشخص الكريم ، ويعمل على كسب شهرة وسط زملائه بتموينهم ببعض الحلوى واللعب وسد النفقات اللازمة لنشاطهم ، ويلجأ إلى السرقة فى سبيل الحصول على ذلك .

وقد يكون انخفاض مستوى الذكاء لدى بعض الأطفال من العوامل التى تدفعهم إلى طريق السرقة ، لأن هؤلاء الأطفال يكونون قد عجزوا عن النجاح فى النواحى التى تتفق وأوضاع المجتمع . ويتم إصلاح هذا العوج فيهم بتوجيه نشاطهم وجهة اجتماعية مقبولة ؛ وخاصة إذا عملنا على التبكير فى معالجة مثل هذه المشكلات قبل أن تصير عادة .

وفى الواقع أنه طالما أن دوافع السرقة عديدة ومتباينة ، فإن أهم ماينبغى عمله لحل هذه المشكلة ــ مثلها فى ذلك مثل مشكلات السلوك الأخرى فى الأطفال ــ أن نقف على الغاية التى تحققها السرقة فى حياة الطفل الانفعالية ، وأن نبذل عندئذ مااستطعنا من جهد لعون الطفل على إشباع هذه الرغبة الانفعالية على وجه يرضاه هو ويقبله المجتمع . ويجب أن يعمل الوالدان على ألا تحقق السرقة ماكان ينشده منها الطفل ، كذلك ينبغى ــ كما سبق أن ذكرنا ــ ألا نهون من الذنب أو نعمل على إخفائه حماية للطفل أو لسمعة أهله ، بيد أنه ينبغى كذلك عدم إشعار الطفل بالإذلال والمهانة بل تشجيعه على مواجهة المشكلة فى صراحة وموضوعية .

(ب) الكـــــذب

إن الأمانة فى ذكر الحقيقة كالأمانة بشأن أملاك الآخرين ، هى اتجاه يكتسب من البيئة التى يعيش فيها الطفل ويتفاعل معها ، نتيجة مايتاح له من فرص ومواقف يتدرب فيها على تمييز الوقائع ، والتعرف على الحقيقة ، وأهمية الصدق فيما يقول وما يفعل ، كذلك نعمل على ألا يمر بمواقف يكون الكذب والخداع هما الوسيلة لتحقيق مآربه .

إن الطفل يمتص اتجاه الصدق من الكبار المحيطين به إذا ماكانوا يلتزمون فى أقوالهم وأفعالهم حدود الصدق المرعية ، ويوفون دائما بما يعدون به . ولكن إذا نشأ الطفل فى بيئة تقوم على الخداع وعدم المصارحة ، وإظهار التشكك فى صدق الآخرين ، فأكبر الظن أن مثل هذا الجو سوف لايعمل على تكوين إتجاه الصدق ، لأن الطفل سوف يدرك أن وسيلته لتحقيق أهدافه هى الكذب والطرق الملتوية والغش والخداع وانتحال المعاذير الواهية . وينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن الطفل فى مقدوره تماما أن يفرق بين ماهو كاذب وما هو صادق ، ومن هنا كان على الآباء أن يلزموا حدود الصدق والأمانة مع أولادهم قولا وفعلا ، حتى يكونوا بذلك قدوة حسنة أمامهم .

وتؤدى مشاعر النقص لدى بعض الأطفال إلى الكذب والمبالغة . وهم يلجأون إلى ذلك الأسلوب تعويضاً عن عجزهم وقصورهم عن التوافق مع زملائهم وعلاج مثل هذه الحالات يقوم

أساساً على تبصير الطفل بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ،وليس أجدى من أسلوب التشجيع والتوجيه فى علاج هذه المواقف . وأن توجه جهودهم نحو القيام بالأمور والأعباء التى تقع فى نطاق قدرتهم ، حتى يستشعروا النجاح ويخبروه فى حياتهم اليومية .

كذلك قد يكون الكذب وسيلة يلجأ إليها الطفل خوفاً من العقاب أو توقع وقوعه ، وخاصة إذا كان العقاب مطرداً قاسياً لايتناسب مع مايتطلبه الموقف . وهنا ينبغى أن نعمل على أن يدرك الطفل بخبرته أن قول الصدق يجدى عليه نتيجة لما يناله من ثواب ، ويعرف إلى جانب ذلك أن هناك عقاباً إذا عاود أسلوب الكذب .

ويلاحظ أن بعض الآباء قد يلجأون إلى أن يزجوا بأبنائهم فى مواقف يضطرون فيها إلى الكذب . وهذا لايتفق مع الحكمة والعدالة فى تربية الأبناء ، لأن الطفل يشعر أنه قد أرغم فعلا على الكذب . وعلى العكس من ذلك ، فإن من الأفضل كثيراً أن يشعر الطفل بحرية الاختيار بين الصدق والكذب ، حتى يَخْبُرَ ما لاتباع أسلوب الكذب من نتائج لايرضاها هو نفسه ولا يقرها المجتمع .

وقد يؤدى قلق الوالدين على محاولة تنشئة الطفل على الصدق ، إلى المبالغة فى كل عبارة يذكرها الطفل وكل فعل يصدر عنه وإلى التضييق عليه فى كل صغيرة وكبيرة حتى يتمشى مع ماينشدونه فيه من صدق . وهذا الأسلوب الصارم لايجدى كثيراً فى الإقلاع عن الكذب الذى لايجد الطفل مفراً من اللجوء إليه ، كمحاولة للظهور بالمظهر الذى يرغبه الوالدان

وثمة حقيقة ينبغى أن يعيها الآباء والكبار المحيطون بالطفل ، وهى أن الطفل يمر بفترة طويلة قبل أن يستطيع التفرقة بين الحقيقة والخيال ، وأنه كثيراً مايلجأ إلى أحلام اليقظة تعبيراً عما يجيش فى نفوسهم من آمال ورغبات لايمكن الإفصاح عنها إلا فى عالم الخيال ، وهنا نجد أن من الحكمة ألا نمنعه عن مثل هذا النوع من التفكير ، وأن نهيىء له الفرص التى يستطيع فيها أن يفصح عن نفسه . ولكن إلى جانب ذلك نساعده على التفرقة بين عالم الواقع وعالم الخيال ، وأن يدرك ماللحقيقة من أهمية فى حياتهم اليومية وفى مكانتهم الاجتماعية .

(ج) الجـــــولان

إن مشكلة الجولان ليست مشكلة كبيرة أو خطيرة ، إذ يلاحظ أن كثيراً من الأطفال يولعون بالطواف والتنقل أو الجولان Truancy فى الطرقات والشوارع يدفعهم إلى ذلك روح المغامرة ومحاولة اكتشاف آفاق أبعد من العالم الذى يتحركون فيه .

إن بعض الأطفال لايجدون فى بيئتهم مايشبع رغباتهم وميولهم القوية ، ولذلك يسعون وراء بيئة أكثر إشباعا لحياتهم الانفعالية . فمثلا قد يلجأ الطفل إلى الجولان سعياً وراء أماكن يستمتع فيها بالهواء الطلق أو بين أحضان الحقول أو على البحر أو فى الشوارع والميادين الجميلة ، كوسيلة تعوضه عما يفتقده فى بيئته . ولذلك فإنه من اللازم أن نهيىء له فى بيئته مايجذبه إليها ، وإلا هجرها والتمس

المتعة بعيداً عنها . بل وأن نعمل على أن نبذل كل جهد لاجتذاب الطفل إلى البيت وإلى مايحيط به ، وأن نستعين فى هذا بالأندية والملاعب وما إليها . ومن الأساليب المجدية فى سبيل تحقيق ذلك هو أن يرافق الآباء فى بعض الأحايين أبناءهم حتى يرشدوهم ويوجهوهم فيما يولعون به من مغامرات . وكثيراً ماتكون قصص المغامرات منفذاً يشبع نزعات الطفل ويصرفه عن التجوال .

وتؤدى المواقف التى يشعر فيها الطفل بالفشل أو توقع العقاب إلى دفع الطفل إلى الطواف والتجوال . فمثلا الطفل الذى يعانى من صعوبات فى مواقف الحياة المدرسية ، يلجأ إلى ذلك لتجنب الذهاب إلى المدرسة . كذلك الطفل الذى يتوقع دائما العقاب من والديه على كل كبيرة وصغيرة تصدر منه ، فإن خوفه من العقاب كثيراً مايكون عاملا هاما فى دفعه إلى الجولان .

ثالثاً ــ مثال للمشكلات الانفعالية

الغيـــرة

الغيرة شعور مؤلم ينتج عن أى اعتراض أو محاولة لإحباط مانبذله من جهد للحصول على شيء مرغوب فيه . وهذا الانفعال يلازمه شعور بجرح وحط لعزة النفس ، كما أنها لاتثير فى الطفل الغضب والحقد والشعور بالقصور فحسب ، بل إنها تؤدى إلى سوء التكيف بين الفرد وبيئته ، وإلى وقوعه نهباً للصراع .

والغيرة بين السنة الأولى والخامسة من العمر انفعال سَوِيّ شائع بين كثرة الأطفال ، غير أنه كثيراً مايتطرف هذا الانفعال ويطغى على الشخصية طغياناً يؤدى إلى عسر شديد فى توافق الفرد مع مجتمعه .

وتؤدى الغيرة إلى أضرار سيئة بصحة الطفل النفسية ، فقد تؤدى إلى شعوره بالعجز والقصور ، وتمتلىء نفسه بالشكوك والأوهام ، وتعوزه الثقة ويظن نفسه عاجزاً عن مواجهة أى موقف يتطلب جانبا من الثقة بالنفس . إن الطفل الغيور لايستقر على حال ، ولا يشعر بالراحة والهناء ، يختزن أحزانه ويبالغ فيها ، حتى يؤدى به شعوره إلى الظن بأن الدنيا بأجمعها تعمل ضده ، بل كثيراً مايكون سوء العلاقات العائلية راجعاً إلى أشكال الغيرة التى نشأت بين أفرادها فى مطالع الحياة .

ويؤكد علماء النفس أن كل الناس على حظ ولو ضئيل من الغيرة ، فلولا ذلك ماقام التنافس والاجتهاد بين الأفراد ، بل الجماعات أيضاً .. ولكن المشكلة مشكلة كمية ، فإذا زاد انفعال الغيرة عن الحد المألوف كانت من عوامل الشقاء والتعاسة .

وتختلف أسباب الغيرة باختلاف مراحل نمو الطفل ، ففى خلال السنوات التى تسبق ذهاب الطفل إلى المدرسة ، أى فى الفترة التى تسبق سن السادسة ، نلاحظ أن الكثيرين من الأطفال يقومون بنوع من السلوك يدل على الغيرة . ذلك إن الطفل بطبعه ميال دائما إلى أن يكون موضع انتباه ورعاية ومحبة والديه ، فإذا تصادف أن شاركه طفل آخر هذه المحبة فإنه يشعر بأنه مهدد ، وهذا الشعور من شأنه

أن يجعل الطفل ميالا إلى الاعتداء على ذلك الدخيل الذى شاركه محبة والديه . ويأخذ هذا الاعتداء مظاهر عدة منها جذب شعره ، أو ضربه ، أو إيقاع الأذى به ، وما هذه إلا مظاهر يعبر بها الطفل عن غيرته .

ومن الممكن أن نمنع نشوء الغيرة تجاه الوليد الجديد إذا صارحنا الطفل بأن عليه أن يتوقع أختاً أو أخا جديداً ، وأن نحدثه عن الميزات والمتعة التى سوف يجدها مع صديقه أو زميله المقبل حين يلعبان ويمرحان ، ولكن علينا أن ندلى إليه فى صراحة بما سوف يلقى عليه من تبعات ينبغى عليه القيام بها . وعندئذ فقط نجده يتطلع إلى هذه المفاجأة فى صبر نافذ . وشغف ملموس واضح . فإذا نحن أحسنا التصرف ـــ بصدد ماقد يكون أسوأ خبرة تمر بالطفل ـــ صارت هذه الخبرة مدعاة لسروره الحق ، وأخذ هو يتطلع إلى صحبة زميله الجديد فى اللعب أو إلى هذا المخلوق الذى سوف يكون عليه أن يحميه ويعنى به . وإذا حدث أن أصبح الطفل غيوراً من الوليد الجديد ، فلا ينبغى أن نزيد غيرته بالإغاظة ، أو بالنظر إليها على أنها مبعث للفكاهة والتندر . بل ينبغى أن يصطنع الآباء عدة أساليب مليئة بالرفق واللباقة لإقناع الطفل بأنه مازال محلا للعطف والرعاية ، وأنه لايزال عضوا فى العائلة له مكانته وتقديره .

ومن الأسباب الأخرى التى تولد الغيرة فى الصغار تعلق أحد الأطفال بأمه أو أبيه . وتوجه الغيرة فى هذه الحالات نحو الأب أو الأم أو نحو أى فرد آخر . ومن الأمثلة المشهورة على ذلك ماذكره

(فوستر) فى كتابه « الصحة العقلية » . المثال الأول لطفلة صغيرة متعلقة إلى حد كبير بأمها ، ولذا فقد كانت تشعر بغيرة شديدة عندما كان أبوها يظهر عطفا ومحبة نحو أمها . أما المثال الثانى فخاص بطفل كان إذا رأى أمه منشغلة عنه بالحديث مع إحدى جيرانها كان يحدث ضوضاء وجلبة فى المنزل ، وفى بعض الظروف الأخرى كان يكيل اللكمات لهذه السيدة ثم يجرى بعيدا منها .

تلك هى أسباب الغيرة فى السنوات التى تسبق الذهاب إلى المدرسة ، وعندما يكبر الطفل نجد أن أسباب الغيرة تأخذ فى التنوع ، ومن هذه الأسباب الجديدة شعور الطفل بالغيرة ممن يفوقونه فى اللعب أو فى التحصيل الدراسى . كذلك نجد أن الغيرة كثيرا ماتنهش الطفل إذا واصلنا المديح والثناء على أخ أو أخت ، وأخذنا نتحدث عن إخوته كأنهم نماذج تحتذى ، أو أغرقنا فى الإشارة إلى عجز الطفل الغيور وعيوبه ، إذ ليس هناك ماهو أكثر إيذاء وتدميرا من السخرية بالطفل أو بمقدرته وموازنتها بمقدرة طفل آخر ، لأن ذلك يبعث فى نفسه شعور المرارة والحقد .

أما الطريقة التى يعبر بها الأطفال عن شعورهم بالغيرة فتختلف اختلافا كبيرا ويحدد هذا الاختلاف درجة نضج الطفل العقلى وخبراته . فمثلا فى العامين الأولين من حياة الطفل فإنه يعبر عن انفعال الغيرة بالصياح وإحداث الجلبة والضوضاء . وإذا ماتقدم العمر به قليلا فإنه يعبر عن غيرته من إخوته بالاعتداء عليهم . وبعد ذلك نجد شعوره بالغيرة يأخذ مظهرا جديدا يكون على شكل مضايقة

وإغاظة الغير ، أو إظهار الضيق والتبرم ممن يسبب له هذا الشعور . وعندما يبلغ من العمر عشر سنوات نجد أن شعور الغيرة يكون على شكل التجسس ، أو الإيقاع ، أو الوشاية بالشخص الذى يغار منه . ويستعمل الأطفال فيما بين العاشرة والثانية عشرة هذه الأساليب بكثرة .

ولما كان نشوء الغيرة عند الطفل مرتبطا بالأنانية ، فإنه يجب علينا أن نعلمه أن عليه واجبات معينة إزاء عائلته ، ثم بعد ذلك إزاء الجماعة التى يعيش فيها ، وأنه إذا ركز كل اهتمامه حول نفسه لن ينال احترام الجماعة . يجب علينا إذن أن نعلمه كيف يشاطر غيره من الأطفال فى لعبه وفيما يملكه من كتب وأدوات وغير ذلك ، وأن يتعلم فى ألعابه كيف يعمل فى سبيل المجموع، وأن يعترف بخطئه ويبتسم للهزيمة . إننا ينبغى أن نعلمه أن المشاركة ، والكرم ، والأخذ والعطاء هى سمات الإنسان الناضج المتكامل .

* * *

المبحث الخامـــس

الصحـة النفسيـة للمراهـق

المراهــق وأســرته :

إن المراهقة فى نظر علم النفس الحديث مرحلة نمو طبيعى ، وإن المراهق لايتعرض لأزمة من أزمات النمو ، طالما سار هذا النمو فى مجراه الطبيعى ، وفقا لاتجاهات المراهق الانفعالية والاجتماعية .

إن من أهم المشكلات التى يتعرض لها المراهق فى حياته اليومية والتى تحول بينه وبين التكيف السليم ، هى علاقة المراهق بالراشدين ، وعلى وجه الخصوص الآباء ، ومكافحته التدريجية للتحرر من سلطتهم من أجل أن يصل إلى مستوى الكبار من حيث المركز والاستقلال .

تلك هى أمنية المراهق الأولى ، لكنه يدرك أن طريقة معاملته لاتتناسب مع ماوصل إليه من نضج وما طرأ عليه من تغيير ، وتحول بينه وبين تطلعه إلى التحرر والاستقلال ، وفى الكثير من الأحيان يجد من الآباء تدخلا فى شئونه الخاصة ، فينهالون عليه بأسئلة من هذا النوع : [أين كنت ؟ ومع من تذهب ؟ وما الذى تقرأه ؟ وما الذى استمعت إليه فى الراديو ؟ ..... إلخ] .

وفى هذه المظاهر من الحياة ، الممثلة فى الصراع مع سلطة الكبار يصبح عمل المنزل مشابها لعمل الشرطة .

إن المنزل الصالح ــ فى نظر علماء النفس والصحة النفسية ــ هو الذى يتعرف على حاجة المراهق إلى الاستقلال وصراعاته من أجل التحرر ، ثم يساعده ويشجعه بقدر الامكان ، ويتيح له الفرص والوسائل للاتجاه نحو مركز أكثر استقلالا ، كما يشجعه على تحمل المسئوليات واتخاذ القرارات والتخطيط للمستقبل . وهذا الفهم لمركز المراهق لايتأتى دفعة واحدة ، ولكنه محصول سنوات من الاستقلال التدريجى المتزايد وإبراز الذات . والأسرة هى التى ترسم الخطط لمراهقها ليتعلم الاعتماد على النفس فى سن مبكرة ، وإنها بذلك تعمل أحسن مافى وسعها لتأكيد نضج الفرد . إن هذا النوع من التوجيه ، يجب ألا يكون أمرا عرضيا ، ولكن يجب أن يأتى نتيجة لتفكير واع من الآباء . فالآباء يجب أن يسألوا أنفسهم على الدوام ، متى نستطيع أن نسمح لولدنا المراهق أن يفعل هذا أو ذاك؟، ماهى الفرص التى نسمح له بها ليمارس استقلاله ويكتسب الخبرات التى تظهر نضجه وتبرز ذاته ؟ .

إن أحسن سياسة تتبع مع المراهق هى سياسة احترام رغبته فى التحرر والاستقلال دون إهمال رعايته وتوجيهه . إن مثل هذه السياسة ستؤدى ، من جهة ، إلى خلق جو من الثقة بين الآباء وأبنائهم ، كما ستؤدى من جهة أخرى ، إلى وضع خطة واضحة نحو تكيف سليم ، يساعد المراهق على النمو والنضج والاتزان .

اختلاف الأجواء المنزلية وأثر ذلك على المراهق :

إن مستوى المراهق من التكيف والنمو ، يتوقف لدرجة كبيرة على اتجاه الوالدين وعلى الجو السيكولوجي والاجتماعي السائد فى المنزل . وليست الأجواء المنزلية من نمط واحد ، فهى تختلف من بيت لآخر ، فبعض البيوت تبدو على أنها أماكن طيبة لرعاية الأطفال ، بينما تبدو الأخرى على العكس منها .

وطالما أن للمنزل تأثيرا على سلوك الطفل ، فمن الضرورى لدارس المراهقة أن تكون لديه معلومات أكثر وأعمق عن أنماط المنازل ، وتأثيرها على الأطفال الذين يوجدون بها . فمعرفة مقومات المنزل الطيب بالمقارنة بالمنزل الردىء ، والدور الذى يلعبه كل منهما فى تشكيل نمط المراهق السلوكى ، هى الخطوة الأولى نحو فهم هذا المراهق وتوجيهه توجيها يحقق له التكيف السليم .

وسنعرض فيما يلى نماذج مختلفة من هذه المنازل ، لنرى إلى أى حد يؤثر اختلاف الجو السيكولوجى فى كل منها فى درجة تكيف الفرد :

(أ) المنــزل النابــذ :

أثبتت الدراسات المختلفة أن هناك من المنازل ماله طابع النبذ ، وهنا نسأل أنفسنا : من الذى يقوم بالنبذ فى المنزل ؟ هل هو الأب أو هو الأم ؟ أو هما معا ؟ وما الدور الذى يلعبه الأشقاء والشقيقات إن وجد ؟ هل يعيش الأقارب الكبار فى المنزل ؟ وإن كان كذلك ، فما

الدور الذى يلعبونه ؟ مادور الضيف الطارىء أو صديق الأسرة ؟ مامصادر الاطمئنان والحب التى يحصل عليها المراهق فى خارج المنزل ؟ كل هذه العوامل السابقة ، وغيرها كثيرة ، يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عندما نعالج موضوع المنزل النابذ . فمثلا ، من الممكن أن يكون هناك أب ينبذ ، وأم تسرف فى العطف فى نفس المنزل . ومثل هذا الارتباط يؤدى إلى نظام غير مستقر وصراع أبوى ، وإلى القبول والنبذ فى نفس الوقت . وهذه أمور بالطبع لاتساعد على النمو النفسى الهادىء ولا تساعد كذلك على التكيف السليم .

ويصف « بولدوين » المنزل النابذ بأنه « منعدم التكيف » ويتصف بالصراع والمشاجرات والاستياء بين الأب وأبنائه ، والذى يفتقر بدرجة كبيرة إلى العلاقات الاجتماعية الطيبة ، سواء بين أفراد العائلة أو مع العالم الخارجى ، ويحس المراهق عن طريق حياته فى مثل هذه العائلة ، بأن اهتماماته ورغباته تنكر ، أو تعتبر غير مهمة . وعندما يسعى لإثارة اهتمام والديه ، أو يجاهد ليؤكد نفسه ، فإنه يقابل بانكار جائر ، وربما يعاقب بدنيا . وفى كل هذا لايحاول الأب أن يفهم ولده المراهق ، ولا يعطف عليه ، لأنه غير مرغوب فيه .

ونستطيع أن نقسم نبذ الآباء للأبناء قسمين مختلفين : فالنبذ يمكن أن يكون نبذا دائما منذ البداية ، حيث يشعر الآباء فى أمثال هذه الحالات بعدم حبهم لأبنائهم . ويلاحظ « بولدوين » فى وصفه لهذا الأب الذى ينبذ ابنه نبذا مستمرا ، بأنه يحاول إخضاعه إلى القواعد السلوكية الحديدية ، وهم لذلك كثيرا مايتخذون مقاييس من القسوة والصرامة بلا سبب ظاهر ، أكثر من الرغبة فى الحرمان ،

أما الصنف الثانى من النبذ فيكون على شكل تجاهل لرغبات الابناء . فهناك نوع من الآباء يهملون أبناءهم ولا يعملون معهم شيئا . وفى العادة يكون لدى المراهق فى مثل هذه العائلة قدر كبير من الاستقلال ، طالما أنه لايتطفل على نشاط والديه أو يفرض نفسه عليهما . وإذا كانت الأسرة متيسرة ماليا ، فإنها غالبا ماترسل أبناءها إلى مدرسة داخلية حيث يشعر الآباء بالارتياح لبعد بنيهم عنهم . أما فى الأسر الأقل رعاية فيعمد المراهق إلى قضاء مزيد من وقته خارج المنزل ويتأخر فى العودة إليه ليرضى حاجته إلى الأمن بمصاحبته « شلة » أو جماعة تتألف غالبا من مجموعة من الأولاد الأكبر منه سنا .

والنتيجة التى نخرج بها أن كلا النوعين منذ النبذ ينتج مراهقا غير متكيف ، يميل إلى قضاء مزيد من وقته خارج المنزل . أما بالنسبة للفتيات ، على وجه الخصوص ، فإن الفتاة قد تتزوج زيجة غير معقولة ، اعتقادا منها أن أى منزل سيكون أحسن من منزلها .

(ب) المنزل الديمقراطى :

هذا النمط من المنازل يعتبر عاملا من عوامل التكيف الطيب ، فسياسة مثل هذا المنزل تقوم على الحرية والديمقراطية ، فالأبوان يحترمان فردية المراهق ، ولا يفرضان أية سلطة فى توجيهه . إن الآباء الديمقراطيين يعملون جهدهم لإعطاء المراهق كل المعلومات التى يريدها والتى يحتاجها حتى يمكن أن يحسم قراراته بعد معرفة كافية للاحتمالات والنتائج المختلفة . وهذه الوسائل تعمد لأن تعطى المراهق حرية متزايدة واختيارا أوسع ومعلومات أكثر .

إن المراهق الذى يعيش فى منزل من هذا النوع لديه فرصة أفضل للعمل نحو استقلاله ، ووسيلة المنزل الديمقراطى لتحقيق هذا المبدأ يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ــ احترام شخصية المراهق فى المنزل .

٢ ــ العمل على تنمية شخصيته ، والنظر إليها على أنها شخصية فريدة لها قدراتها وميولها واتجاهاتها ، ولابد أن تتاح لها فرصة التنمية إلى أقصى حد ممكن .

٣ ــ إعطاء المراهق الحرية فى تفكيره وتعبيره وفى اختيار نوع عمله ، فى حدود مصلحة الجماعة وأهدافها العامة ، وهكذا تصير الحرية فى المنزل حرية تحدها ضوابط اجتماعية ، فيكون مثلها كمثل حركة المرور فى ميدان من الميادين العامة ، لابد لها من إشارات وقواعد ولوائح تتيح لكل فرد أن يتجه الوجهة التى يرغبها فى سلام وأمان ، دون أن يتعرض لسلامة غيره .

ويختلف طابع النظام داخل هذا الإطار عن النظام فى جو المنزل النابذ الذى يقوم على الشدة والإرهاب والحرمان والإهمال . فالنظام فى المنزل الديمقراطى يقوم على النشاط والحركة والحيوية والإيجابية والتفاعل والتعاون .

وبعد ... فأى عظ نمط من النمطين السابقين نرتضيه لمراهقينا حتى نحقق لهم النضج والتكيف الاجتماعى والنفسى ؟ .

إن أساليب المنزل الديمقراطى تخلق مراهقة تستطيع أن تتحمل التبعات وتمارس أعباء الحياة .. تخلق مراهقة مستنيرة قادرة على

التفكير السليم والتعاون وتحمل المسئولية والنهوض بالمجتمع ، ولا شك أن هذه الأهداف ، لايمكن تحقيقها إلا إذا توافر لمنازلها الجو الديمقراطى السليم ، الذى تسوده علاقات طيبة ، ويمارس فيه الأفراد الحياة الاجتماعية المنشودة .

(جـ) المنزل المتسامح :

كذلك يوضح العلماء أن أسلوب المنزل القائم على التساهل الزائد أو على الحماية الزائدة من شأنه أن يعيق نمو السلوك الاستقلالى لدى المراهق أو المراهقة ، ويقول « هاتويك » : إن المراهقين الذين تظهر منازلهم اهتماما زائدا بهم ، يكون سلوكهم أقرب إلى سلوك الأطفال .

ومثل هذا النوع يلاقى صعوبات جمة فى تكيفه مع العالم الخارجى ، فاهتمام الأبوين الزائد يقود المراهق إلى توقع الاهتمام والمساعدة من الآخرين ، ويجعله يحاول أن يلفت إليه الاهتمام متصورا أن مثل هذا الاهتمام حق من حقوقه ، ونراه يسعى خارج المنزل إلى أن يكون محور كل موقف يمر به .

وقد لوحظ مثلا أن الفتاة المراهقة التى تعامل فى المنزل بتساهل زائد ، عادة ماتجد صعوبة فى الانفصال عن أبويها ، وعندما تتزوج لاترضى أن تصاحب زوجها إلى جهة عمله إذا كانت خارج المدينة التى يعيش فيها أبواها ، وربما تصر على السكنى فى نفس الحى أو نفس المنزل الذى يقيمان فيه حتى تستطيع الاستمرار فى الاعتماد عليهما وطلب مشورتهما فى كل شئونها :

العوامل البيئية التى تؤثر فى المراهقين :

هناك عوامل بيئية متعددة يمكن أن تظهر فى بيت أى مراهق ، وتؤثر على درجة تكيفه . وبعض هذه العوامل يتصل بالجو السائد فى المنزل ، هل هو من النوع الذى يسوده الوئام ، أم هو من النوع المفكك ، والبعض الآخر عوامل لها علاقة بالمركز الاجتماعى والاقتصادى للأسرة ، ثم هناك بالإضافة إلى ماسبق ، عوامل أخرى تلعب دورا هاما فى النمو ، مثل ترتيب ووضع المراهق فى العائلة ، وكذلك الاختلافات فى الجنس .

١ ــ البيت المفكك :

عرف البيت المفكك ــ منذ زمن ــ على أنه نقطة رئيسية فى انعدام التكيف . وهناك عدة عوامل تؤدى إلى تفكك البيت : الطلاق ، الانفصال ، كثرة الغياب عن المنزل بسبب العمل ، توظف الأم ، وفاة أحد الوالدين .. إلخ .

وقد أثبتت الدراسات المختلفة أن المراهقين الذين كانوا يعيشون فى بيون مفككة يعانون من المشكلات العاطفية والسلوكية والصحية والاجتماعية بدرجة أكثر من المراهقين الذين كانوا يعيشون فى بيوت عادية . ولقد ثبت كذلك أن غالبية المطرودين من المدرسة بسبب سوء التكيف ، كانوا من بين أبناء البيوت المفككة ، وكذلك اتضح أن الأطفال الذين انفصل أبواهم أو طلقا ، ظهر عندهم ميل شديد للغضب ورغبة فى الانطواء ، كما كانوا أقل حساسية للقبول الاجتماعى ، وأقل قدرة على ضبط النفس وأكثر ضيقا .

وقد قرر « هيلى » أن الشجار المتعاقب فى المنزل هو سبب أساسى للجناح[1] ، وخاصة إذا عمد الوالدان إلى اتخاذ الطفل محورا لشجارهما .

فإذا كنا نبغى للمراهق أو الطفل نموا عاديا ، وجب أن يعيش فى جو من الاطمئنان والعطف بين عالم الكبار المحيط به . أما إذا كان البيت يسود فيه الشجار المتصل ، فسوف تظهر آثار ذلك واضحة على شخصية وسعادة المراهق ، لأن هذا الجو المضطرب يمنعه من الحصول على الحنان اللازم من والديه .

٢ ــ ترتيب وضع المراهق فى العائلة :

إن أطفال الأسرة الواحدة يؤثر بعضهم فى بعض تأثيرا له مميزاته وخصائصه . وإنه مما يدعو إلى العجب أن تأثيرهم على بعضهم يكون عظيماً . وقد يفوق هذا التأثير مايحدثه الكبار فيهم من أثر . ذلك لأن أطفال الأسرة الواحدة يلعبون معا ، ويقضون معا وقتا أطول من الوقت الذى يقضونه مع الكبار .

وكثيرا ماتنشأ علاقات وطيدة بين الأخ والأخت أو بين الأخوين ، على الرغم من اختلافهما فى السن ،وعندما يصبح الأكبر حاميا ، فقد يتدخل فى عملية استقلال أخيه الأصغر وتحرره ، لكننا نلاحظ أن صراع الصغير ضد حكم الأخ الأكبر لايكون بنفس الدرجة التى يقاوم بها سيطرة أبويه .

---

(١) الجناح يعنى الإنحراف بالنسبة للأحداث .

وبالنسبة لترتيب الأخوة فى الأسرة يبرز التساؤل :

ــ هل الأطفال الأصغر دائما مايحمون حماية زائدة ؟

ــ وهل الأطفال الأكبر يجدون قبولا أكبر أو أقل عندما يأتى أطفال آخرون ؟

ــ وهل يكون المولود الأول مفضلا دائماً ؟

ــ وما مركز الإبن الأخير والإبن الوحيد ؟

ــ وهل يعتبر ترتيب الفرد بين اخوته عاملاً هاماً فى تثبيت شخصيته ، أو فى إنشاء أنماط محددة للصعوبة فى التكيف ؟

إن مركز الطفل الأول فى الأسرة يتيح له فرصاً طيبة لكى ينمو ويزيد من قدرته على القيادة ، وربما يجعل نفسه رئيساً لإخوته وأخواته . ويقول (أدلر) : « هناك فرق أساسى من ناحية النمو النفسي بين المولود الأول والمولود الثانى . فقد لوحظ أن للطفل الأول مركزاً خاصاً فى الأسرة ، فهو عندما يولد يكون موضع الرعاية والاهتمام لأنه الطفل الوحيد » .

أما مركز الطفل الثانى ، فهو مركز لايحسد عليه ، ذلك أننا نلاحظ أن وجود الطفل الأول فى الأسرة يؤثر فى الطفل الثانى وخاصة إذا كان الفارق فى السن بينهما ملحوظاً فعندما ينمو الطفل الثانى ويترعرع ويدرك ماحوله ، لايجد الوالدين من حوله فحسب بل يجد كذلك فى الميدان أخاه الأكبر الذى سبقه فى الميلاد والذى يفوقه قوة ويكبر عنه جسماً ووزناً . وكلما ازداد إدراك الطفل الثانى يلاحظ أنه أصبح فى مرتبة ثانوية فى المعاملة ، فمثلا تعطى له اللعب

القديمة بعد أن يكون أخوه قد تسلمها جديدة واستعملها ، وتعطى له كذلك ملابس أخيه القديمة . والذى يزيد الطين بلة ، ميلاد طفل ثالث فى الأسرة ، يصبح موضع رعاية جديدة من الوالدين ، فيقل تبعاً لذلك مقدار الرعاية التى كانت توجه إليه ، وهنا يأخذ الطفل الثانى ترتيباً جديداً بين الأخوة فيصبح طفلاً أوسط . إن مركز الطفل الأوسط لايحسد عليه إذ أنه يكون مهاجماً من الأمام (عن طريق الأخ الأكبر) ومن الخلف عن طريق الأخ الصغير ؟ .

أما عن الطفل الأخير فى الأسرة ، فإن مركزه تحدده عدة عوامل نذكر منها أنه عادة مايكون هناك اختلاف فى معاملة الوالدين له عن بقية الاخوة والأخوات ، مع ميلهما لإطالة مدة طفولته ، لأنهما حينئذ يكونان غالباً قد تقدم بهما السن وأصبح أملهما فى إنجاب الأطفال محدودا ، ويمكن اعتبار ذلك نوعا من النكوص نحو الشباب ، وفى بعض الحالات نجد أن الطفل الأخير يكون موضع رعاية خاصة وتدليل من الوالدين أو من أحدهما ، وهنا تدب نار الغيرة والحقد فى نفوس إخوته ، كما يتهمون الوالدين بالتراخى فى تربية الطفل . وتذكرنا أمثال هذه الحالات بقصة سيدنا يوسف ، وما تعرض له من إيذاء نتيجة كره إخوته له لإيثار والديه إياه بالعطف الزائد .

ويحدث أحيانا أن يكون فى الأسرة طفل وحيد ، ويبدو أن فرص إقامة تكيف اجتماعى بالنسبة لهذا الطفل محدودة . فإن دراسة سلوك الطفل الوحيد تلقى ضوءا على مقدار مايفتقر إليه هذا الطفل

من خبرات يمكن أن يكتسبها لو أن له قرناء فى نفس الأسرة . فعن طريق المقارنة يتبين الدور الذى يؤديه التفاعل بين الإخوة والأخوات فى تكوين شخصية الأطفال وفى نموهم . وقد ذكر (بوسارد)(١) أربع صعوبات تواجه نمو الطفل الوحيد فهو يفتقر إلى الآخرين الذين يشاركهم ويلعب معهم كما يكون موضع عاطفة قوية من جانب الوالدين ، وربما يكون الوالدان من النوع القلق المضطرب البال ، ويترتب على ذلك أن يصبح الطفل موضع اهتمام زائد ، أو يحاط نموه الانفعالى بسياج يحول بينه وبين النمو الطبيعى .

وبسبب مايواجه الطفل الوحيد من صعوبات ، ينشأ ــ غالباً ــ نشأة لاتساعده على التكيف الاجتماعى ، فنجده عنيداً ، صعباً ، حساساً ، ميالاً إلى العزلة ، متردداً ، كثير الاعتماد على والديه . وهذه كلها صفات لاتدل على النضج الكامل .

٣ ــ الاختلافات فى الجنس :

فى السنوات الأولى من حياة الطفل تكون ميول الذكور والإناث مشتركة ، بدرجة تجعلهم غير متنافرين ، وعندما تتقدم بهم السن قليلا نلاحظ مظاهر الفرقة بينهم وتأخذ هذه الفرقة المظاهر الآتية :

(أ) شعور الصبى بالسيطرة على البنت لأنه ذكر ، وهنا تشعر البنت بالحقد على الذكر ، وفى الوقت نفسه تأخذ فى الشعور بأنها أقل منه منزلة .

---

(١) جيمس بوسارد : النمو الاجتماعى للأطفال (١٩٤٨) .

(ب) يخلق الوالدان فى الأسرة معايير خاصة بالصبى تختلف عن معايير البنت ، فما يقوم به الصبى من السلوك ، قد ترفضه الأسرة إذا قامت به البنت ،وهنا يمنح الأولاد الذكور من الحقوق والامتيازات مايحرم على البنت . إن هذه التفرقة فى المعاملة بين الصبى والصبية تؤثر فى علاقة كل منهما مع الآخر ، مما يؤدى إلى إشعال نيران الغيرة فى نفوس البنات نحو إخوتهم الذكور .

(جـ) وقد تنكر الأسرة أيضا سيطرة الأخت الكبرى على إخوتها الذكور الصغار ، بل وربما يحل محل ذلك سطوة الإخوة الصغار على أختهم الكبرى .

كل هذه عوامل تعوق نمو شخصية الفتاة المراهقة ، وتجعلها تشعر بالضيق أحيانا وبالدونية أحيانا أخرى . إن التكيف الحقيقى لايتم إلا فى جو من الحرية والشعور بالأهمية . وكلما ثبت المركز الاجتماعى للفتاة فى الأسرة ، كلما كان الدور أو الأدوار التى تقوم بها من النوع الايجابى البناء . إن نمو الشخصية بوجه عام عملية متصلة تتأثر منذ بداية الحياة وتتشكل بحسب ظروف الأسرة والمراكز الاجتماعية التى يشغلها الفرد فى داخل نطاقها وفى خارجها .

* * *

المبحــث الســادس

الأســرة وبنــاء شخصيــة المســلم

- قال الله تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا ﴾ .

(سورة الأعراف : ٥٨)

- وقال النبى ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

(رواه البيهقى والطبرانى وغيرهما)

- وقال الشاعر :

وينشـــأ ناشىء الفتيــان منا

علــى ماكـــان عـــوده أبوه

أولاً : بناء الأسرة فى الإسلام

الموقع الأول لبناء الإنسان :

الأسرة هي اللبنة الأولى فى بناء أى مجتمع وهى الموقع الأول لبناء الإنسان ، من أجل ذلك فإن منهج الإسلام فى التربية السلوكية يبدأ مبكرا جدا إذ يعود إلى بناء الأسرة أصلا باعتبارها الأساس الذى لايصلح البناء بدونه فأحاطها بضمانات قوية منذ نشأتها حتى يضمن إيجاد الأسرة الإسلامية القوية المتحابة المتضامنة السعيدة ، ويضمن بالتالى بناء الإنسان صحيح الجسم والعقل والنفس ، ويضمن بالتالى بناء المجتمع الإسلامى القوى السعيد .

المناخ الدينى :

وقد أجمعت الدراسات النفسية والتربوية على أهمية البيت والأسرة فى تكوين شخصية الإنسان وفى تشكيل سلوكه فى الحياة يافعا وراشدا وكبيرا ، ومن هنا يجىء الاهتمام بالروح الدينى الذى يجب أن يسود البيت ممثلا فى صلاح الوالدين والكبار من الأسرة وقيامهم بفرائض الدين وبعدهم عن المنكرات والآثام والتزامهم حدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادىء الدين فى القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والإيمان فى نفوسهم .

ومن الثابت عملياً أن الطفل الذى ينشأ فى بيت كهذا البيت ، يبدأ حياته محصناً من كثير من الأمراض السلوكية والفكرية ويتميز فى

مرحلة المراهقة والشباب بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة وعلى هذا المعنى اتفقت الدراسات الإسلامية والتربوية والأخلاقية ، وممن نبه إليه من علماء المسلمين وجعله ركناً فى بناء منهجه التربوى الإمام الغزالى فى مختلف كتبه وبخاصة « إحياء علوم الدين » إذ عقد باباً لرياضة الصبيان فى أول نشوئهم قرر فيه : أن الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة .. وهو قابل لكل ماينقش ، ومائل إلى كل مايحال به إليه ، فإن عوده الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة .. وإذا بلغ سن التمييز فينبغى ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان . فإذا وقع نشوءه كذلك فى الصبا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً ، يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وإن وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبو الحائط عن التراب اليابس .

وقد قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » (رواه أحمد ومسلم) وتضييعه يكون بالإهمال فى تربيته تربية دينية سليمة أو بعدم الإنفاق عليه .

ومدح الله إسماعيل عليه السلام بأنه كما يقول ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً** ﴾ (سورة مريم ٥٥) كما مدح من قال ﴿ **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين** ﴾ (سورة الأحقاف ١٥) فقال تعالى :

﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون** ﴾ (سورة الأحقاف ١٦) .

ولدت لصديق لى طفلة سماها « آمنة » ، وذهبت لزيارته فى بيته يوما ، فمرت بنا المربية الصغيرة تحمل الطفلة ، وكانت فى شهورها الأولى ، وما كادت الطفلة تلمح أباها حتى مالت بجسمها نحوه لكى يحملها فحملها ،وهنا رأيت صورة نادرة تسحر الألباب .. فلقد أخذ صديقى يهدهد طفلته بترديد « لا إله إلا الله » والطفلة تهتز طربا ونشوة ! ثم حملتها المربية إلى داخل البيت ، وعدنا نحن إلى حديثنا ، وفى لحظة من لحظات السكون ترامى إلى سمعى صوت المربية وهى تردد على مسامع الطفلة : « الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .. » إلى آخر الذكر الذى يردده الناس فى العيدين !

إنها حقا صورة رائعة للبيت المسلم الذى يسوده المناخ الدينى الصالح لتنشئة الطفل ، وهذا المناخ بطبيعة الحال ، مطلب حيوى لسلامة الغرس والبناء .

عناية الإسلام بالأسرة :

والأسرة تبدأ من شخصين زوج وزوجة .. وهما الحجر الأساسى فى بنائها ، أو هما التربة التى تنشأ فيها شجرة الأسرة ، وتنمو وتثمر ، وعلى قدر صلاحيتها وسلامتها ، يكون النبات الذى ينبت فيها وتكون الثمرة .

﴿ والبلدُ الطيبُ يَخرجُ نباتُه بإذن ربه والذى خَبُثَ لايَخرُجُ إلا نَكِداً ﴾ (سورة الأعراف ٥٨) .

ومن أجل هذا يوجه الإسلام عناية خاصة لإيجاد هذا الأساس وتوفير هذه التربة فيقول الرسول ﷺ : « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » .

اختيار كل من الزوجين للآخر :

ومن أجل هذا يوجه الإسلام عناية خاصة لإيجاد هذا الأساس وتوفير هذه التربة فيقول الرسول ﷺ : « تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم » .

ويرشدنا إلى مانختاره ، ويؤثر لنا أن نختار الزوجة ذات الخلق والدين ، فيقول « فاظفر بذات الدين »(١) كما يحذرنا من الانخداع بجمال المرأة التى نشأت فى بيئة فاسدة لما قد يحمل هذا الزواج من خطر على الحياة الزوجية أو على الأبناء فيقول : « إياكم وخضراء الدمن . قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء » ، ومن الطبيعى أن مايصدق على المرأة فى هذا الصدد يصدق على الرجل . لذلك يوجه الإسلام والد الفتاة أو ولى أمرها أن يختار لها رجلا صاحب دين وخلق ، وينذر كل جماعة تهدر ناحية الدين والخلق حال اختيار الزوج وتؤثر عليها ناحية المال أو النسب فيقول :

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى السنن والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن وقال عنه صحيح الاسناد .

« إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »(١) .

وضرب لنا رسول الله ﷺ هو وصحابته والتابعون رضوان الله عليهم أمثلة حية فى هذه الناحية ، حين كانوا يفضلون المولى صاحب الدين والخلق والسبق فى الإسلام ، على القرشي الغنى ، وقد علمنا من التاريخ أن سعيد بن المسيب رضى الله عنه آثر لابنته تلميذاً له فقيراً على خليفة من خلفاء المسلمين ، لأنه رأى أن تلميذه أسلم ديناً وأقوى خلقاً .

وقد بلغ من حرص الإسلام على البناء السعيد للأسرة اننا وجدنا الرسول ﷺ يصدر كثيراً من الوصايا والتوجيهات للراغبين فى الزواج تضمن لهم بناء البيت السعيد فمنها قوله : « مااستفاد مؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

حق كل من الزوجين على الآخر :

ولم يقف الإسلام عند هذا الحد الأول فى تكوين الأسرة ، بل واصل رعايته لها فأوصى كلا من الزوج والزوجة بحسن المعاشرة ، أوصى الزوج بأن يرفق بزوجته ، ويلين لها جانبه فإن المرأة : « خلقت من ضلع أعوج فإذا ذهبت تقيمه كسرته ، فاستوصوا

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ورمز له السيوطى بالصحة .

بالنساء خيراً » ، كما أوصى الزوجة أن تكون سنداً لزوجها وراعية أمينة على بيته حافظة لشرفه وكرامته .

حـــب الأطفـــال :

وحديث القرآن عن الطفولة حديث كله حب وسماحة وثراء وعاطفة ، فهم بشرى وهم قرة عين وهم نعمة جليلة ، لذلك نجد عباد الرحمن متصفين بحب الأطفال ، فهم إلى جانب ماتصفوا به من التقوى والمعاملة الحسنة وعدم الكبرياء وسهرهم للعبادة ، يحبون الأطفال ، فحب الأطفال سمة من سماتهم الطيبة التى يحبهم الله من أجلها ، واختصهم لذلك بأنهم عباده ، فهم يدعون الله أن يرزقهم من نعمة الذرية وأن يحببهم فى الطفولة : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما** ﴾ (سورة الفرقان ٧٤ ـــ ٧٦) .

والرسول ﷺ يتنسم فى الطفولة وفى الطفل ريح الجنة ، فيقول : « ريح الولد من ريح الجنة » (رواه الطبرانى فى الأوسط) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « الولد ثمرة القلب » (رواه أبو يعلى فى مسنده) وثمرة القلب قمة الرجاء والأمل والحب والتعلق بالحياة والخير والجمال والبشرى الطيبة .

ويصور لنا عليه السلام الولد بصورة من أقوى الصور وأبلغها فيقول : « ماولد فى أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن » (رواه البيهقى والطبرانى فى الأوسط) .

وكان عليه السلام يتخفف فى الصلاة إذا سمع بكاء الطفل ، وقد مر ذات يوم فى الفجر ببيت فاطمة ابنته وهو فى طريقه إلى الصلاة فبلغ مسمعه بكاء الحسين فحث فاطمة منبها وقال لها : « أو ماعلمت أن بكاءه يؤذينى » ؟ .

ثم إن الإسلام لم يهمل علاج المشاكل التى قد تنشأ بين الأسرة ، بل وضع لكل مشكلة علاجها ،وهدفه من ذلك توفير الجو الصالح ، لتسير الأسرة فى حياتها هانئة وادعة وينشأ الأولاد نشأة كريمة صالحة ..

حقوق الآباء علي الأبناء :

وحين يميز الأولاد ويشبون يوجههم الإسلام إلى طاعة الوالدين ،والاستماع لتوجيهاتهما لما فيها من خير لهم ، وإحسان معاملتهما ، والبر بهما ، تقديراً لجهودهما ولما تحملاه من متاعب ، ومصاعب وآلام ، فى سبيل تربيتهم ،وجعل الإساءة إليهما من أكبر الذنوب التى يجنى الإبن عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة .

قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ . (سورة الإسراء ٢٣ ــ ٢٤) .

وما أروع قول الرسول ﷺ لمن جاء يشكو له أن أباه أخذ ماله . فيقول له : « أنت ومالك لأبيك » (رواه مسلم) . وروى

أحمد عن عبدالله بن عمر قال جاء رجل لرسول الله ﷺ فقال : إنى جئت لأبايعك وتركت أبوى يبكيان . قال : « فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » (رواه أحمد فى مسنده) .

وقال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله . فقال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين » . متفق عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضا : « كل الذنوب يؤخر الله مايشاء منها إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجل لصاحبه فى الحياة الدنيا قبل الممات » . وقال أيضا : « لايدخل الجنة منان ولا عاق لوالديه ولا مدمن خمر » (رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو) .

حقوق الأخوة والأخوات بعضهم على بعض :

وأوصى الرسول كذلك أن يحسن الأخ معاملة أخيه وأخته ، وكل الذين يعيشون حوله فى محيط الأسرة ، مراعاة لحقوق القرابة ، وتدعيما للروابط بين الأسرة .. فقد روى أبو داود أنه قيل : يارسول الله من أبر ؟ قال : « أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى يلى ذلك ، هو واجب ورحم موصولة »(١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يسمى علقمة .. وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة .. فمرض فاشتد مرضه فبعث امرأته إلى رسول الله أن زوجى فى النزع الأخير فأردت أن أعلمك بحاله .. فقال رسول الله

(١) البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

لبلال وجماعة من أصحابه اذهبوا إلى علقمة .. فدخلوا عليه فقالوا : قل لا إله إلا الله .. فلم ينطق لسانه .. فلما أيقنوا أنه هالك بعثوا إلى رسول الله ليخبروه بحاله .. فقال رسول الله ﷺ : « هل له أبوان ؟ فقيل أما أبوه فقد مات وله أم كبيرة السن .. فقال : يابلال انطلق إلى أم علقمة فأقرئها منى السلام .. وقل لها إن قدرت على المجىء إلى رسول الله وإلا فانتظرى حتى يأتيك .. فأخبرها فقالت : نفسى لنفسه الفداء .. أنا أحق بإتيانه .. فأخذت العصا حتى دخلت على رسول الله .. فقال : أصدقينى كيف حال علقمة .. ؟ قالت : كان يصلى ويتصدق .. قال : فما حالك وحاله ؟ فقالت : إنى عليه ساخطة واجدة .. قال : ولم ذلك ؟ قالت : ربيته صغيراً .. فضيعنى كبيراً .. كنت أجوع نفسى وأطعمه .. وأعرى جسدى وأكسوه .. فلما تزوج أهملنى .. يطعم أولاده ويجوعنى .. ويبتسم لزوجته ويتجهم فى وجهى .. ويطيعها ويعصينى .. فقال ﷺ : سخط أمه حجب لسانه عن قول لا إله إلا الله .. ثم قال : يابلال انطلق واجمع حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار .. فقالت الأم : يارسول الله إنه ولدى وفلذة كبدى وثمرة فؤادى .. تحرقه بالنار بين يدى ؟ . فقال : ياأم علقمة .. عذاب الله أشد .. فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه .. فوالذى نفسى بيده لاتنفعه الصلاة ولا الصدقة مادمت عليه ساخطة .. فرفعت يديها وقالت : يارسول الله أشهد الله فى سمائه وأشهدك ومن حضرنى أنى قد رضيت عن علقمة .. فانطلق بلال فوجد علقمة ينطق بالشهادة حتى مات فى يومه .. فأمر بغسله وتكفينه .. وصلى عليه .. ثم قام على شفير القبر وقال : يامعشر

المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله .. ولا يقبل الله منه عدلا ولا صرفاً ..

نعم إن الأم هى الصدر الحانى .. واليد الناعمة .. واللمسة الشافية .. وهى منبع الخير .. ومصدر الفضل .. إنها تشقى لنسعد .. وتحترق لننعم .. وتضحى لنهنأ .. إنها الواحة الخضراء .. وسط بيداء الحياة المليئة بالأشـواك .. فهل من الوفاء أن نهملها ؟ . وهل من الولاء أن نحرمها ؟ . ألم يقل رسول الله ﷺ : « الجنة تحت أقدام الأمهات » (رواه مسلم) .. ولقد روى أن بعض الصحابة كان يقبل رجل أمه كل صباح .. ولما سئل عن ذلك قال : إننى أقبل أعتاب الجنة .. فإن غضب الأم يهتز له عرش الرحمن .. ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ .

تنظيـم الميـراث :

ولم يعمل الإسلام على توسيع دائرة الميراث فى الأسرة عما كان عليه العمل فى الجاهلية ولا زال مثله فى أوربا حتى الآن إلا كوسيلة من وسائل تدعيم الروابط بين أفراد الأسرة ،وشد أفرادها بعضهم إلى بعض ، فنزل القرآن ينظم الميراث ويعين المستحقين له وأنصبتهم فى التركة ، فى آيات متعددة منه .

ثم لم يهمل مع ذلك بقية أفراد الأسرة ، الذين لم يجعل لهم نصيبا فى الميراث ، بل أوصى ببرهم وإعطائهم شيئا من التركة ، استرضاء لنفوسهم ، واستدامة للروابط العائلية وتقويتها بينهم ، فقال تعالى :

﴿ **وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا** ﴾[1] وبجوار ماقرره من المشاركة فى الميراث ، أوجب أن يتضامن أفراد الأسرة ،ويحمل الغنى منهم الفقير ، ويعينه على أعباء معيشته ، كما أوجب على الوارثين أن يتحملوا مشتركين الديات ، التى تجب على واحد منهم لخطأ ارتكبه فى قتل نفس ، حتى يكون مظهر التضامن تاما فى الأسرة فى حالتى الغنم والغرم .

إذا لاحظنا أن الإسلام حين يقرر ذلك ويوصى به ، لايجعله مجرد علاقة مادية دنيوية بين القريب وقريبه ، بل يجعله من طاعة الإنسان لخالقه ورازقه يثيبه عليه ، حتى اللقمة يضعها الإنسان فى فم امرأته صدقة ، حتى حسن تربية الأولاد وكفالتهم ، وهو أمر غريزى طبيعى ، يثيبه الله عليه ، إذا لاحظنا ذلك كله عرفنا مدى عناية الإسلام بالأسرة وحرصه على سلامة كيانها وتوفير السعادة لها .

ولا تزال الأسرة الإسلامية بخير وهناءة بصلاتها ، ماحرصت على التوجيه الإسلامى لها ، وأخذت به فى حياتها ، فإننا نرى من مظاهر الحياة الأسرية فى الغرب ،وتفكك الروابط فيها ، وسيطرة الروح المادية وزحفها على أسرنا فى الشرق ، مايجعلنا نوصى المسلمين بالحرص على تنظيم الإسلام لشئون الأسرة ،والمحافظة على العلاقات الروحية ، التى أوجدها الإسلام بينها ، حتى نسعد بذلك فى دنيانا وآخرتنا .

---

(١) سورة النساء : ٨ .

وقاية الأسرة من ظهور الصفات الوراثية السيئة فى الأبناء :

كذلك يوجه الإسلام من يريد الزواج إلى أن يتخير الزوجة الصالحة من الناحية الوراثية الجسمية ومن ناحية الصفات الوراثية النفسية ، فقد نصح الرسول عليه الصلاة والسلام بالابتعاد عن زواج القريبة الشديدة القرابة لما يتعرض له هذا الزواج غالباً من ظهور الصفات الوراثية السيئة فى الأبناء فقال : « اغتربوا لاتضووا » (أى حتى لاتضعفوا) .

وفى ظل هذه الزيجة الصالحة والبيت الهانىء السعيد ينشأ الأولاد ويشبون ، ومن الطبيعى أن يمد الإسلام رعايته لهذا النبت الجديد ، فينظم له أمر رضاعته ونفقته وحضانته وتعليمه وتربيته ،ويضع لذلك كله التشريعات الملزمة التى تكفل للأولاد أحسن النشأة حتى يكونوا أعضاء صالحين فى مجتمعهم ، يقول الرسول ﷺ : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . (رواه ابن ماجة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما) .

دراسة علمية عن دور الأسرة فى التنشئة :

ولقد أثبتت الدراسات العلمية[1] التى قام بها مركز البحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع منظمة اليونسيف من احتياجات الطفولة فى مصر .. فوجد أن نسبة كبيرة من أطفالنا لاينشأون على أسس علمية سليمة بل إن أعدادا كبيرة منهم تعانى عن مشكلات يرجع سببها إلى الأساليب الضارة التى يتبعها الآباء والأمهات فى تربية أولادهم .

(١) جريدة الأهرام فى ١٣ / ١١ / ١٩٨٢ م ص ٣ .

فى الوقت الذى بعدت فيه المدرسة كذلك عن أى توجيه تربوى أو غرس أى قيم أخلاقية بالنسبة للأولاد .. بل بعدت حتى عن تعريف الأولاد بالمشاكل الاجتماعية والصحية التى يعيشون فيها .

كل شىء من الكتب ! :

فمثلا مشاكل الأمراض المتوطنة ومشكلة النظافة .. والمرور والسلوك الاجتماعى للتلميذ فى معاملاته مع الغير .. يجهلها التلميذ تماما . فإن وجدت فى الكتاب المدرسى فتلقن له أو يحفظها من أجل الامتحان . ولكن لاترسخ ولا تتكون فى ضمير التلميذ وتصبح جزءا تلقائيا من تصرفاته ..

حتى القيم الدينية أصبح التلميذ يحفظ الآيات القرآنية متعثرا لايعرف من معانيها وأهدافها وحكمتها شيئا إلا أنها واجب دراسى فرضت عليه . أضف إلى ذلك الغالبية العظمى من الآباء اليوم لايسهمون فى تربية أولادهم ..

إن دور الأسرة فى تربية الطفل لايكتمل إلا بما تضيفه المدرسة من مبادىء تسهم فى تشكيل شخصية الطفل .. وإن التعليم لايقتصر على مجرد شحن العقل بأفكار ومفاهيم نظرية ، بل يقدم للطفل أسلوبا للحياة ونموذجا للسلوك ، وأداة هذا التعليم هى البيئة المدرسية وما تحتوى عليه المناهج وما يدرس من مواد ..

وقد اتضح من نتائج البحوث الميدانية الخاصة فى تربية النشء أن ٦٥ ٪ من الآباء فى الحضر و ٥٧ ٪ من الآباء فى الريف لايسهمون

إطلاقا بأى مجهود فى تربية أولادهم .. وتقول الدراسة أيضا التى قام بها معهد البحوث الاجتماعية .. إنها اعتمدت أساسا على استفتاء ١٣٣٢ أسرة تم اختيارها على أسس تضمن تمثيل نوعيات مختلفة من الأسر المصرية .. كما اختيرت عينة البحث من الأبناء التلاميذ الذين بلغ عددهم ٣٠٤٦ طالبا مابين ١٢ إلى ١٨ سنة وعينة أخرى للأبناء من غير التلاميذ بلغ عددهم ٨٨٠ طفلا مابين ١٢ ـــ ١٨ سنة وهى تعالج موضوع التنشئة بنظرة متكاملة .. حيث إنها عملية تربوية وتنفيذية تنقسم إلى قسمين .

أولها : دور الأسرة فى التنشئة .

وثانيها : دور المدرسة فى التنشئة والتعليم .

فإذا كان دور الأسرة فى التنشئة يبدأ منذ ولادة الطفل والمرحلة التى تسبق سن القبول فى المدرسة .. فقد أبرز البحث الأساليب الضارة والقاصرة التى يلجأ إليها الآباء والأمهات فى تنشئة الأطفال .. كاللجوء إلى الضرب والجزاء الجسمانى كنوع من العقاب أو قد يتجه أولياء الأمور إلى الزجر والتأنيب الشديد .

وإن كان الاستفتاء قد أظهر أن نسبة ضئيلة من الآباء فى الريف والحضر يلجأون إلى وسائل النصح والإرشاد والتوجيه فقد بلغت النسبة ٢٧ ٪ من الآباء فى المدن و٢٢ ٪ من الآباء فى الريف .

من يضرب التلاميذ ؟ :

بينما بلغت النسبة بين الأمهات ١٣ ٪ فى الحضر و٤ ٪ فى الريف وهى التى تتبع أسلوب التوجيه والنصح بعيدا عن العقاب والزجر ..

وقد أظهرت نتائج البحث فى تقرير اللجنة النفسية لاحتياجات الطفولة فى مصر بالنسبة لتنشئة الأطفال أن ٤٩ ٪ من الأمهات فى الحضر و٤٢ ٪ من الأمهات فى الريف يلجأن إلى الضرب والجزاء الجسمانى كنوع من العقاب كما ذكرنا من قبل بينما بلغت نسبة الآباء الذين يمارسون هذا الأسلوب فى التربية ٣٣ ٪ فى الحضر و٢٢ ٪ فى الريف .

يضاف إلى ذلك العدد نسبة كبيرة من أولياء الأمور الذين ذكروا أنهم يعتمدون على الزجر والتأنيب الشديد بجانب القصور فى التربية والتعليم فى المدرسة .. وعدم وجود فلسفة معينة .. لتنمية شخصية التلميذ والواقع أن البلدان المتقدمة تضع فلسفة واضحة فى أساليب التربية والتعليم .

فمثلا التربية فى المدارس الألمانية تهدف إلى تزكية الروح الجماعية فى الأطفال ولذلك فإن كل طفل يتعلم كيف يشارك الجماعة فى السلوك والبناء المشترك ..

بينما النظام الفرنسى يعمل على تربية الطفل وتعليمه كيف يفكر بأسلوب تحليلى منطقى حتى يكتسب المقدرة على التفكير الحر .

أسلوب التلقين لا يفيد ! :

ولهذا لابد أن يستبدل الأسلوب المتبع فى نظم التعليم المدرسية ـــ الذى يعتمد على التلقين ـــ بأسلوب حديث يعتمد على تنمية فكر الطالب وقدراته الذهنية من إبداع وابتكار والتفاعل مع المشاكل الاجتماعية المحيطة ببيئته .. ويتعلم الطفل كيف يواجه هذه المشاكل بأسلوب متطور .

يجب أن توضع نظم جديدة على أسس علمية تتلاءم ومقتضيات العصر .. ومتطلبات التنمية ..

لذلك كما يقول العالم المصرى الدكتور محمد غيث بأنه كانت هناك ضرورة ملحة لعمل الأبحاث والدراسات لتطوير التعليم الأساسى فى المدارس الابتدائية والإعدادية على أساس التنشئة المتكاملة .. التى تعتمد على العلم والتربية .. وذلك بدراسة الوسائل التعليمية والتربوية الموجودة حاليا .. وكيفية استحداثها .. مع تدريب المدرس وذلك بعمل دورات تدريبية على الأساليب الحديثة فى التربية والتعليم .. وإعداده ذهنيا ونفسيا ليستطيع أن يقوم بمهمته خير قيام ..

* * *

ثانياً : بناء شخصية المسلم

لا يتسع المقام هنا لعرض منهج الإسلام فى بناء الشخصية الإسلامية تفصيلا[1] وإنما نقول : إن الإسلام قد رسم الطريق الصحيح لبناء الفرد وبناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره وسلوكه حتى يكون إنسانا « صحيح الجسم والعقل والنفس » وليجعل منه لبنة قوية متماسكة وعنصرا إيجابيا صالحا فى مجتمعه الكبير ، ومقاتلا شجاعا لايقهر فى الحرب دفاعا عن دينه وشرفه ووطنه .

كما رسم الإسلام الطريق لبناء المجتمع الإنسانى الفاضل الذى يتجاوب مع الإنسان المطلوب بناؤه ، ويهيىء له المناخ الصالح للتنشئة السليمة والتربية القومية ، كما يهيىء له الفرص التى تتيح له إظهار طاقاته المدخرة فيه :

١ ــ جوهر الشخصية الإسلامية :

(أ) إســلام الوجــه لله :

فيقوم بناء الشخصية الإسلامية على أساس إسلام الوجه لله ، ويكون ذلك فى العقيدة بالإيمان بوحدانية الله ، ويكون فى الأخلاق بأن يتخلق الإنسان بالأخلاق التى أمر الله بها . وقد فسر الله سبحانه معنى إسلام الوجه لله حينما وضع ذروته ممثلة فى شخص الرسول ﷺ إذ يقول : ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب**

---

(١) انظر : محمد جمال الدين محفوظ : المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ط ٢ ص ٢٢٨ ــ ٢٥٠ . (دار الاعتصام) .

العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (سورة الأنعام ١٦٢ ــ ١٦٣) .

(ب) الحرية والكرامة الإنسانية :

كما يقوم بناء الشخصية الإسلامية أيضا على أساس الحرية والكرامة الإنسانية وتحرير شخصية المسلم من رق العبودية لغير الله ، فيحررها من كل أشكال الخوف أو القلق وكل مايقود إلى الضعف أو التسامح فى الكرامة الإنسانية ، فخوف الموت ــ مثلا ــ من الأمور الواردة فى الحياة الإنسانية ، وقد يقود الإنسان إلى الذلة أمام الطغاة أو إلى الهرب من ميدان القتال أو إلى موالاة الأعداء .

(جـ) تحرير شخصية المسلم من عوامل الخوف :

من أجل ذلك نرى الإسلام يعالج هذا الخوف من خلال عقيدة التوحيد فيرسخ فى وجدان المسلم أن مالك الملك هو وحده الذى يملك الموت والحياة ، وهو الذى قدر الآجال وحددها ، « فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » وإن الحرص على الحياة أو الجبن ليس من أسباب إطالة الأجل ، كما أن الشجاعة والإقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل ، وقد يبين الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم :

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (سورة آل عمران ١٨٥) .

﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ (سورة النساء ٧٨) .

﴿ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (سورة الأعراف ٣٤) .

ومن أعظم مايروى فى هذا المقام أنه فى غزوة أحد وبعد أن أحاط المشركون بالمسلمين من كل جانب بعد هزيمتهم ، التف حول الرسول ﷺ نفر قليل من المسلمين يدافعون عنه ،وفى ذلك الموقف العصيب بايع الرسول على الموت ثمانية هم على والزبير وطلحة وأبو دجانة والحارث ابن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهيل بن حنيف ،ووقفوا يفدونه بأنفسهم ويقاتلون دونه ويتلقون السهام والطعنات والرماح والسيوف بأجسادهم ، ومع ذلك فلم يستطع المشركون أن يقتلوا منهم واحد وعاشوا جميعا ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا**﴾ .

٢ ــ الصحـــة النفسيــة :

تعرف الصحة النفسية ــ كما ذكرنا ــ بأنها هى قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهذا التوافق يؤدى إلى التمتع بحياة خالية من الاضطرابات مليئة بالتحمس ، ويتسم الفرد وفقا لهذا المفهوم بالرضا عن الذات (أى رضى الفرد عن نفسه) ولا يبدو منه مايدل على عدم التوافق الاجتماعى ، كما أنه لايسلك سلوكا اجتماعيا شاذا ، بل يسلك سلوكا معقولا يدل على اتزانه الانفعالى والعاطفى والعقلى فى مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف ،والشخص الذى هذا نمطه ، يعتبر فى نظر علم الصحة النفسية شخصا سويا أو ذا شخصية سوية ويتمتع بالصحة النفسية .

ومنهج الإسلام فى بناء شخصية المسلم يجعلها شخصية سوية تتمتع بكل مظاهر وأركان الصحة النفسية :

(أ) فالإيمان وما يشيعه فى قلب المسلم من ثبات فى الفؤاد وقوة فى اليقين يؤدى إلى الاتزان الانفعالى والعاطفى والعقلى ، قال تعالى :

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾ (سورة إبراهيم ٢٧) .

﴿ فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (سورة البقرة ٣٨) .

﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ (سورة الإسراء ٨٢) .

(ب) ودوام الصلة بالله ، يحقق الأمن والطمأنينة ، ويجعل حياة المسلم خالية من الاضطرابات والقلق ومن ذلك وصية رسول الله ﷺ لعبدالله بن عباس (وقد أردفه خلفه وهو صبى) :

« ياغلام .. احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن **ينفعوك بشىء ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك »** (رواه الترمذى) .

(جـ) والمرونة فى مواجهة الواقع إذا لم تتحقق بعض حاجات الإنسان فى الحياة تقى المسلم من القلق أو الحزن قال تعالى :

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ (سورة البقرة ٢١٦) .

(د) والصبر عند البلاء والشكر فى السراء من شيم المؤمن ومن أسباب الطمأنينة له . قال تعالى : ﴿ **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ (سورة البقرة ۱۷۷) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (رواه مسلم) .

(هـ) ويقظة ضمير المسلم الذى يمكنه من التحكم فى ذاته ومن السيطرة على نزعاته وغرائزه من أهداف التربية الإسلامية .. فالملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى للمسلم (سن التكليف) يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى ، وينطوى ذلك على معنى عظيم وعميق هو أن يخرج المسلم إلى الحياة وهو يحمل رصيدا مناسبا من الأسس النفسية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ، ومن القدرة على التحكم فى الذات والسيطرة على نزعاته وغرائزه .

(و) وقيام الصلة بين المسلمين على الحب والمودة والتراحم والتعاون يهيىء المناخ الصالح لتنشئة الشخصية السوية ، قال عليه الصلاة والسلام :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » (رواه مسلم وأحمد) .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (رواه الشيخان) .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ماينحب لنفسه » (رواه الشيخان) .

(ز) وتفاؤل المسلم الدائم وعدم تسرب اليأس إلى نفسه ، يحققان للنفس الأمن والطمأنينة . قال تعالى :

﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (سورة يوسف ٨٧) .

ويطمئن القرآن المسلمين بأن الله تعالى معهم دائما إذا سألوه فإنه قريب منهم يجيبهم إذا دعوه : **﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾** (سورة البقرة ١٨٦) .

٣ ــ الصحــة الجسميــة :

(أ) الطهـارة والنظـافة :

الحق أن الإسلام دين الصحة والنظافة ، ذلك بأنه اعتبر توفير أسباب العافية من صميم أهدافه ورسالته لإصلاح البشرية ورفع مستواها إلى المكانة اللائقة بها ، حتى لقد جعل قبول كثير من فرائضه معلقا على إتيان وسائل هى الأسلحة الفعالة فى مكافحة العلل والأمراض قال تعالى : **﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾** (سورة المائدة ٦) وقال عليه الصلاة والسلام : « الطهور شطر الإيمان » (رواه مسلم) .

وقد امتدت النظافة إلى بيوت المسلمين ، إذ نبه الإسلام إلى ضرورة تنظيفها وتجميلها ، فقد قال عليه السلام : « إن الله جواد

يحب الجود ، نظيف يحب النظافة فنظفوا بيوتكم وأفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » . وقال « إماطة الأذى عن الطريق صدقة » (رواه الترمذى) .

(ب) الوقاية من الأمراض :

وقد وضع الإسلام للناس من أسباب الوقاية من العلل مايصون المجتمع من الأمراض المتوطنة والأوبئة الوافدة ويحصرها فى بيئاتها المحددة ويمكن من القضاء عليها بسهولة منعا لتأثر الغير بها وانتشارها فى أوسع من محيطها . ومن ذلك نهيه عليه السلام عن التبول فى الماء الراكد والجارى وتحت الظلال وفى الطريق . إذ يقول : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل » (رواه أبو داود وابن ماجه) .

(حـ) الحَجْر الصحى :

ومن ذلك وضعه مبدأ الحَجْرِ الصحى إذ يقول عليه السلام فى شأن الطاعون :

« إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . وقد ورد عن الرسول ﷺ مايعتبر خير طريق للمحافظة على صحة الأبدان : « نحن قوم لانأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لانشبع » . وقال أيضا « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .

(د) النهى عن المخدرات والمسكرات :

ثم إن الإسلام نهى عن اتلاف الصحة بتناول الخمور والمخدرات والمكيفات والتعرض للأصابة بالأمراض الخبيثة ، كما وجه إلى تقوية الأجسام من خلال ممارسة الرياضة والتربية البدنية .

المبحث السابع

التربية الإسلامية فى البيت

تقوم التربية السلوكية الإسلامية فى البيت على عدة عناصر نذكر منها مايلى :

١ ــ غرس العقيدة السليمة :

عن أبى رافع رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ : أذن فى أذن الحسن بن على رضى الله عنهما حين ولدته فاطمة رضى الله عنها بالصلاة (أى أذانا كأذان الصلاة) » (رواه الترمذى)[1].

هكذا يوجه الرسول ﷺ إلى الأذان فى أذن المولود مع أنه لايدرك مايسمع ، والحكمة من ذلك أن يكون أول مايطرق سمعه : تكبير الله وشهادة الإسلام ، كما أن للأذان أثرا أقوى وأكبر قصدا فى نفس الوالدين ، فإنهما إذا أحسا أن هذا الأذان من سنن الإسلام ، علما أن تقويم الوليد بالمبادىء القويمة وتعليمه الصلاة عندما يدرك أمر لازم تتحقق به سعادة المولود والوالدين فى الدنيا والآخرة .

---

(١) الأذان يكون فى الأذن اليمنى ، وإقامة الصلاة فى الأذن اليسرى .

وقد ضرب القرآن مثلا لغرس العقيدة السليمة فى وصية لقمان ، قال تعالى :

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ﴿ يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (سورة لقمان ١٧ — ١٩) .

٢ — التدريب على العبادة والأمر بها والتنبيه إلى الحلال والحرام :

قال الله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ .
(سورة طه : ١٣٢)

وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ .
(سورة التحريم : ٦)

وقال تعالى : ﴿ يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير ، يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .
(سورة لقمان : ١٦ ، ١٧)

وقال تعالى : ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب

العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

(سورة البقرة : ١٣١ ، ١٣٢)

وقال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين ﴾ .**

(سورة الطور : ٢١)

وإذا كانت الصلاة لاتلزم الصغير لعدم تكليفه فإن الإسلام يوجب على ولى الأمر أن يدربه عليها ويأمره بها .

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

(رواه أحمد وأبو داود والحاكم)

وقد طلب إلى المسلمين أن يأمروا أولادهم بالصلاة وهم بنو سبع ليسكنوا إليها ويألفوها ويتطبعوا بها ، حتى إذا تأصلت فيهم العبادة : انطبعت شخصيتهم بها . فأصبح المحور الذى تدور حوله الشخصية ومنه تستمد حياتها وكيانها هو المحور الدينى . هذا بالإضافة إلى أن تعليم الصبيان الوضوء والصلاة وتأديتها فى أوقاتها إنما يلقنهم فى نفس الوقت : الطاعة والنظام والعفة والطهارة .

كذلك يجب تعويد الغلمان على الصيام حتى يعتادوا الصبر على العبادة وتكاليف الحياة .

عن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت : أرسل رسول الله ﷺ غداة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة : « من كان أصبح صائما فيتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه » .. فكنا بعد ذلك نصومه ونُصوِّمه (بضم النون وتشديد الواو المكسورة) صبياننا الصغار منهم . ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم من الطعام (أى من أجل الطعام) أعطيناها إياه حتى يكون عند الإفطار .

(رواه الشيخان)

كذلك ينبغى تفهيم الصغار حدود الحلال والحرام :

عن عبدالله بن زيد رضى الله عنه قال : كنا عند عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ، فجاء ابن له عليه قميص من حرير ، قال : من كساك ؟ قال : أمى ، فشقه وقال : قل لأمك تكسوك غير هذا .

(أخرجه الطبرانى)

فيحرم على ولى الصغير ذكرا كان أو أنثى تمكينه مما لايحل للكبير ، فيحرم إلباس الصغير الحرير أو الذهب أو غير خاتم الفضة إذا كان ذكرا ، أو ان يطعمه أو يسقيه فى آنية الذهب والفضة .

عن زيد بن أرقم ووائلة بن الأسقع رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « الذهب والحرير حل لإناث أمتى وحرام على ذكورها » .

(أخرجه الطبرانى وأبو داود والنسائى وغيرهما)

ومما تقدم نعلم مدى حرص الإسلام على أن يشب صغارنا بعيدا عن تيارات الميوعة والتخنث وحياة الترف ، ليصيروا رجالا يمكن الاعتماد عليهم .

٣ ـــ التعليـــــم :

قال الله تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ . (سورة الجمعة ٢)

وقال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ،وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ .
(سورة النحل : ٧٨)

من السنـــــة :

وقال عليه الصلاة والسلام : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب ، والسباحة وألا يرزقه إلا طيبا » . (رواه البيهقى)

قال القابسى : « فمن رغب إلى الله أن يجعل له من ذريته قرة عين ، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه فى تعليمه القرآن . فلعل الوالد إذا أنفق ماله عليه فى تعليمه القرآن أن يكون من السابقين بالخيرات بإذن الله . والذى يعلم ولده فيحسن تعليمه ويؤدبه فيحسن تأديبه قد عمل عملا يرجى له من تضعيف الأجر فيه » .

والتعليم واجب لأنه يبصر المسلمين بأسباب الدوافع المحركة للإرادة على اختيار الأفعال ،ولابد أن ينتهى الأمر بالمرء إذا استغرق فى الحياة الدينية أن يتصور منازعه صادرة عن الدين ، وأن يوزع أعماله بين الحلال والحرام ويفرق بينهما ، فإذا بدأ الصبى الصغير فى حفظ القرآن ومعرفة تعاليم الدين اختلطت هذه التعاليم بشخصيته كلما نما

وبلغ مبلغ الرجولة فتتحد البواعث الدينية فى نفسه ــ مع الزمن ــ مع البواعث الشخصية[1] .

٤ ــ العقــــاب :

قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا ، فإن الله غفور رحيم** ﴾ . (سورة التغابن ١٤)

تقدم حديث رسول الله ﷺ بأمر الأولاد بالصلاة وضربهم عليها .

والعقوبة مشروعة فى الإسلام للطفل البالغ والرجل والمرأة ، فالإنسان فى شتى مراحل حياته عرضة لارتكاب الشر والوقوع فى الإثم ، إنما الكمال لله وحده والخلائق بعد ذلك تندرج فى مراتب بين الكمال والنقص والخير والشر .

والعفو وسيلة إلى غاية عليا هى اجتذاب القلوب وولاء النفوس ودوام الألفة . وهى أمور ضرورية فى الحياة العائلية بين الوالدين والأولاد والحياة المدرسية بين المعلم والتلاميذ . وإذا كان العفو عن المذنبين الكبار محبوبا أغرى به الإسلام وحث عليه فهو مع الصبيان واجب لصغر سنهم وطيش أعمالهم وضيق عقولهم وقلة مداركهم ، وعلى المعلم أن يلجأ مع الصبيان الذين يرتكبون الذنوب إلى الرفق .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ

---

(١) د . الأهوانى : التربية الإسلامية ص ١٢٩ .

لأشجع عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الرفق والأناة » .
(رواه مسلم)

وعن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف وما لايعطى على سواه » .
(رواه مسلم)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الرفق لايكون فى شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .
(رواه مسلم)

لا شك أن استعمال الرفق فى هذه الأحاديث الشريفة يدخل فيه الضعاف دخولا أوليا وخاصة الأطفال .

والأطفال تدخل فى هذه الوصية المتقدمة ، واستعمال لفظ « الرفق » بدل « العفو » دليل الشعور بما بين الأطفال والبالغين من فروق ، فالرفق عكس التشديد ،والعفو فى مقابل العقاب ، وقد يجتمع الرفق والعقاب ، ولا يجتمع العفو والعقاب » .

ومن الرفق ألا يبادر الأب أو المعلم إلى العقاب إذا استأهل الطفل ذلك ، وإنما ينبه الطفل مرة بعد مرة ثم يلجأ بعد ذلك إلى العقاب .

٥ ــ مصاحبة الآباء للأبناء :

يقول الرسول ﷺ : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . (رواه ابن ماجه) .

هذا الحديث الشريف ينطوى على أفضل أساليب التربية .. فهو يوجه الآباء والمربين إلى مصاحبة أولادهم ، ومراقبتهم ، وتأديبهم أحسن الأدب ..

ولكن كيف تقوم المصاحبة بين فردين بينهما فارق كبير ظاهر فى السن والنضج العقلى ، والعلم والثقافة مما قد يشكل حاجزاً يعيق عملية المصاحبة ؟ .. لقد أجاب الرسول ﷺ على هذا السؤال حين قال : « من كان له صبى فليتصاب له » (رواه ابن عساكر) ومعنى « فليتصاب له » أى ينزل إلى مستواه الصبيانى ، فيتلاطف معه بالقول والفعل ، ويعامله باللين والمحبة ، ويدخل الفرحة على قلبه ، ويقربه منه ، ويداعبه ويلاعبه ، ويرحمه ويعطف عليه ، ويملأ عقله وقلبه بالأمل والبهجة .. عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : « مارأيت أحدا أرحَمَ بالعيال من رسول الله ﷺ » (رواه مسلم) وعنه أيضا قال : كنت مع الصبيان ، فمر رسول الله ﷺ فقال : « السلام عليكم ياصبيان » .. ولقد دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحدُ عُمَّاله ، فوجده مستلقياً على ظهره وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه ذلك ، فقال عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : إذا دخلتُ سكت الناطق ! .. فقال له عمر : « اعتزل عملنا .. فإنك لاترفق بأهلك وولدك ، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ ؟! » .

وقال بعض الحكماء : « لاعب ولدك سبعاً ، وأدبه سبعاً وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه » وفى ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه والأم لابنتها مصاحبة الصديق الناصح الأمين فى أخطر مراحل عمره .. وهى مرحلة المراهقة والشباب ،وهو تأكيد أيضا لمعنى « إلزموا أولادكم » فى الحديث الشريف .

فما هى الفوائد التى يحققها أسلوب المصاحبة فى تربية الأبناء ؟ الحق أن هناك عدة فوائد نذكر منها ما يلى :

أولاً : المصاحبة تزيل الحواجز ، وتقرب الفواصل بين الآباء والأبناء .. فلا يشعر الأبناء بأى حرج من أن يستشيروا آباءهم فيما يعرض لهم من أمور الدين أو الحياة ، وذلك أفضل كثيراً من اللجوء إلى الأصدقاء الذين ليس لديهم ماللآباء من حكمة وأمانة .. إن أفضل مايحققه الآباء بمصاحبة أبنائهم هو وقايتهم من الوقوع فى براثن أعداء الدين الذين يجيدون أساليب جذب الشباب والحصول على صداقاتهم .. فخير وسيلة لوقايتهم من هذا الخطر أن يهيىء الآباء بينهم وبين أبنائهم جواً من الصراحة والثقة المتبادلة .

ثانياً : أسلوب المصاحبة يولد لدى الشاب استعداداً نفسياً لقبول النصح والتوجيه .. فالمعروف أن مرحلة المراهقة والشباب تتسم بالرغبة فى تأكيد الذات إلى الحد الذى يتصور معه الشاب أنه قادر على تصريف أموره بنفسه ، وأنه لاحاجة له إلى نصيحة الوالدين .. بل إنه يتصور أن نصح الوالدين تدخل فى شئونه فيقاومه ولا يستجيب له .. الأمر الذى يجعل الآباء عاجزين عن مساعدة أبنائهم فيما يعتبرونه من واجبهم واختصاصهم ! .. فإذا نجح الآباء فى إقامة صداقة بينهم وبين أبنائهم ، فإن الوضع سوف يتغير ، وسوف يتسع صدر الشاب لنصح « الوالد الصديق » .

ثالثاً : مصاحبة الأب لابنه تكشف له عن قدراته الحقيقية وعن درجة نضجه العقلى والنفسى .. وبذلك يستطيع تحديد مايناسبه من

توجيه أو تكليف دون زيادة عن الحد ، أو نقصان عنه .. وترجع أهمية معرفة القدرات الحقيقية للمراهق أو الشاب إلى أن أكثر مايسبب للمراهقين المشكلات الانفعالية هو عدم تناسب النضج العقلى مع النضج الجسمى .. فالملاحظ أن « النضج الجسمى » للمراهق يتم بسرعة على مدى عامين أو ثلاثة .. وهذه مدة قصيرة وغير كافية لتحقيق « النضج العقلى » الذى يقابل ماطرأ على الجسم من نمو سريع ، والذى يحدث نتيجة لذلك أن الآباء ينظرون إلى الجسم الذى نما وكبر ، فيتوقعون من الابن نضوجاً فى سلوكه العقلى والاجتماعى .. فإذا ماأتى الابن ببعض التصرفات الصبيانية إنهالوا عليه بالنقد والتقريع دون أن يدركوا أنه معذور ومظلوم .. وليس هذا فحسب بل إن الآباء ــ فى الوقت نفسه ــ لايعترفون بما طرأ عليه من نضج عقلى محدود فيقاومون محاولاته لتأكيد ذاته ، ويتهمونه بالقصور فى الفكر والوعى والإدراك ، ويحاولون فرض التوجيه عليه فرضاً .. وهو مايتصدى الابن لمقاومته أو مخالفته .. هذا إذا لم يدفعه الأمر إلى أن يتخذ لنفسه طريقاً آخر يرتاح إليه مع أصدقائه ممن هم فى مستوى عمره .

والحق إن الإسلام يقرر فى هذا المجال مبدأ تربويا سامياً ينبغى أن يعمل به الآباء والمربون .. وهو مبدأ التكليف « بالوسع » وهو مايشير إليه قوله تعالى : ﴿ **لايكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ .. هذا المبدأ يوجه إلى أن تكون معاملة الآباء لأبنائهم قائمة على سياسة رشيدة واعية تقدر طبيعة مرحلة المراهقة والشباب ، وتفهم خصائصها وسماتها النفسية والجسمية والعقلية ، والعوامل التى تؤدى

إلى الاضطرابات الانفعالية لدى المراهق ، فتتبع مايتناسب معه من أسلوب فى المعاملة بحيث لاتكلفه فوق مايطيق .. من أجل ذلك لايطلب الأب مثلا من ابنه المراهق أن تأتى تصرفاته متسمة بالنضج الذى يُتوقع من الكبار مما يتسبب فى حدوث المشكلات الانفعالية .. لأن الذى يطلبه منه يتجاوز قدراته الحقيقية .. كذلك يوجه هذا المبدأ إلى أن يعترف الأب للمراهق بأن مشاعره واتجاهاته لتحقيق ذاته طبيعية، وألا يواجهها بالاستنكار أو التقريع أو اللوم .. بل يضع يده فى يده بأسلوب المصاحبة ، ويهيىء له الفرصة من جانبه للتعبير عن هذه المشاعر مع قيامه — فى الوقت نفسه — بتوجيهه برفق وأناة ؛ وبأسلوب الصديق المخلص والناصح الأمين .

ومن الآداب التى ينبغى أن يؤخذ الصبى بها ليعتادها : الاستئذان :

قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم** ﴾ .

(سورة النور : ٥٨ ، ٥٩)

بعث رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له « مدلج » (بضم فسكون) إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظهيرة

ليدعوه ، فوجده نائما قد أغلق عليه الباب فدق عليه الغلام الباب فناداه ودخل ، فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيء ، فقال عمر : وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا فى هذه الساعات إلا بإذن !! ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت .

(تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٣٠٤)

وقال اسحاق الغزارى : قلت للأوزاعى ماحد الطفل الذى يستأذن ؟ قال : أربع سنين ، قال لايدخل على امرأة حتى يستأذن ، وقاله الزهرى : أى يستأذن الرجل على أمه .

(المرجع السابق ص ٣٠٨)

قال القرطبى : كان أنس بن مالك دون البلوغ يستأذن على رسول الله ﷺ وكذلك الصحابة مع أبنائهم وغلمانهم رضى الله عنهم .

(المرجع السابق ج ١٢ ص ٢٢٠)

أمور لا تنافى الفضائل :

أ — عن عائشة رضى الله عنها قالت : والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو .

(رواه مسلم)

فاقدروا .. إلخ من التقدير أى قدروا رغبتها فى التفرج والنظر إلى اللعب وحبها لذلك وحرصها على إدامته وأمكنها بلا ملل .

ب — عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات فى بيت رسول الله ﷺ وكان لى صواحب يأتيننى فيلعبن معى ، فينقمعن[1] إذا رأين رسول الله ﷺ يسرِّبْهن (بتشديد الراء المكسورة وسكون الباء) إلى فيلعبن معى .

(ذكره ابن الجوزى فى الوفا بأحوال المصطفى ج ٢ ص ٤٧١)

جـ — عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدُن (بضم الدال) فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال : تعال حتى أسابقك فسابقته فسبقته ، فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه فى بعض أسفاره فقال للناس : تقدموا فتقدموا فقال لى : تعال حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك ويقول : هذه بتلك .

(ذكره ابن الجوزى فى الوفا ج ١ ص ٤٤٤)

د — عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يَدْلَع (بفتح فسكون ففتح) لسانه للحسن بن على رضى الله عنهما ، فيرى الصبى حمرة لسانه فيهش إليه .

(المصدر السابق)

اللعب ظاهرة اجتماعية عامة فى حياة الإنسان والحيوان ، وأطفالنا الصغار يلعبون وصغار الحيوان تعرف اللعب ، ولعب الأطفال يحقق

---

(١) ينقمعن : يختبئن .

لهم أغراضا كثيرة ، إنهم يشعرون بالمتعة نتيجة حرية الحركة التى يمارسونها أثناء الجرى والقفز والصراخ والضحك تقول بعض النظريات : إن اللعب عملية تستهدف إعداد الصغار لأعمال البالغين فى المستقبل ، ويستطيع الأخصائى النفسى أن يستدل على مشكلات الطفل ومخاوفه عن طريق تفسير لعبه ، وتحليل الطريقة التى يلعب بها .

وقد أباح الإسلام اللعب للصغار والكبار أيام الأعياد .

فأباح اللعب بالحراب ونحوها فى المسجد وغيره للتدرب على أعمال الجهاد والبر ، ولترويح النفس (وقد تقدم حديث عائشة عن لعبة الحبشة بالحراب يوم العيد) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قدم النبى ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما : يوم الفطر والأضحى » .

(رواه النسائى وابن حبان)

ويجوز الضرب بالدف والغناء الخالى عن التكسر والغزل ونحوه .

لحديث عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى بثوبيه ، فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه ، فكشف رسول الله ﷺ وجهه وقال « دعهما فإنها أيام عيد » .

(أخرجه مسلم وأحمد والنسائى)

ففى الأحاديث مشروعية التوسع على الأهل والعيال فى أيام العيد بما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن .

٦ ـــ العدل بين الأولاد :

قال النعمان بن بشير رضى الله عنه : أعطانى أبى عطية ولم ترض أمى حتى يشهد عليها رسول الله ﷺ فانطلق أبى إلى رسول الله وقال له : إنى نحلت ابنى هذا غلاما (أى أعطيته عبدا) فقال له رسول الله « ألك ولد سواه ؟ قال نعم . قال رسول الله : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا ، فقال رسول الله : فلا تشهدنى إذن ، فإنى لاأشهد على جور . يابشير أتحب أن يكونوا لك فى البر سواء ؟ قال : نعم . قال : إذن فاذهب فارجعه ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك من الحق عليهم أن يبروك » . ثم قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » (أخرجه البخارى فى صحيحه) .

وهذه القصة التى رواها النعمان عما فعل أبوه لاتزال تتكرر بيننا بصور مختلفة لأنها تتصل بطبائع النفوس وخضوعها للأهواء والأطماع . فبعض الآباء قد يقع تحت تأثير زوجة جديدة محببة لديه ، فيخص أولادها ببعض أمواله ويحرم الآخرين من أولاده ، وبعض الآباء تأخذهم عصبية الجاهلية فيظلمون البنات حقهن ويخصون البنين بأكثر من حقهم ، وقد يحرمون ولدا من أولادهم بحجة أنه غير بار بهم . إلى غير ذلك من صور التفرقة بين الأولاد .

وقد يوسوس الشيطان للآباء بأنهم أحرار فى مالهم وأن من حقهم أن يميزوا هذا عن ذاك من الأولاد .

وما علموا أن الله وضع لهذه الحرية حدودا ، « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

إن التفرقة بين الأولاد هى مبدأ الفرقة والشقاق والعداوة بينهم وتمتد حتى إلى ذرياتهم ، ومن الملاحظ أن التفرقة حتى بالكلمة تزرع الحقد بين الأخوة ، فماذا يكون الحال حين تكون التفرقة بالمال كثيرا أم قليلا . إن كثيرا من الأسر تتهدم ، ويتحول الأخوة الأحباء ، إلى أعداء ألداء يتربص كل منهم بالآخر ، ويحقد عليه نتيجة لسوء تصرف الآباء وما فعلوه من التفرقة بين أولادهم ولو فكر الآباء قليلا فى مستقبل هؤلاء الأولاد لعرفوا أن دوام الحب والتآلف والتعاون بينهم ، خير لهم من كنوز الأرض .

ولو فكر الآباء فيما ينتظرون من عذاب الله نتيجة لجورهم وظلمهم لبعض أولادهم لما اشتروا عذاب الله ببعض مال يتمتع به ولد من أولادهم فى دنياه ، بينما هو يتلظى بنار جهنم فى أخراه وقد يكون هذا المال الذى آثر به أحد أبنائه ، سببا فى فساده ، لأنه مال حرام ، والمال الحرام لايدوم ، وإن دام جلب معه المنغصات .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده ــ يعنى الذكر ــ عليها أدخله الله الجنة » .

(رواه أبوا داود والحاكم)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعينوا أولادكم على البر بالإحسان إليهم وعدم التضييق عليهم والتسوية بينهم فى العطية ـــ من شاء استخرج العقوق من ولده »
(رواه الطبرانى فى الأوسط)

٧ ـــ التماســك الأســرى :

يعنى الطلاق ـــ من الناحية الاجتماعية ـــ انهيار البناء الاجتماعى للأسرة وزوال مقومات وجودها ، ويترتب عليه تعرض الأولاد لعدد كبير من المشكلات أهمها :

ـــ مشكلات الحضانة .

ـــ مشكلات متعلقة بأسلوب التربية والتعليم الذى يتبعه الأب أو الأم واعتراض الطرف الآخر .

ـــ مشكلات نفسية أو أخلاقية ناشئة عن التغيير المفاجىء الذى يصيب حياة الأولاد(١) .

ـــ مشكلات مادية نتيجة عدم تعاون الوالدين مما يحرم الأولاد من كثير من مطالبهم .

وكل هذه المشكلات ذات تأثير خطير على تكوين المراهق النفسى والاجتماعى .

من أجل ذلك حرص الإسلام على أن ينشأ الولد فى ظل أبويه ،

---

(١) ثبت أن نفسية الطفل الذى مات أبوه فى طفولته أفضل من نفسية الطفل الذى انفصل والداه بالطلاق .

فحاط الزواج بسياج من الروابط القوية التى تحميه من التفكك ، بما شرع فيه لكل من الزوجين من حقوق ، وما فرض فيه على كل منهما من واجبات .

قال تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (سورة النساء ١٩)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم لنسائهم » (رواه الترمذى وابن حبان) وقال أيضا : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » (رواه الترمذى وابن جرير وابن حبان والبيهقى) .

ومن حقوق الزوج على زوجته أن تكون سامعة له ومطيعة ، وحافظة لعرضه وماله وألا تدخل أحدا بيته إلا بإذنه وأن تتودد إليه وأن تتزين له قال تعالى : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ . (سورة النساء ٣٤)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها ،وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » (رواه ابن حبان)

وعن عمرو بن الأحوص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى حجة الوداع : « ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » (رواه ابن ماجه والترمذى)

وينفر الإسلام من الطلاق كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق » ، ويحرص على كفالة الرعاية للأولاد إن وقع الطلاق ، فجعل حضانة الطفل حتى السابعة وحضانة الطفلة حتى التاسعة من حق الأم لأنها أحسن وأرفق من الأب .

وقد ظهر من نتائج الدراسة الاحصائية التحليلية التى قام بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية لعدد ٥٨٩ حدثا من الذين اتهموا فى جرائم سرقة وأحيلوا إلى نيابة الأحداث فى القاهرة خلال الفترة من ٢ يونيو ١٩٥٧ حتى ٢ يونيو ١٩٥٨ أن أسر الأحداث المتهمين بصفة عامة لاتؤدى وظائفها الحيوية لأبنائها وبناتها ، كما أنها لاتؤدى واجباتها نحوهم ، وهى بعيدة عن أن تكون أسرا سوية فهى أسر متصدعة بمعناها المادى والاجتماعى ، فقد اتضح أن للأحداث موضوع الدراسة ٥٢٠ أبا ، ٦٩ بديل أب ، كما تبين أن لهم ٥٢٠ أما ، ٧٩ بديلة للأم .

وقد تبين أن ٢٩٠ أبا (٥٥,٧ ٪) من آباء الأحداث المتهمين ، وأن ٢٩٠ أما (٥٦,٨ ٪) من أمهاتهم فى حالة علاقة زوجية قائمة . كما اتضح أن نسبة الطلاق فى محيط الآباء والأمهات ١٠,٧ ٪ ، ١١ ٪ وهى نسبة عالية إذا ماقورنت بالنسبة العامة للطلاق فى مصر وهى تبلغ فى عام ١٩٥٥ نحو ٢,٣ فى الألف من السكان . (أعمال الحلقة الأولى لمكافحة الجريمة) .

٨ ــ رعايــة اليتيــم :

أما اليتيم ــ وهو من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال ــ فله شأن أكبر وأظهر فى الدلالة على عناية الإسلام بتربية النشء ، وتوفير المناخ الصالح لتلك التربية ، يقول الله عز وجل : ﴿ **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم** ﴾ .

فالآية توجه الوصى على اليتامى إلى الإصلاح لهم بالتربية والتهذيب وإلى حفظ أموالهم وتنميتها ، فهم إخوانه فى الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه على الوجه اللائق الذى فيه صلاحه .

كما يوضح القرآن واجب الوصى فى المحافظة على مال اليتيم ويحذره من استغلاله . فيقول ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾ (سورة الأنعام ١٥٢)

وقد حث الرسول ﷺ على رعاية اليتيم فقال :

ــ « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » . (وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ، ليدل على أنهما قرينان أو صنوان) .
(رواه البخارى)

ــ « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » (رواه الطبرانى) .

هذا إلى قول الله لرسوله بعد أن ذكره بفضله عليه حالة يتمه ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر** ﴾ ، وقد قال الإمام محمد عبده رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية :

لو علم الناس مافى إهمال تربية الأيتام من الفساد فى الأمة لقدروا عناية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم فى إصلاح حال الأيتام كل مااستطاعوا ، ولو أحس كل واحد بأن الموت قريب منه ، أنه هدف لنباله ، لايدرى متى يأخذه عن ولده ، فيتركه إما غنيا يأكل ماله الأوصياء ، أو فقيرا يستذله الأدنياء ، لتسابقوا إلى تقديم أمر اليتيم .

* * *

المبحـــث الثامـــن

التربية الإسلامية فى المدرسة

- قال الله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾
(سورة النحل : ٧٨)

- وقال النبى ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »
(رواه ابن ماجه)

- وقال شوقى :
أرأيت أعظم أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسا وعقولا

أولاً : مكان المدرسة بين عوامل التربية

حين ينتقل الناشىء من مرحلة البيئة المنزلية إلى مرحلة التعليم المدرسى تبدأ مؤثرات المدرسة والمجتمع الأوسع تعمل عملها فى نمو شخصيته وتكوين نظامه الأخلاقى والاجتماعى . ففى هذه المرحلة الممتدة من الطفولة إلى الرشد تجتمع آثار التعليم والتلقين والقدوة الصالحة والأوضاع الاجتماعية وأنماط الحياة العامة السائدة وتأخذ شخصيات الناشئين ، بما حملت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة المنزلية ، وبما يلابسها من ظواهر النمو الجسمانى والعقلى ، فى التكيف بهذه العوامل الجديدة وتبدأ الفروق بين الناشئين تظهر فى مجالات تفكيرهم وسلوكهم ، وتبرز هنا وهناك عند بعضهم ألوان متفاوتة الدرجات من الشذوذ والانحراف تحتاج إلى تعهد وعلاج ، وتبلغ هذه الألوان شدتها فى مرحلة المراهقة .

المفهوم الصحيح للتربية :

ولابد لكى نتفهم دور المدرسة فى التربية من أن نوضح أن مفهوم التربية ليس مجرد تحصيل العلم ، وأن التجارب قد دلت على أن التعليم إذا خلا من الإعداد الحقيقى للحياة العملية فإنه يترك صاحبه فى حاجة ماسة إلى صفات أهم من التعليم حين يواجه الحياة العملية .

ولو نظرنا إلى المعنى العام لكلمة التربية نراه يشمل كل أنواع

النشاط التى تؤثر فى قوة الفرد واستعداداته وتنميتها . ومصدر هذه الأنواع من النشاط عوامل مختلفة .

فالتربية تشمل كل تغيير فى ميولنا وغرائزنا وأخلاقنا يتم عن طريق غير مباشر من عوامل أخرى ، كالقوانين الشرعية أو المدنية ونظام الحكم وأساليب المعيشة والتقاليد الاجتماعية والبيئة بأنواعها .

وبالاختصار فإن كل مايشكل الكائن الحى ويجعله فى الحالة التى هو عليها يعتبر جزءا مؤثرا فى تربيته .

وهذا المعنى للتربية الذى قد شمل كل تنمية لقوى الفرد واستعداده وتوجيه ذلك توجيها حسنا هو المعنى العام لكلمة (تربية) .

أما التعليم فيراد به نقل المعلومات من المعلم (الإيجابى) إلى المتعلم (المتلقى) الذى ليس له إلا أن يتقبل مايلقيه المعلم .

لذلك كانت التربية ذات معنى واسع يشمل كل نهوض وترقية إيجابية تقوم بقوى الفرد .

فى حين أن التعليم معناه محدود يتضمن نقل المعرفة . والتربية بالمعنى العام تشمل جميع النواحى الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية .

ويقصد بالتعليم أولا نقل المعرفة إلى الفرد كوسيلة للتربية . فهو محدود جدا بالنسبة للتربية وعامل جزئى ، وليس فيه من إيجابية الفرد إلا بقدر مايتلقى به المعرفة .

وكلمة التعليم مأخوذة من العلم ، فالمراد بها الثقافة الذهنية .

ونخلص مما سبق أن تربية الفرد تشمل الاهتمام به من جميع نواحيه .

وأن تعليم الفرد لايتناول إلا جانب العقل .

دور المدرسة فى التربية :

وترجع خطورة دور المدرسة فى التربية إلى أنها هى الحلقة الوسيطة بين مجتمع الأسرة الضيق ومجتمع الحياة الواسع . ففى الأسرة يتعامل الناشىء مع أفراد قلائل لاتتغير صفاتهم الجسمية أو خصائصهم السيكلوجية والاجتماعية إلا ببطء . وفى هذا المجتمع الضيق قد يتدرب على التعامل الجيد وعلى الأخذ والعطاء أو قد يصيبه الانطواء والالتفاف حول الذات . وفى هذا الوسط الاجتماعى المحدود قد يمارس سلطات دكتاتورية يخضع الوالدان لحكمها ، وقد يعانى صنوفا من القسوة المتزايدة تحرمه من الشخصية الفردية المتميزة . كما أن مجتمع الأسرة قد يلبى كافة احتياجات هذا الناشىء بصورة تحرمه من المقدرة على المبادأة والاعتماد على النفس ، أو قد تحرمه إياها بصورة تشيع فيه الحقد وتنمى فيه النزعات التخريبية بأشكالها المختلفة . كل هذا يتوقف على التنشئة الاجتماعية التى تلقاها فى الأسرة ، مجتمعه الصغير .

وعندما تستقبل المدرسة هذا الناشىء فإنه يواجه مجتمعا جديدا ، يتميز عن مجتمع الأسرة بكبر حجمه وغرابة تكوينه ، فهو يضم أفرادا

لايشاركونه حياته الأسرية ولا يتعاملون معه بالأسلوب الذى ألفه فتواجهه قيود جديدة أو مسئوليات لاعهد له بها من قبل . ولابد أن يواجه الناشىء الصغير قسطا من عدم التكيف فى بداية عهده بمجتمع المدرسة فإذا ماتلقفته الأيدى الواعية من المربين والاخصائيين الاجتماعيين فإنه سرعان مايجتاز هذه الحواجز ويتكيف للجو المدرسى وللنظم المدرسية وتصبح المدرسة مجتمعا يرتبط باهتمامات لاتقل فى قوتها عن اهتماماته الأسرية .

وتتميز عملية إعداد الصغار للتكيف مع المدرسة بأنها من أشق العمليات الاجتماعية وأهمها فى الوقت ذاته . فهى تحتاج إلى دراسة عميقة بالنسبة لكل طفل على حدة للجو المدرسى الذى يحيط به والتعرف على الحاجات الفعلية له ، ومتابعة الآثار العميقة فى سلوكه وتصرفاته للوقوف على المعوقات التى صادفته فى مجال الأسرة ودرجة عمقها فى حياته . فالطفل يصل إلى المدرسة وهو محمل بشحنات انفعالية خاصة تعوق من سيره المدرسى فإذا لم يجد التوجيه والرعاية الكافية من جهة وإذا اصطدم بأوامر والتزامات قاسية من جهة أخرى ، فقد ينحرف عن النظام المدرسى ويظهر ذلك فى صورة أو أكثر مما يلى :

١ ـ الهروب من المدرسة .

٢ ـ الغياب المطرد أو التأخر عن مواعيد الدراسة .

٣ ـ التخلف الدراسى .

٤ ـ الانحراف داخل البيئة المدرسية وأهم صورها حالات الشذوذ الجنسى وحالات حب التملك .

معنى هذا أن المدرسة والنظام المدرسى يمكن أن يشكلا عاملا من العوامل المؤثرة فى جناح أو انحراف الأحداث . فإذا كانت المدرسة مثلا تبعد من جهة الموقع عن مسكن التلميذ بمسافة طويلة يضطر أن يقطعها مشيا على الأقدام مجتازا عديدا من الأجواء التى قد تشتت تركيزه المدرسى ، أو أن يقطعها مستخدما وسائل مواصلات يشعر فيها بالإرهاق والعناء فقد يدفعه ذلك إلى الهروب والغياب من المدرسة حتى لايتحمل مثل هذه المشقة . وتسهم فى ذلك عوامل مختلفة أخرى قد تكون المدرسة نفسها عاملا منها كأن يقوم النظام المدرسى على منع التلاميذ المتأخرين صباحا من دخول المدرسة أو طرد التلميذ المذنب دون الاتصال بولى أمره وبأسرته . كما أن مواد الدراسة نفسها وشخصية المربين والقائمين على التدريس إما أن تجذب التلميذ للمدرسة أو تنفره منها فقد يؤدى العقاب الصارم أو التخلف فى إحدى مواد الدراسة إلى نفور التلميذ من المدرسة ، وكثير من حالات الهروب أو النزعات العدوانية داخل المدرسة ترجع فى كثير من المواقف إلى عيوب فى النظام المدرسى نفسه .

ومن جهة أخرى فإن الطريقة التى تسمح بها النظم المدرسية للتلاميذ بأن يعبروا عن احتياجاتهم ، تؤثر بصورة بالغة فى شخصية الناشئين وفى محيط المجتمع الواسع . وتجد العصابات موردا طيبا لها من بين التلاميذ الذين فشلوا فى التكيف مع المدرسة أو الذين فشلت النظم المدرسية فى ضمهم إلى حظيرة الجماعات المدرسية ، ولهذا فإن من واجب المدرسة ألا تعامل التلاميذ كحشود ،وإنما يلزم أن تعتمد فى معاملتهم على أساس التفريد الذى يساعد فى تجنيب التلميذ وصمة

الفشل فى تحصيله المدرسى أو الفشل فى جماعات النشاط مما يعزله عن الجو المدرسى ويشعره بالقلة والنقص أمام الآخرين . وتحت تأثير هذه الضغوط الانفعالية يجد التلميذ نفسه مقودا إلى جماعات أخرى لاسوية سواء من بين رفاقه الفاشلين فى الدراسة أو من بين رفاق الطريق الذين تجمعه بهم الرغبة فى التعبير عن الذات والشعور بالتقدير والنجاح .

ولهذا يمكن أن تصبح المدرسة ــ التى تفشل فى تدعيم عناصر الولاء والحب بيــن التلاميذ ومدرسيهم من جهة وبينهم وبين النظم المدرسية من جهة أخرى ــ عاملا من العوامل البيئية الخارجية التى تسهم بنصيب فى انحراف التلميذ .

العلاقة بين المدرس والطلاب :

وتلعب العلاقة بين المدرس والطلاب دورا هاما فى بناء شخصياتهم بدرجة أنه يمكن اعتبارها المفتاح الموصل إلى نجاح الموقف التعليمى أو فشله ، ومن ثم يحرص علم الصحة النفسية على أن يدخل من الوسائل التى قد تبدوُ فى ظاهرها تافهة ولكنها فى حقيقة الأمر تؤدى إلى أن تكون العلاقة بين المدرس وطلابه علاقة صحية سليمة ، وصدق شاعرنا شوقى حين قال :

أرأيت أعظم أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفســا وعقولا

إن الطلاب الصغار كالمرآة تعكس حالة المدرس المزاجية

واستعداداته الانفعالية ، فإن هو أظهر روح المرح والاستبشار والتفتح للحياة ، كان خليقا بطلابه أن يظهروا الابتهاج وروح الود والتجاوب معه . أما إن هو أظهر الاكتئاب والضيق والتبرم وسرعة التوتر ، لم يجد من تلاميذه إلا ماواجههم به . كذلك لاينبت المدرس الذى اضطربت نفسه واختل الجانب الانفعالى من شخصيته إلا تلاميذ مضطربين انفعاليا ومنحرفين مزاجيا . فالمدرس الذى يتصف بأنه شديد الميل إلى العدوان والسيطرة يضطر تلاميذه إلى أن يكونوا جبناء أميل إلى الانسحاب أو إلى أن يكون الواحد منهم كثير الميل إلى العدوان ، وهم يحاولون التنفيس عن هذا الميل عن طريق معاكسة زملائهم واتخاذ العنف وسيلة للتعامل مع الناس عموما . كذلك يلاحظ أن المدرس الذى يحقر تلاميذه ويهون من شأنهم ويسخر من قدرتهم ، يضطرهم إلى أن يسلكوا سبيل الغش والكذب والخداع حتى يمكنهم أن يواجهوا مطالب مدرسهم المتعسفة .

فالعلاقة بين المدرس وتلميذه ليست أمرا بسيطا . إذ تحددها وتتدخل فيها مجموعة من العوامل المعقدة ، فالتلميذ قد يتأثر فى علاقته بمدرسه وبعلاقته مع والدَيه . بمعنى أن العلاقة التى تربطه بأبيه إذا كانت علاقة احترام فإنه يحترم المعلم ، وإذا كانت علاقة سيئة فإنه يسىء إلى المعلم . كذلك فإن نظرة التلميذ لمدرسه ، قد تتأثر بنظرة والده أو نظرة المجتمع الذى يعيش فيه إلى المدرسين عامة . فهذه النظرة تحدد تقدير التلميذ أو عدم تقديره لمدرسيه ، كذلك المدرس قد يتأثر بظروفه خارج المدرسة ، وبكونه متزوجا أو غير متزوج ، منجبا لأطفال أو غير منجب ، كذلك قد يتأثر المدرس فى علاقته

بتلاميذه بعلاقته مع مدرسه أيام تلمذته أو بعلاقته مع والده أيام طفولته .

المعلـم بديل للأب :

يمر الطفل خلال السنوات الأولى من حياته بخبرات عدوانية بسبب مايفرضه الوالدان عليه من قيود وقوانين تكون مصحوبة أحيانا بنوع من القسوة . هذه المشاعر العدوانية التى كان يوجهها الطفل نحو الوالدين تتحول إلى أشخاص آخرين يشغلون عملاً يحمل مضمون عمل الوالدين . ولهذا يجد المعلمون أنه قد تحولت إليهم نفس المواقف التى كان الطفل يقفها حيال والديه فى السنوات الأولى ، فنجد التلميذ الذى يكره والده بسبب قسوته عليه ، قد يجد فى المدرسة متنفسا لايستطيع أن يجده فى المنزل ، فتنتقل الكراهية الناشئة من قسوة الوالد إلى المعلم بحكم مابين المعلم والوالد من أوجه الشبه فى عقل الطفل وقد تنشأ كراهية التلميذ لمدرسيه لأسباب أخرى منها : شعور الطفل بعدم الأمن بسبب مايحدث فى الأسرة من شجار بين الوالدين ، أو مرض أحدهما أو تدهور اقتصادى يصيب الأسرة .. إلخ . كل ذلك يجعل الطفل يفقد الثقة بنفسه وبالناس وبالمدرسة وبالمدرسين ، وهنا يتخذ التلميذ من السلطة ممثلة فى مدرسيه هدفا للعدوان .

تلك هى بعض الدوافع التى تدفع فئة من التلاميذ إلى مضايقة مدرسيهم ، فى الوقت الذى يشعر فيه هؤلاء المدرسون نحوهم بكل شعور طيب حيث يبذلون كل جهد لمساعدتهم على أن يتعلموا وينجحوا .

ومن الممكن أن نصل إلى فهم أسباب هذا السلوك الشاذ إذا ماعلمنا أن هؤلاء التلاميذ يختزنون ضغائن مكبوتة ومشاعر عدوانية كامنة فيهم ، وهم فى هذا يشبهون أولئك الذين يحملون قطعا من الديناميت فى انتظار من يلمسها ، وبقول آخر: فإن هؤلاء التلاميذ يحسون أن كل شخص يمثل السلطة إنما يهدد سلامتهم أكثر من الديناميت الذى يحملونه .

وبناء على ذلك يلزم ألا يقابل المدرس سلوك التلاميذ بما يزيد هذه الكراهية نحوهم . وإنما ينبغى أن يقابله بما يخففها بالتدريج ، كما يجب أن يقابل المعلم مشكلات الطفل بالصبر والأناة والتفهم وحسن التوجيه .

وهناك ناحية أخرى تبين أهمية الدور الذى يقوم به المدرس كأب بديل . فبعض الأطفال لايشعرون بالأبوة الحقيقية . وهم لذلك يبحثون عن علاقات عاطفية مع شخص ما ، يستطيع أن يحل محل الوالدين . هنا تحين للمعلم فرصة مواتية لأن يقدم لهؤلاء الأطفال القلقين المضطربين مايحتاجون إليه من عطف وأمان وإحساس بالانتماء . والغريب أن هؤلاء التلاميذ الذين يكونون فى أشد الحاجة إلى محبة المعلم وعطفه واهتمامه هم الذين لايمكن احتمالهم بسبب مايصدر عنهم من سلوك شاذ . ذلك أنهم يتباهون بأعمال الشغب والعدوان داخل حجرة الدراسة . وما هذا السلوك إلا وسائل يستغلها التلاميذ للدفاع عن أنفسهم من جهة ، وكمظهر من مظاهر العناد والعدوان من جهة أخرى .

والمدرس قليل الخبرة بأصول الصحة النفسية ينظر إلى هذا الشغب على أنه نوع من التحدى ومن ثم تزيد كراهية المعلم للتلميذ . وفى بعض الحالات تتسع الدائرة حتى يصبح المعلم فى موقف حرج يضطره إلى نقل التلميذ مصدر الشغب إلى فصل آخر . ونقل التلميذ إلى فصل آخر عمل خاطىء لأنه اعتراف بضعف المعلم فالمدرس الناجح هو الذى يسعى لمعرفة نفسية كل تلميذ بقصد مساعدته والأخذ بيـــده .

أما المدرس الذى يعالج العدوان الذى يقوم به التلميذ بعدوان يقوم به هو فى شكل نقل تلميذ من فصل إلى آخر أو توقيع عقوبات أو إصدار أوامر بقصد مضايقة التلميذ ، فهذا أكبر دليل على عدم نضجه من الناحية الوجدانية والعاطفية .

وهناك ناحية ثالثة تبين أهمية الدور الذى يقوم به المدرس كأب بديل . فهناك فئة من الأطفال تشعر بالنبذ ، والأطفال المنبوذون من والديهم يحتاجون إلى الاطمئنان العاطفى فى المدرسة ، إذ أنهم محرومون من الأبوين الحقيقيين بالمعنى المقصود فى علم النفس . فهم لذلك يتلمسون هذه العلاقات العاطفية فى أى شخص يمكن أن يأخذ دور الوالدين . والطفل المطمئن من حب والديه يمكنه أن يحقق نجاحا مبكرا فى بلوغ الاستقلال العاطفى . وأما غير المطمئن عاطفيا فإنه يحاول أن يحصل على أية علاقة عاطفية خلال طفولته وحتى خلال حياته ولذلك فإن الطفل غير المطمئن فى حاجة شديدة إلى أن يحظى بحب مدرسه .

وتختلف وجهة النظر التى ننادى بها هنا عن مبدئين هامين من مبادىء التربية القديمة . أولهما يتعلق « بالسيادة » التى يجب أن تقوم فى بناء العلاقات بين المدرس وتلاميذه . وثانيهما ضرورة وجود « مسافة اجتماعية » بين المدرسين وتلاميذهم ، أما عن المبدأ الأول فمضمونه أن المدرس الذى لايسود ، مدرس ضعيف . ويعتمد هذا المبدأ على النظرية التى تقول بضرورة توقيع العقاب على المخالفين والمقصرين من التلاميذ وإرهابهم عن طريق السلطة ، وهذا العمل الحاسم السريع هو الذى يضع حدا لكل سلوك غير مقبول يصدر عن التلاميذ . أما المبدأ الثانى فينادى بأن الاحتفاظ بالاحترام بين المدرس والتلميذ متوقف على عدم الاندماج معه ومن ثم تلجأ بعض المدارس التى تدين بهذا المبدأ إلى أساليب مختلفة لتأكيده . منها ضرورة إطلاق ألقاب على المدرسين وجلوس المدرس على مقعد موضوع على قاعدة مرتفعة أمام التلاميذ وعدم تناول المدرس لطعام وجبة الغداء مع التلاميذ بل يجب أن يعد له مكان خاص بعيد عن التلاميذ .. إلخ .

وصفوة القول أن العلاقات الإنسانية بين الرئيس والمرءوس أو بين أصحاب العمل والعمال أو بين المدرس والتلاميذ يجب أن تقوم على أساس من الود والتعاطف ولا يمكن تنظيم علاقة من هذا النوع بين الأفراد على اختلاف طبقات أعمالهم ، عن طريق القوانين واللوائح ، ذلك أن المسألة لاتتعدى أسلوبا خاصا فى المعاملة .

ويتضح ذلك جليا عند زيارة مدرسة لاتتمتع بعلاقات اجتماعية ناجحة ، فالطريقة التى يحيى بها التلاميذ مدرسيهم والأسلوب الذى

يخاطب به المدرسون تلاميذهم يستطيع أن يحكم منها الرائى لأول مرة أن العلاقات التى تربط الطرفين إنما هى علاقات تقوم على الود والتفاهم والصداقة ، لا على السلطة والسيادة .

بناء على ذلك نستطيع القول إن من أول واجبات المعلم أن يكسب حب التلاميذ له ، ويجب أن يكون ذلك أمرا فرديا ، فالمعلم العاقل هو الذى يسبق التلاميذ فى التعرف بهم ، وعليه أن يحاول أن يجد أشياء طيبة فى كل تلميذ على حده ، وأن يعبر عن تقديره لهذه النواحى الطيبة علنا وفى كل وضوح وعليه كذلك أن يحاول فهم الظروف العائلية لكل تلميذ ، والشدائد التى يواجهها واحتياجاته فى المدرسة . والناظر الحكيم هو الذى يقوم بعمل الترتيبات ليزور المعلمون كل تلميذ فى بيته فى أوائل العام الدراسى . فهذا الأسلوب فى التربية يقوى الصلة بين المدرس وتلاميذه ، كما يعمل على تدعيم العادات الاجتماعية الطيبة فى المجتمع .

ومن الخطأ أن يبدأ المدرس علاقته بالتلميذ عن طريق إظهار السلطة ، أو النقد أو التجاهل ، بل يجب على المعلم ألا ينقد التلميذ أو يلومه ، حتى يتم الوفاق والود والتعارف بينهما . ذلك أن هذا الأسلوب يثير ـــ بكل تأكيد ـــ الخصومة ويدفع التلاميذ إلى أن يسلكوا مسلكا عدائيا نحو المدرسة . ويؤيد هذا الرأى (أوجست ايكهورن) فهو يحدثنا عنها من واقع تجاربه كمدرس وناظر مدرسة ومدير لأكبر مؤسسة للأحداث المنحرفين فى مدينة (فيينا) . يذكر

(إيكهورن) أن المعلم حين يستخدم وسائل عنيفة مع التلاميذ المقصرين فإنه ، يستخدم فى الحقيقة نفس الوسائل التى تدخل الصبى فى صراع مع المجتمع . إن هذه الوسائل بدلا من أن تخفف الموقف نجدها تزيد العداء وتكشف عن العدوان الكامن فى الصبى ، ومن أجل ذلك لم يكن (ايكهورن) يفرض نظاما قاسيا فى المؤسسة التى كان يشرف عليها ، بل كان يتجنب أية قيود يرى أنها غير ضرورية .

العقاب كوسيلة للحد من عدوان التلاميذ :

من الطبيعى ألا يكون للعقاب مكان فى العلاقات التى تقوم بين المدرس وتلاميذه ، والسؤال الذى يواجهنا الآن : ماذا يكون موقف المعلم تجاه عمل عدوانى يصدر عن التلميذ ، كأن يلقى تلميذ بقطعة من الطباشير على السبورة فى الوقت الذى يكون المعلم موليا ظهره للفصل ؟ أن الواجب الأول للمدرس فى هذه الحالة هو أن يحاول فهم هذا السلوك . لماذا ألقى التلميذ الطباشير ؟ هل لأنه كلف بعمل فوق طاقته ؟ هل يعبر عن استيائه لنقد وجهه إليه المعلم ، أو إهانة أحس بها ؟ هل لم يظهر المعلم اهتمامه بالتلميذ كفرد ؟ .

إن فهم المدرس لأسباب العدوان يعتبر الخطوة الأولى التى يجب أن يتخذها المدرس إزاء ذلك العدوان ، وبعد ذلك فمن الواجب على المعلم أن يعد برنامجا محددا يتضمن ألوانا مختلفة من أوجه النشاط ليذيب فيه هذا العدوان . وهذا الأسلوب فى تكوين العلاقات بين المدرس وتلاميذه يقوى هذه العلاقات ويعمل على بناء شخصيات

التلاميذ . ومن غير الصواب أن يلجأ للعقاب كوسيلة لقمع العدوان ، ذلك لأن كل عقاب يزيد الرغبة فى العدوان .

الخلاصة أن من الواجب على السلطات التعليمية أن توفر للتلاميذ هذا المدرس المحبوب الودود الذى يغرس فى تلاميذه حب الدراسة والإقبال على التعليم . إذ من المعلوم أن خبرات الطفل التى يتعرض لها عند بدء التحاقه بالمدرسة إنما تحدد نمط التكيف الذى سيحذوه خلال سنواته التعليمية المقبلة . فكم من طفل قام بتعميم الكراهية التى كان يستشعرها إزاء مدرسيه الذين تلقوه عند بدء حياته الدراسية وجعلها كراهية عامة شاملة تستوعب عملية الدراسة بأسرها والمدرسين على اختلاف شخصياتهم ومواد تخصصهم ثم كان هذا التعميم سببا فى أن ينقطع عن الدراسة وهو لايزال فى بداية الطريق .

ومن الأهمية بمكان أن يبذل المدرسون كل جهد مستطاع ليجعلوا من العمل المدرسى فى نظر التلاميذ شيئا مسليا ممتعا يستثير هممهم ويعود عليهم بالفائدة ، إن السنوات التى يقضيها التلميذ فى المدرسة قليلة ، ولكل يومٍ فيها قيمته وأهميته بحيث تصبح المدرسة شيئا تافها إذا كانت الساعات تنقضى فيها ألوان تافهة غير مجدية من النشاط ، وإنه لمن المعروف أن التلاميذ يحبون ذلك النوع من المدرسين الذى يحسن تخطيط المشروعات المسلية والذى يغير من خططه وطرقه بين الحين والآخر ، والذى يتيح لتلاميذه أفسح المجال لكى يمارسوا قدرتهم على الابتكار وتنفيذ الخطط كما أنه مما لاشك فيه أن التلاميذ يقدرون للمدرس احترامه لوجهة نظرهم والتفاته لما

يقولون ، أى أنهم يقدرون للمدرس معاملته لهم على أنهم آدميون مثله .

بحث علمي عن المشكلات الشائعة بين طلاب المرحلة الثانوية

وقد أجرى الدكتور/ مصطفى فهمى بالاشتراك مع شعبة الإرشاد النفسى بكلية التربية بحثا لمعرفة المشكلات الشائعة بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية بمدينة القاهرة . وبلغت العينة (٢٤٣) طالبا وطالبة . وقد طبق فى هذه الدراسة اختبار (مونى) بعد تمصيره وإعداده لملاءمة البيئة المصرية . ويتضمن هذا الاختبار (٢٦٤) سؤالا مقسمة إلى أحد عشر مجالا وهى :

١ ــ المشكلات الصحية والجسمية .
٢ ــ المشكلات الاقتصادية .
٣ ــ مشكلات وقت الفراغ .
٤ ــ المشكلات الجنسية .
٥ ــ مشكلات التوافق الاجتماعى .
٦ ــ المشكلات الانفعالية .
٧ ــ الديـــــن .
٨ ــ المشكلات المتعلقة بالأسرة .
٩ ــ التوجيه التربوى والمهنى .
١٠ ــ العمل المدرسى .
١١ ــ المنهج والدراسة .

فجاءت نتائج البحث كما يلى :

أولاً : فى المدارس الثانوية للبنين

أكثر خمس مشكلات ترددا هى :

المشكلات الصحية والجسمية :

١ ــ لست قويا وصحيحا بالدرجة الكافية .
٢ ــ لا أقوم بتمرينات رياضية كافية .
٣ ــ أتعب بسرعة .
٤ ــ وزنى أقل من اللازم .
٥ ــ أشكو ضعف عينى .

المشكلات الاقتصادية :

١ ــ أريد أن أعرف كيف أدخر من نقودى .
٢ ــ أريد أن أحصل على بعض المال بجهدى الخاص .
٣ ــ ليس لى غرفة بالمنزل .
٤ ــ أحتاج إلى عمل أشتغل به فى العطلة فقط .
٥ ــ والدى يشقى كثيرا فى عمله .

مشكلات وقت الفراغ :

١ ــ أحتاج أن أثقف نفسى ثقافة أوسع .
٢ ــ ليس لى فرصة كافية لممارسة الرياضة .
٣ ــ تنقصنى المهارة فى الألعاب الرياضية .
٤ ــ لايوجد مكان مناسب لممارسة الرياضة بالقرب من المسكن .
٥ ــ أشعر كأنى مقيد عند وجودى فى المجتمعات .

المشكلات الجنســية :

١ ــ أرتبك عند الحديث مع أحد أفراد الجنس الآخر .
٢ ــ لا أختلط بسهولة مع الجنس الآخر .
٣ ــ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .
٤ ــ يحق لنا أن نلوم المدرسة لأنها لاتعطينا معلومات جنسية .
٥ ــ أود أن أعرف بعض أنواع الأمراض الجنسية .

مشكلات التوافق الاجتماعى :

١ ــ إننى خجول .
٢ ــ إن شعورى يخدش لأبسط الأشياء .
٣ ــ أريد أن أصبح محبوباً بدرجة أكبر .
٤ ــ إننى شديد الغيرة أو الحسد .
٥ ــ لا أجد من أتحدث إليه فى مشاكلى .

المشكلات الانفعالية :

١ ــ أسرح كثيراً فى الخيال .
٢ ــ أثور وأفقد أعصابى بسرعة .
٣ ــ أنفعل بسرعة لأبسط الأمور .
٤ ــ ما أسرع تساقط الدموع من عينى .
٥ ــ إننى عنيـد جـداً .

الديـــن :

١ ــ لا أتردد على المسجد بالقدر الكافى .
٢ ــ أريد أن أحس بأننى قريب من الله .
٣ ــ أريد أن أفهم القرآن « أو » الانجيل .
٤ ــ يحيرنى مصير الناس بعد الموت .
٥ ــ أخاف أن يعاقبنى الله فى الآخرة .

المشكلات المتعلقة بالأسرة :

١ ــ والداى يضحيان بأكثر مما يجب من أجلى .
٢ ــ أحد والدى متوفى .
٣ ــ لست فى وفاق تام مع أحد إخوتى .
٤ ــ أعانى من وجود منازعات عائلية .
٥ ــ لا أصارح والدى بكل شىء عنى .

التوجيه التربوى والمهنى :

١ ــ إننى أتعجل الانتهاء من الدراسة والحصول على عمل .
٢ ــ أحتاج إلى نصيحة بخصوص ماأفعله بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية .
٣ ــ أرغب فى معرفة المزيد عن كليات الجامعة المختلفة .
٤ ــ أخشى الا تسمح لى الجامعة بالالتحاق بها .
٥ ــ أحتاج أن أضع خطة للمستقبل .

العمل المدرسـى :

١ ـ لا أقضى وقتاً كافياً فى المذاكرة .
٢ ـ لا أعرف كيف أذاكر بطريقة مثمرة
٣ ـ أجد صعوبة فى الأعمال الشفوية .
٤ ـ أشعر بقلق من ناحية الامتحانات .
٥ ـ لا أميل إلى بعض المواد الدراسية .

المنهج والدراسة :

١ ـ بعض الامتحانات قاسية .
٢ ـ درجات الامتحان ليست مقياساً صحيحاً للقدرة .
٣ ـ كثير من مدرسينا ضعاف .
٤ ـ مدرسونا لايراعون إحساس الطلبة .
٥ ـ مدرسونا تنقصهم الشخصية .

أكثر خمس عبارات ترددا فى الإجابات السابقة :

١ ـ لا أتردد على المسجد « أو » الكنيسة بالقدر الواجب .
٢ ـ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .
٣ ـ لاأختلط بسهولة مع الجنس الآخر .
٤ ـ أسرح كثيراً فى الخيال .
٥ ـ أخاف أن يعاقبنى الله فى الآخرة .

ثانياً : فى المدارس الثانوية للبنات

المشكلات الصحية :

١ ـــ أتعب بسرعة .
٢ ـــ لا أقوم بتمرينات رياضية كافية .
٣ ـــ كثيرا ماأعانى من الصداع .
٤ ـــ أشكو ضعف عينى .
٥ ـــ أخاف من اضطراب العادة الشهرية .

المشكلات الاقتصادية :

١ ـــ أريد أن أعرف كيف أدخر من نقودى .
٢ ـــ أريد أن أحصل على بعض المال بجهدى الخاص .
٣ ـــ ليس لى غرفة خاصة بالمنزل .
٤ ـــ والداى يشقيان كثيراً فى العمل .
٥ ـــ أتمنى أن أسكن فى حى غير حينا .

مشكلات الفراغ :

١ ـــ أرتبك عند مقابلة الناس .
٢ ـــ لا أجد فرصاً كافية للاستمتاع بالطبيعة .
٣ ـــ لا تتاح لى فرص كافية للذهاب للسينما .
٤ ـــ لا أجد شيئا مسليا أفعله فى العطلة الصيفية .
٥ ـــ لا يسمح لى عادة بالخروج ليلاً .

المشكلات الجنسية :

١ ــ أرتبك عند الحديث مع أحد أفراد الجنس الآخر .
٢ ــ لا يسمح لى بصداقات مع الجنس الآخر .
٣ ــ يحيرنى موضوع العلاقات بين الجنسين .
٤ ــ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .
٥ ــ يحيرنى أمر مقابلة الشبان للفتيات .

مشكلات التوافق الاجتماعى :

١ ــ إنى خجولة .
٢ ــ إن شعورى يخدش لأبسط الأشياء .
٣ ــ أرتبك بمنتهى السهولة .
٤ ــ أريد أن أصبح محبوبة بدرجة أكبر .
٥ ــ أحس أنه لا يوجد من يفهمنى .

المشكلات الانفعالية :

١ ــ أسرح كثيرة فى الخيال .
٢ ــ أثور وأفقد أعصابى بسرعة .
٣ ــ أنفعل بسرعة لأبسط الأمور .
٤ ــ إننى كثير القلق .
٥ ــ ما أسرع تساقط الدموع من عينى .

الديـــــن :

١ ــ لا أتردد على المسجد « أو » الكنيسة بالقدر الواجب .
٢ ــ يحيرنى تفسير « الله » .
٣ ــ أريد أن أحس بأنى قريبة من الله .
٤ ــ يحيرنى مصير الناس بعد الموت .
٥ ــ أخاف أن يعاقبنى الله فى الآخرة .

المشكلات الأسرية :

١ ــ والداى يضحيان كثيراً من أجلى .
٢ ــ إننى مشغولة جداً من جهة أحد أفراد الأسرة .
٣ ــ بعض أفراد أسرتى مرضى .
٤ ــ لا أصارح والدى بكل شىء .
٥ ــ لست على وفاق تام مع أحد إخوتى .

مشكلات التوجيه المهنى :

١ ــ أحتاج إلى نصيحة بخصوص ماأفعله بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية .
٢ ــ إننى أتعجل الانتهاء من الدراسة والحصول على عمل .
٣ ــ أرغب فى معرفة المزيد عن كليات الجامعة المختلفة .
٤ ــ يتعذر على أن أقرر نوع الكلية التى سألتحق بها .
٥ ــ أخشى ألا أستطيع الالتحاق بالجامعة .

مشكلات العمل المدرسى :

١ ــ لا أقضى وقتاً كافياً فى المذاكرة .
٢ ــ لا أستطيع التركيز على الدروس .
٣ ــ لا أعرف كيف أذاكر بطريقة مثمرة .
٤ ــ لا أميل إلى بعض المواد الدراسية .
٥ ــ أشعر بقلق من ناحية الامتحانات .

مشكلات المنهج والدراسة :

١ ــ ليس عندى مكان مناسب للمذاكرة فى المنزل .
٢ ــ مدرسونا ليسوا أصدقاء للتلاميذ .
٣ ــ مدرسونا لا يراعون إحساس الطلبة .
٤ ــ درجات الامتحان ليست مقياساً صحيحاً للقدرة .
٥ ــ بعض الامتحانات قاسية .

أكثر خمس مشكلات ترددا فى حالة الفتيات :

١ ــ أتعب بسرعة .
٢ ــ كثيراً ما أعانى من الصداع .
٣ ــ لا أستطيع أن أسأل والدى عن أى مسألة جنسية .
٤ ــ لا أعرف كيف أذاكر بطريقة مثمرة .
٥ ــ ماأسرع تساقط الدموع من عينى .

بحث علمى عن سلوك الطلاب فى المرحلة الثانوية

ومن المفيد أن نقف على نتائج البحث القيم الذى قامت به الإدارة العامة لرعاية الشباب بوزارة التربية والتعليم عام ١٩٦٢ وكان موضوعه « سلوك الطلاب فى المرحلة الثانوية » ، ونذكر منه مايلى :

أنواع السلوك غير السوى :

جاء ترتيب أنواع السلوك غير السوى الشائعة بين الطلاب طبقاً لآراء المشتركين فى الدراسة من رجال التربية والتعليم وحسب مجموع تكرارات كل منها : كما يأتى :

م	نوع السلوك	عدد التكرارات	م	نوع السوك	عدد التكرارات
١	التأخر الدراسى	٦٥٧	٩	المشكلات الجنسية	٣٠٩
٢	الهروب من المدرسة	٦٢٩	١٠	التدخين	٣٠١
٣	التغيب عن المدرسة	٦٠٠	١١	العدوان على الزملاء	٢٧٤
٤	الاستهتار بالنظام المدرسى	٥٠٩	١٢	الانطواء	٢١٦
٥	الكذب	٤٦٦	١٣	عدم طاعة الوالدين	١٩٠
٦	معاكسة الجنس الآخر	٤٥٧	١٤	السرقة	١٨٩
٧	السلوك الاتلافى	٣٨١	١٥	العدوان على المدرسين	٣٥
٨	الميوعة	٣٢٧			

أسباب السلوك غير السوى :

تبين من نتائج الدراسة أن أسباب السلوك غير السوى بين الطلاب مرتبة حسب أهميتها فى نظر المشتركين بالاستفتاء ترجع إلى :

م	نوع السلوك	عدد التكرارات	م	نوع السوك	عدد التكرارات
١	البيئة المنزلية	١٠١٣	١٠	عدم ملاءمة الاستقرار النفسى لنوع الدراسة	٢٢٧
٢	رفاق السوء	٨٠٦	١١	نقص وسائل الرعاية الفردية بالمدارس	٢١٩
٣	الحالة الاقتصادية	٧٤٦	١٢	جفاف المناهج	٢١٢
٤	مشكلات أوقات الفراغ	٥٩٧	١٣	عدم توافر امكانيات الحالة الاجتماعية بالمدرسة	١٩٧
٥	المغريات الخارجية	٤٥٠	١٤	النقص فى الهوايات الملائمة لرغبات الطلاب	١٣٣
٦	ضعف شخصية الطالب	٣٠٦			
٧	أسباب صحية	٢٩٤			
٨	الأغانى والروايات الخليعة	٢٤٤			
٩	ازدحام الفصول	٢٣٥			

ونستعرض فيما يلى نتائج دراسة بعض هذه المشاكل :

مشكلة الاستهتار :

وتبدو مظاهر الاستهتار فى أنواع السلوك التالية :

التبجح فى مخاطبة الغير ـــ الإهمال فى أداء الواجبات المدرسية ـــ معاكسة الجنس الآخر ـــ عدم احترام مواعيد المدرسة ـــ الخروج عن النظام فى الأماكن العامة ـــ التغيب عن المدرسة بدون سبب ـــ الإسراف فى العادات الضارة صحياً ـــ الاستهتار بحقوق الغير ـــ إثارة الشغب أثناء التدريس ـــ الميوعة ـــ سوء تصرف الطالب فى حاجته الخاصة ـــ الاستهانة بشعور الآخرين ـــ المغامرات غير المأمونة .

أسباب الاستهتار :

وانتهت الدراسة إلى أن أسباب الاستهتار ترجع إلى عوامل ذاتية وعوامل أسرية وعوامل مدرسية وعوامل بيئية بيانها كما يلى :

(أ) الأسباب الذاتية :

الغرور ـــ عدم الرغبة فى تحمل المسئولية ـــ ضعف الوازع الدينى ـــ ضعف ثقة الطالب بنفسه أو بغيره ـــ الرغبة الزائدة فى جذب الانتباه ـــ الفشل المتكرر .

(ب) الأسباب الأسرية :

ضعف الرقابة المنزلية ـــ إهمال الوالدين فى تربية الأبناء ـــ النزاع المستمر بين الوالدين ـــ التفرقة بين الإخوة فى المعاملة ـــ تفكك الأسرة .

(ج) الأسباب المدرسية :

ضعف الرابطة بين الطالب والمعلم ـــ ضعف الصلة بين المدرسة والمنزل ـــ التهاون مع الطلبة ـــ كراهية الطالب للمدرسة ـــ النقص فى

إمكانات النشاط المدرسى ــ الشدة فى تطبيق النظم المدرسية ــ عدم الميل إلى نوع التعليم ــ النقص فى الخدمات الاجتماعية .

(د) **الأسباب البيئية :**

رفاق السوء ــ ضعف الرقابة على الكتب والأفلام والأغانى ــ ضعف التربية الدينية ــ عدم توفر وسائل شغل أوقات الفراغ فى البيئة الخارجية .

علاج مشكلة الاستهتار :

وانتهت الدراسة إلى اقتراح الوسائل لعلاج الاستهتار أو التخفيض من آثاره وهى كما يلى :

١ ــ توثيق الصلة بين المدرسة والمنزل .

٢ ــ التدريب على تحمل المسئولية .

٣ ــ تبصير الآباء وأولياء الأمور بمشكلات الطلبة وطرق معاملتهم .

٤ ــ حسن اختيار المدرس الرائد وتوفير الوقت اللازم له .

٥ ــ توفير إمكانات وبرامج النشاط المدرسى وشغل وقت الفراغ .

٦ ــ حسن توجيه التلاميذ إلى نوع التعليم الذى يتفق وميولهم .

٧ ــ الاهتمام برعاية المشكلات الفردية .

٨ ــ الاهتمام باتحادات الطلاب وتوظيفها .

٩ ــ تجنب إبعاد الطالب عن المدرسة كعقوبة .

١٠ ــ عدم الالتجاء إلى الفصل من المدرسة إلا بعد دراسة الحالة اجتماعياً .

١١ ـ توقيع عقوبات على الطلبة المستهترين .

١٢ ـ الاهتمام بالتربية الدينية .

١٣ ـ تنظيم الرقابة على الأفلام والمجلات والملاهى .

١٤ ـ مكافأة الطلبة الممتازين خلقياً ودراسياً .

١٥ ـ إلغاء حفلات السينما الصباحية .

مشكلات الكذب :

وأجمع المشتركون فى البحث على أن انتشار ظاهرة الكذب « بدرجة متوسطة » ثم جاءت نتيجة الدراسة على أسباب الكذب والأساليب المقترحة لعلاجه كما يلى :

أسباب الكذب : (المواقف التى يلجأ فيها الطالب إلى الكذب) .

١ ـ قد يكذب الطالب ليتخلص من موقف حرج ليتفادى العقاب .

٢ ـ قد يكذب الطالب لينقذ زميلاً له .

٣ ـ قد يكذب الطالب ليحقق رغبة شخصية .

٤ ـ قد يكذب الطالب ليتباهى أمام الآخرين .

٥ ـ قد يكذب الطالب لسوء ظنه وعدم ثقته بالآخرين .

٦ ـ قد يكذب الطالب ليلحق الضرر أو لينتقم من شخص يكرهه .

٧ ـ قد يكذب الطالب لإثارة فتنة للتفرقة بين الآخرين .

٨ ـ قد يكذب الطالب لأنه يجد لذة فى الكذب .

٩ ــ الكذب بدافع التقليد .
١٠ ــ الكذب بدافع الشعور بالنقص .
١١ ــ الكذب لعدم الثقة بالنفس .
١٢ ــ الكذب لفساد البيئة .
١٣ ــ الكذب نتيجة لاضطرابات العلاقات الأسرية .
١٤ ــ الكذب لضعف التربية الدينية .

الوسائل التى تؤدى إلى التخفيف من انتشار ظاهرة الكذب :

١ ــ القدوة الحسنة فى المنزل والمدرسة .
٢ ــ الاهتمام بالتربية الدينية بالمنزل والمدرسة .
٣ ــ حسن اختيار الأصدقاء .
٤ ــ تبصير الطالب بأضرار الكذب .
٥ ــ شغل أوقات الفراغ بوسائل مفيدة .
٦ ــ تحقيق رغبات الطالب بطريقة مشروعة .
٧ ــ الرقابة على وسائل النشر والإذاعة .
٨ ــ عقاب الكاذب .
٩ ــ اتباع أسلوب اللين مع الطالب .
١٠ ــ تشجيع الصادق بالجوائز .
١١ ــ احترام شخصية الطالب .
١٢ ــ إعفاء الكاذب إذا قال الصدق .
١٣ ــ حل مشكلات الطالب بعد دراسة أسبابها .
١٤ ــ تعويد الطالب على تحمل المسئولية .

مشكلــة الانطـــواء :

ومظاهره هى تحاشى المناقشات داخل الفصل ــ عدم الإقبال على أنواع النشاط المدرسى الجماعى ــ عدم القدرة على اكتساب صداقات جديدة ــ اعتزال الناس ــ التردد وأحلام اليقظة .

الأسباب التى قد تؤدى إلى الانطواء :

١ ــ قد ينطوى الطالب للمعاملة القاسية التى يلقاها بالمنزل أو المدرسة .

٢ ــ قد ينطوى الطالب لفشله المتكرر فى الدراسة .

٣ ــ قد ينطوى الطالب لضعف الثقة بنفسه أو الآخرين .

٤ ــ قد ينطوى الطالب لإصابته بعاهـــة .

٥ ــ قد ينطوى الطالب لتعرضه للصدمات والكوارث .

٦ ــ قد ينطوى الطالب لظروفه الاقتصادية السيئة .

٧ ــ قد ينطوى الطالب لاستغراقه فى التفكير فى مشكلاته الخاصة .

٨ ــ قد ينطوى الطالب لانعزال الأسرة وعدم الاختلاط .

٩ ــ قد ينطوى الطالب للتفرقة فى المعاملة سواء بالمنزل أو المدرسة .

١٠ ــ قد ينطوى الطالب لافتقاره إلى بعض المهارات .

الوسائل التى تؤدى إلى التخفيف من ظاهرة الانطواء :

١ ــ التشجيع على شغل أوقات الفراغ فى النشاط الجماعى .

٢ ــ التوسع فى إنشاء الأندية الرياضة ومراكز الخدمة العامة والمعسكرات باشتراكات زهيدة .

٣ ــ توزيع المسئوليات على الطلاب وتدريبهم على القيادة .

٤ ــ المساواة فى المعاملة بين الأخوة فى المنزل والتلاميذ فى المدرسة .

٥ ــ تشجيع الطلبة المنطوين على الاندماج فى جماعات النشاط المدرسى .

٦ ــ تدعيم العلاقة بين المنزل والمدرسة .

٧ ــ حسن اختيار رواد الفصول وتيسير مهمتهم .

٨ ــ توفير الخدمات الاجتماعية داخل المدرسة وخارجها .

ثانياً : أغراض التربية الإسلامية فى المدرسة :

وفى هذا المجال ــ التربية فى المدرسة ــ يوجه الإسلام إلى أن تحقق المدرسة أغراضاً أساسية للتربية العقلية والتربية الجسمية والتربية الدينية والخلقية .

١ ــ التربية العقليـــة :

عنى الإسلام بالتربية العقلية وشحذ ملكات الإدراك وكسب العلوم والمعارف ، وقد حث القرآن فى أكثر من موضع على التفكير والتأمل والإحاطة بحقائق الكون ، ومسائل العلوم . فمن ذلك قوله عز وجل : ﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ ؟ وقوله : ﴿ **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق**

الله من شيء ﴾ وقوله : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾ . وكان عليه الصلاة والسلام قدوة الداعين إلى التربية العقلية والتعليم بأفعاله وأقواله . فمن أفعاله عليه السلام فى هذا الصدد تحريره بعض أسرى الحرب ببدر على أن يعلموا طائفة من المسلمين القراءة والكتابة . ومن ذلك أيضا أنه طلب إلى الشفاء العدوية أن تعلم زوجه حفصة تحسين الخط وزخرفته . ومن أقواله عليه السلام فى ذلك « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » و « العلماء ورثة الأنبياء » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » . وعلى نهج الرسول عليه السلام فى الحض على التربية العقلية والتعليم سار الصحابة والتابعون والسلف الصالح . قال مصعب بن الزبير لابنه : « تعلم العلم فإن يكن لك مال كان لك جمالاً وإن لم يكن لك مال كان لك مالا » . وقال عبد الملك بن مراوان لبنيه : « يابنى تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطا سدتم وإن كنتم سوقة عشتم » .

٢ ــ التربية الجسمية :

وعنى الإسلام بكل ماينى الجسم القوى السليم من ألوان التربية البدنية والرياضية فحث على تعلم السباحة[١] وركوب الخيل ، كما يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » ، كما حث على السباق فى الجرى والمصارعة

---

(١) قال الحجاج لمربى ولده : « علم ولدى السباحة قبل الكتابة فإنهم قد يصيبون من يكتب عنهم ، ولكنهم لايصيبون من يسبح عنهم » .

ورفع الأثقال والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل ،واشترك النبى صلوات الله وسلامه عليه فى هذا .

ويمدح الإسلام المؤمن القوى ويعتبره أنفع وأفضل عند الله من الضعيف فيقول الرسول الكريم : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (رواه مسلم) . ويقول فى حديث آخر : « إن لبدنك عليك حقاً » (رواه البخارى) .

وكان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول لولده « يابنى العبوا فإن المروءة لاتكون إلا بعد اللعب » .

٣ ـ الاهتمام بوقت الفراغ :

واهتمام النظام المدرسى بالتربية الجسمية والرياضية بأشكالها المختلفة يؤدى ـ فوق مايحققه من قوة الأجسام ـ إلى تقوية إقبال المراهقين على الرياضة وتنمية حبها فى نفوسهم الأمر الذى يساهم إلى حد كبير فى حل مشكلة أوقات الفراغ فى حياتهم سواء فى المدرسة أو خارجها .

فإن من أحسن مايعصم التلاميذ من مزالق السوء والانحرافات وفساد الأخلاق أن تهتم التربية بأوقات الفراغ ، فهى مفسدة للروح والخلق والعقل والبدن . ومشاكل الأحداث تأخذ فى الاطراد كلما وجدوا أنفسهم فى هوة فسيحة من الفراغ لايعرفون ماذا يفعلون ولا إلى أين يتجهون ، وما أكثر الفراغ فى عصرنا هذا سواء أكان ذلك فى المدارس أم فى غيرها .

والواقع أن حسن استثمار وقت الفراغ قد أصبح مقياساً من مقاييس الحضارة بالنسبة للشعوب وكثيراً مايتحدد اتجاه الدولة نحو البناء الاجتماعى وفقاً لمفهوم هذه الدولة وفلسفتها تجاه وقت الفراغ .

من أجل ذلك عنيت الدول المتحضرة بوضع الخطط المختلفة لحسن الاستفادة من وقت الفراغ بما يعود على المواطن وعلى الدولة بالنفع .

وقد دلت الأبحاث النفسية والاجتماعية على أن الفراغ يأتى على رأس الأسباب المباشرة لانحراف الشباب وخاصة فى مرحلة المراهقة ، وهو المسؤول عن مشاكل تشرد الشباب وجناح الأحداث والتسكع فى الشوارع والانضمام إلى رفقاء السوء والعصابات وإدمان الخمر والمخدرات وكل مايؤدى إلى تدهور الأخلاق والقيم والأمراض النفسية . والحل السليم لمشكلة وقت الفراغ ـــ كما أثبتت الدراسات والأبحاث ـــ هو مايسميه علماء النفس بأسلوب الاستبدال وهو يحول فكر المراهق وقلبه من الاتجاه وراء دوافع الغرائز ، ويتوجه بها وجهة نافعة تتفق مع مصلحته ومصلحة المجتمع .. وتهتم الدول المتقدمة بهذا الأمر فتهيىء لشبابها كل الوسائل لحسن استغلال وقت الفراغ مثل الملاعب والأندية الرياضية والنشاط الكشفى والرحلات والمكتبات ومراكز الثقافة والخدمة العامة ومعسكرات العمل وغيرها .

ولقد عنيت المدرسة الإسلامية أعظم العناية بهذا الأمر ، فهى تحول فكر الفتى والفتاة إلى التركيز على نواح كثيرة ومفيدة مثل تحصيل المعرفة والعمل والعبادة والرياضة وغيرها .

٤ ـــ التربية الدينية والخلقية :

وألزم مايلزم للناشئين فى هذه المرحلة التربية الدينية المناسبة ، والجو الاجتماعى النقى والإشراف النفسى الحكيم . فأما التربية الدينية المناسبة فى مراحل التعليم فإن جوهرها الوصول إلى وجدان الناشىء وضميره وتنمية عاطفته الدينية ، وربط جوانب شخصيته بحبل العقيدة والتعاليم الروحية وإحكام صلته بخالقه عن طريق اتصاله بكتاب الله حفظاً وفهماً ودراسة وبسنة رسول الله ﷺ وسيرته وسيرة أصحابه وخلفائه والصالحين من أمته ، وبما يناسب سنه وعقله من مبادىء التشريع الدينى وأسراره ، وبالمعالم البارزة من تاريخ الأمة الإسلامية وحضارتها ودورها فى تقدم الإنسانية ، وبتهيئة الوسائل له لإقامة شعائر دينه وتشجيعه على ممارسة أعمال الخير والبر ، وبتوجيهه إلى الاتصال بالكتب وبالنصوص الإسلامية التى تتضمن أو توحى بالترغيب فى الاستقامة والتنفير من الانحراف ، ومن الضرورى أن يبنى كل ذلك على منهج تربوى ونفسى مدروس ، وأن يكون القائمون على شئون التعليم قدوة صالحة للمتعلمين ، وأن تعنى المدارس والمعاهد ، ومراكز تجمع الشباب بكل مايساعدهم على إقامة الشعائر الدينية ، وينمى فى نفوسهم الشعور بجلال المواسم الإسلامية والحرص على إحيائها ويحقق لهم فضيلة النشأة فى عبادة الله .

ومما يجدر ذكره أنه لايصح أن نتصور أن مدرس الدين هو المسئول وحده عن التربية الدينية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى التلاميذ ، بل الواجب أن نقرر أن جميع المدرسين مسئولون أيضاً ،

إن التلميذ يمضى أكثر ساعات النهار لأكثر أيام السنة فى صحبة المعلم ، والمعلم هو الذى يشكل عقول تلاميذه ويمدهم بالمواد الثقافية ويزودهم بالقيم والاتجاهات التى تتشكل على هديها أنماط سلوكهم الاجتماعى .

هذا وباستقراء الوصايا التى كان يقدمها الخلفاء والقادة للمربين ، يتبين أنهم كانوا يرون أن التربية الكاملة هى ماانتظمت جميع الأغراض السابقة مع توجيه أكبر عناية إلى الناحيتين الخلقية والدينية .

فقد كتب الرشيد إلى معلم ولده الأمين فقال :

« ياأحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ،وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ،وروه الأشعار ، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجالسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنى فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه مااستطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

وكتب عمرو بن عتبة لمعلم ولده فقال :

« ليكن أول اصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم

معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ماصنعت والقبيح ماتركت . علمهم كتاب الله ولا تملهم منه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه . روهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك » .

توصيـــــات :

وقد ورد فى تقرير لجنة العلماء الذين أشرفوا على بحث مشكلات الطلاب فى المدارس الثانوية الذى تحدثنا عنه التوصيات الآتية فيما يتصل بالتربية الدينية :

لا ينكر أحد ما للدين من أثر فى تهذيب سلوك الأفراد واتصافهم بالمبادىء الخلقية القويمة وهو المحور الأساسى الذى تدور حوله القيم والمعتقدات فى مجتمعنا العربى بصفة خاصة وقد كان الاقتراح الخاص بنشر التربية الدينية فى المدرسة والمنزل فى مقدمة الوسائل التى أشار إليها المشتركون فى البحث للحد من انتشار الظواهر السلوكية المختلفة بين الشباب ويمكن اتباع الوسائل الآتية لتحقيق هذا الاقتراح :

(أ) الاهتمام بدروس الدين المقررة وجعلها مادة أساسية فى جميع الفرق والامتحانات النهائية .

(ب) أن يعاد النظر فى برامج الدين بالمدارس بحيث تتناول النواحى العملية والتطبيقية لمبادئه القويمة إلى جانب الناحية النظرية .

والتوسع فى مناقشة المبادىء مع الطلبة وربطها بطريقة التنفيذ والتطبيق فى الحياة الواقعة .

(جـ) الاهتمام بالسير الدينية للرسل وكبار الأئمة والمصلحين وإجراء مسابقات لإصدار كتب حول هذه السير واستخلاص المبادىء منها وربطها بخطة لسلوك الأفراد فى المجتمع .

(د) إن القدوة الحسنة هى خير طريق لتثبيت المبادىء فى نفوس الطلاب وكل مدرس فى المدرسة يستطيع أن يكون قدوة أخلاقية كريمة وعاملاً فعالاً فى غرس الاتجاهات الصالحة عن طريق سلوكه مع الطلاب والتمسك بالدين ومبادئه والتزامه أساليب الصدق وعدم المحاباة والمعاملة الديمقراطية والمحافظة على مواعيده إلى غير ذلك . ومجال الفصل والنشاط هو خير المجالات وأحسنها للممارسة العملية والتدريب على تحقيق هذه المبادىء .

(هـ) أن تعنى المدارس بإقامة الشعائر الدينية بها وحث التلاميذ على ممارستها .

(و) هناك الكثير من النصوص الدينية التى تمس حياة الأفراد والجماعات ويقترح أن تكون لجنة من رجال الدين ومن الاجتماعيين لاستخراج هذه النصوص وتحليلها ونشرها فى كتيبات يسهل تداولها . وتوزع ضمنا على الوعاظ والمربين لنشرها بدورهم على أفراد الشعب لنشر الوعى الدينى والاجتماعى بينهم .

مثل طيب للمدرسة :

وفيما يلي مثل طيب للمدرسة التى تعنى بالتربية الدينية وكتبت عنها الصحف[1] .

المدرسة الثانوية الجوية بدأت — ولأول مرة — تجربة تحفيظ القرآن الكريم فى معامل اللغات . التجربة نجحت إلى حد كبير وكانت نتائجها فوز تلاميذ المدرسة بالمراكز الأولى فى مسابقات حفظ القرآن ،وكذلك حصول المدرسة على كأس التفوق فى هذه المسابقات .

يقول العميد طيار على زيكو مدير المدرسة الثانوية الجوية : بدأنا التجربة منذ عدة سنوات عن إيمان بأن العقيدة الدينية سلاح للمقاتل يجب تعميقه عن طريق التوعية الدينية المستمرة . ولما كان حفظ ودراسة القرآن الكريم أعلى مراتب التوعية الدينية ، فقد كان من الضرورى استخدام أحدث الأساليب فى هذا المجال ، وخاصة لما حققه استخدام معامل اللغات من نجاح ملموس فى تعليم اللغات الأجنبية .

والطريقة المتبعة هى أن يقوم المدرس بشرح أهداف السورة ومعانيها وكذلك الكلمات الصعبة ، ثم يقرأ الآيات ويرددها التلاميذ خلفه حتى يطمئن إلى حسن النطق والأداء . وبعد ذلك تسجل السورة كاملة بصوت المدرس مع شرحها ، وتودع فى معمل اللغات

---

(١) جريدة الأهرام — ٨ إبريل ١٩٧٧ م تحت عنوان تحفيظ القرآن فى معامل اللغات .

لتصبح مرجعا دائما يستخدمه التلاميذ عند استذكارهم وحفظهم للقرآن الكريم .

وهذه الطريقة ــ كما يقول مدير المدرسة ــ مكنت الطلاب من حفظ الآيات القرآنية حسب النطق الصحيح ، كما رفعت من مستواهم بصفة عامة فى إجادة اللغة العربية . وقد لوحظ أن الطلاب المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم قد زادت قدرتهم على استيعاب المواد الأخرى . هذا بالإضافة إلى توفير مجهود المدرس فلم يعد يقوم طول الوقت بالتلقين والترديد ، وإنما يستطيع الطلاب أن يدخلوا المعمل فى أى وقت يشاءون .

لقد استطعنا عن طريق استخدام معامل اللغات أن نزيد من عدد الطلاب الذين يحفظون القرآن . ولما كان حفظ القرآن إجباريا فى المدرسة ، فإن معظم الطلاب يتخرجون وقد وصل مايحفظونه إلى ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم بالإضافة إلى المنهج الذى تقرره الوزارة .

والمزايا التى حققتها المدرسة ــ كما يؤكد المدير ــ هى ارتفاع المستوى الخلقى والسلوكى بين الطلاب اهتداء بالمبادىء السامية التى رسمها القرآن الكريم . كما أن طلاب المدرسة استطاعوا أن يحرزوا المراكز الأولى فى مسابقات حفظ القرآن التى تنظمها المنطقة التعليمية ، وقد فازت المدرسة هذا العام بكاس التفوق فى مسابقة القرآن الكريم على مستوى منطقة مصر الجديدة التعليمية .

المبحـــث التاســـع

التربية الإسلامية فى المجتمـع

البيت والمدرسة والمجتمع شركاء فى المسئولية :

إذا كان البيت هو الموقع الذى تبدأ فيه التربية ، وإذا كانت المدرسة هى الحلقة الوسطى بين البيت والمجتمع الكبير الذى يعيش ويتحرك فيـه الإنسان ويتفاعـل فيـه مع غيره من النـاس يتأثـر بهم ويؤثـر فيهم ، فليس من صواب الرأى أن نلقى بكل المسئولية على عاتق أحد هذه المواقع (البيت ـــ المدرسة ـــ المجتمع) دون غيره .

فالواقع أن هذه المواقع تشترك جميعاً فى المسئولية وخاصة فى هذا العصر الذى اشتغلت فيه المرأة بالعمل ولم تعد متفرغة تماماً لتربية أولادها ،والذى كثرت فيه وسائل التأثير والتوجيه والتثقيف كالكتب والصحافة والإذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما .

بل إن مقتضى هذه الشركة فى المسئولية هو ألا تتحد هذه العوامل فى الأهداف والوسائل فحسب ، بل هو أن يتولى أحدها سد النقص الذى فى الآخر . أى أن واجب المدرسة ووسائل الإعلام مثلا أن تعوض بعض الأولاد عما لايجدونه أحياناً فى بيوتهم من حسن

التوجيه والتربية إما بسبب عدم التفرغ كما بينا أو جهل الآباء بأساليب التربية الصحيحة أو بسبب عوامل التفكك الأسرى إلى غير ذلك من العوامل .

إننا نمر الآن بمرحلة انتقال وتطور هامة شملت كثيراً من جوانب حياتنا ومن هنا أصبح واجباً علينا نحن الذين نشارك فى صنع هذه المرحلة أن نعمل ماوسعنا الجهد على أن تمر دون أن يهتز فى نفوس أولادنا رجال المستقبل شيء من هذه القيم الخلقية أو الدينية ، فإنه لاتوجد أمة ، ولا تقوم ، أو تعيش لها نهضة ، دون أن يكون لها مثل وقيم تستمدها من دينها وتقاليدها ، ودون أن يكون لمستقبلها جذور طيبة متينة تمتد إليها من ماضيها المجيد .

والمسئولية التى ألقاها الإسلام على عاتق الآباء نحو أولادهم يوم كان البيت وحده صاحب التأثير والسلطان على الأولاد أصبح من العدل ،ومن واجب الشعور بالمسئولية ومن المصلحة العامة لمستقبلنا ، أن تتحملها مع الآباء كل أدوات التوجيه والتأثير التى ذكرناها فإذا وجدنا الرسول ﷺ يقول للآباء : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ، وجب على كل ناحية لهاتأثير وتوجيه أن تتقدم فى إخلاص وشعور بالواجب لتشارك الآباء فى مسئولية توجيه الأبناء إلى حسن الخلق .

وإذا قال الله تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾(١) .

---

(١) سورة التحريم آية : ٦ .

وقال المفسرون : إن الله يريد بذلك أن يعمل الآباء على توجيه أولادهم لطاعة خالقهم والقيام بواجبهم نحو الله والناس ، كان من الواجب فى جونا الذى نعيش فيه ، أن نجعل كل ناحية لها تأثير وتوجيه للأولاد ، مخاطبة كذلك بهذا الأمر من الله ، ومتحملة مع الآباء للمسئولية أمامه سبحانه ، ومحاسبة على ماتقدمه من توجيه وتربية .

وإذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام للآباء « مروا أولادكم بالصلاة ،وهم أبناء سبع سنين . واضربوهم عليها لعشر سنين » وجب على المدرسة وكل عوامل التأثير على الأولاد فى المجتمع أن تتحمل نصيبها بإخلاص فى تحمل مسئولية تنفيذ هذا الأمر النبوى مع الآباء ، وتعويد الأولاد على طاعة ربهم ، منذ نعومة أظافرهم حتى يقوى ضميرهم الدينى فى كبرهم ، فإن من شب على شيء شاب عليه .

وليس معنى هذا ولا أريد بهذا أن نخلى البيت من المسئولية ، أو نقلل من خطر الدور الذى يمكن أن يقوم به فى تربية الولد على تقوى الله ، وأداء الواجب فى إخلاص لدينه ووطنه ، ولكن المقصود أن يشعر كل من له تأثير وتوجيه بمسئوليته تجاه الجيل الجديد وألا تهدم ناحية ما تبنيه الناحية الأخرى .

فلن يبلغ البنيان يوماً تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقد قال رسول الله ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه الخمسة) .

ونستعرض فيما يلى بعض المبادىء التى يقوم عليها منهج الإسلام فى التربية السلوكية والتى ينبغى أن تلتزم بها كل عوامل التربية سواء البيت أو المدرسة أو أدوات التوجيه والإعلام والثقافة والمجتمع كله وهى :

١ ــ تربية الضمير الدينى .
٢ ــ الإقنـــاع .
٣ ــ الترغيب والترهيب .
٤ ــ مزج التربية العقلية بالتربية الدينية .
٥ ــ دور المســجد .
٦ ــ القــدوة الحسنة .
٧ ــ حسن اختيار الأصدقاء .
٨ ــ النهى عن التقليد الأعمى .
٩ ــ الاقتداء بالسلف الصالح .

أولاً : تربية الضمير الدينى :

لاشك فى أن الإيمان الصادق العميق يبنى ضمير المسلم ويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه إيمانه لايشغله عن ذلك شاغل ويصوره لنا الرسول الكريم فى العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، ثم بقوله : « إياك إياك أن يراك حيث نهاك » (متفق عليه عن أبى هريرة) .

والمدرسة الإسلامية فى تربية الضمير الدينى لم تجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا وهو النجاة من العقوبة بل جعلت للخوف فوق

النجاة والسلامة جزاء إيجابيا هو الثواب الجزيل والأجر العظيم وهذا بعض مايفهم من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى** ﴾ وقوله : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ .

فإذا عود الشباب نفسه من بداية مرحلة إحساسه بذاته أن يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله موقنا أن الله تعالى مطلع على جميع أعماله ومعتقدا أنه تعالى يجازى من أطاعه برضوانه وإحسانه ،وأنه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه ، إذا عود نفسه على ذلك سهل عليه أن يفعل ماأمره الله به ويجتنب مانهاه عنه ، فإذا سولت له نفسه أن يأتى معصية ردها وزجرها وذكرها بعزة الله وجلاله وأنه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه لاتخفى عليه خافية ﴿ **مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم** ﴾ .

فالعربى المسلم الذى كان يقسم غنائم خيبر وعرض اليهود عليه رشوة فقال : « لقد آمنت بربى قبل أن أومن بمحمد ، وبهذا أخزاكم الله ونصرنا عليكم » .

وراعى الغنم حينما عرض عليه أن يبيع واحدة منها وصاحبها لايراه ، يصيح بصوت ملؤه الإيمان : إذا كان صاحبها لايرانى فأين الله ؟ ..

فالضمير الصافى أو القلب السليم هو النور الذى يهدى الإنسان

فى مسالك الحياة ويملأ النفس اطمئنانا ورضى ، فإذا ظفرنا بتربيته وإيقاظه فى النشء فقد أقمنا أقوى دعائم التربية الناجحة القويمة لهم . والقرآن الكريم يعبر عن ذلك يقول سبحانه : ﴿ **يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ (سورة الشعراء ٨٨ — ٨٩) ويقول ﷺ : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » . رواه البخارى

وللعبادات التى فرضها الله سبحانه على المسلمين كثير من الأسرار النفسية والاجتماعية والمقاصد الحيوية التى تستهدف خير الإنسان وتربية قلبه السليم .

والصلاة على رأس هذه العبادات ،وهى عماد الدين وهى أقوى رباط بين العبد وربه وقد اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يكون فى تكرارها طرفى النهار وزلفا من الليل مايعمر الوجدان ، ويزيد القلب خشوعا ، فيطمئن القلب بذكر الله وتسلس الغرائز الجامحة ، فلا يكاد المؤمن المصلى ينسى ندمه وحياءه من ربه فى الصباح ويرجع إلى خطيئة جديدة حتى يأتيه الظهر ثم العصر فالمغرب فالعشاء فلا ينام إلا وهو نادم على ذنبه أو تائب عنه .

قال تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، ولقد نبه الرسول الكريم ﷺ إلى تربية الأولاد على أداء الصلاة مع زيادة الاهتمام بها فى بداية سن المراهقة حين قال « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر » .

وحينما قال عمر رضى الله عنه « من لم يؤدبه الشرع فلا أدبه

الله » كأنه يقصد الإشارة إلى هذا المعنى ، فإنه إذا لم تؤثر قوة الوازع الدينى أو الرقابة النفسية أو الضمير فلن يكون لقانون الأرض تأثير .

ومن هنا يجب علينا أن نعنى العناية كلها بإحياء هذا الوازع الدينى فى نفوس الأفراد ، وأن نتخذ منه وسيلة لتحصين القيم الأخلاقية عندهم .

والدكتور « دوبوا » الباحث النفسى الفرنسى يرى أن الضمير هو مجموعة الآراء الخلقية التى ترشد الإنسان وتضبط سلوكه ، وأن هذا الضمير قد يتدخل فى تكوينه عنصر الوراثة . ولكنه ينمو ويقوى بالتربية وبتأثير المبادىء الدينية والخلقية ، بحيث يمكننا أن نعتبر الضمير ثمرة للتربية مع التسليم بأن هناك تأثيراً للاستعداد الفطرى يرجع إلى الوراثة .

ويعلق على هذا أحد الباحثين الإسلاميين فيقول : « إن أكبر مقومات الضمير هو الاعتقاد بإله قادر ، يحاسب على الكبائر والصغائر ، ويطلع على ماتكنه السرائر ، وبحياة بعد هذه الحياة يثاب أو يعاقب فيها الإنسان على ماقدمت يداه ، فكل تربية وكل تعليم لايغنيان عن صاحبهما شيئا مادام ضميره مقفرا من هاتين العقيدتين وهذا هو المشاهد المحسوس ، فإن الناس فى أيام جهالتهم ، وعدم انتشار التعليم فيهم ، كانوا بفضل هاتين العقيدتين أفضل حالا وأقوم أخلاقا مما هم عليه اليوم ، ويشهد بذلك كل من اطلع على التاريخ ، ودرس أحوال الأمم فى أدوارها المختلفة » .

والدين يعطى الفرد كرامته موفورة حين يوقظ فيه ضميره ، ويجعل هذا الضمير حكما وفيصلا فيما يعرض للإنسان من أمور .. فنجد فى سنة الرسول ﷺ هذه الطائفة من الأحاديث الشريفة :

استفت قلبك وأن أفتوك وأفتوك ــ إستفت نفسك وإن أفتاك المفتون ــ البر ماسكنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ماحاك فى الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس ــ ضرب الله مثلا صراطا مستقيماً ، وعن جنبى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس ، هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تتفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال له : ويحك لاتفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من جوف الصراط واعظ فى قلب كل مؤمن .

ومن أفضل الأساليب التربوية فى تربية الضمير تعويد المراهق على ممارسة النقد الذاتى ، وهو عملية يقوم بها المراهق مع نفسه يستعرض فيها سلوكه بسلبياته وإيجابياته وبسيئاته وحسناته ، ويقدر فيها موقفه من القيمة الإنسانية التى قرر أن يحققها لنفسه ، يزن أعماله بميزان الأخلاق الإسلامية ، ثم يقرر فى النهاية ماينوى عمله لإصلاح نفسه وتنمية شخصيته نحو الكمال المنشود .

والطريق إلى تربية المراهق على النقد الذاتى تقوم على أساس أن

يرده المربى إلى نفسه ، فيطلب منه ــ إذا ارتكب خطأ ما ــ أن ينقد نفسه ثم يناقشه فيما يصل إليه .

وقد ثبت بالتجربة العملية[1] أن تربية المراهق على النقد الذاتى تحقق المزايا والفوائد التالية :

(١) تربية الضمير السليم لدى المراهق .
(٢) غرس الشجاعة الأدبية فى نفسه .
(٣) حرص المراهق على السلوك وعدم ارتكاب الأخطاء .
(٤) تقبله للنصح والتوجيه بصدر أرحب .
(٥) تقبله للعقاب المناسب إذا ماوقع عليه بصورة موضوعية وبأسلوب لايؤدى إلى مضاعفات نفسية .

وإذا كان النقد الذاتى أمرا حيويا ومفيدا فى مراحل الحياة عموماً ، فهو فى مرحلة المراهقة أشد حيوية ، ذلك لأن شخصية المراهق تتسم بالرغبة فى تأكيد الذات والرغبة فى مقاومة السلطة إلى الحد الذى يعتبر فيه المراهق نصيحة الأبوين أو المربين تدخلا فى شئونه واعتراضا على حريته واستقلاله .

لذلك يكون اعتماد المربى فى تقويم سلوك المراهق على تعويده على النقد الذاتى محققا لرغبته فى تأكيد ذاته واعترافا منه بشخصيته وقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب بهدى تفكيره .

والمربى بذلك لايصادر شخصية المراهق ولا يصادمها ولا يفرض

---

(١) خلال قيادتى للمدرسة الثانوية الجوية

عليها التوجيه فرضا ولا يولد لدى المراهق قوى المقاومة ولا يؤدى إلى حدوث المشكلات الانفعالية .

ويقص الدكتور / سيد عويس الخبير الأول بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى كتابه « حديث عن الثقافة » واقعة تؤكد نجاح أسلوب النقد الذاتى والتربية الديمقراطية فى تقويم سلوك النزلاء فى احدى مؤسسات الأحداث والشبان الجانحين ، التى كانت تضم أحداثا وشبابا ارتكبوا الجرائم على تباينها مثل السرقة والمخدرات والجرائم الجنسية والضرب ، كما وجدوا فى حالات التشرد المختلفة مثل حالات التسول وجمع الأعقاب والمروق .. إلخ .

وفى يوم من الأيام .. لاحظ المسئولون على المؤسسة انتشار وجود أعقاب السجاير فى أيدى أبناء المؤسسة وفى جيوبهم .. يدخنون تارة .. أو يتبادلونها مع بعضهم تارة أخرى .. أو يجعلونها مادة للعب القمار فيما بينهم فى بعض الأحيان . ونوقش هذا الموضوع فى اجتماع المسئولين عن المؤسسة .. وانتهوا إلى أن فرض القوانين لايجدى إن لم يجد الظروف المواتية التى تخلق صداه فى نفوس أعضاء المؤسسة ، وإن كان مجديا ، أحيانا ، فإن بعض آثاره قد يكون ضارا .. ذلك لأن الأهداف الأساسية للعمليات التربوية التى يأخذون أنفسهم بتحقيقها هى تنمية المادة البشرية أولا .. أى إعداد أعضاء المؤسسة لكى يكونوا مواطنين صالحين . وهى ، ثانيا ، وقاية هذه المادة البشرية .. أى محاولة جعل أعضاء المؤسسة أن يبقوا باستمرار ، مواطنين صالحين . وهى ثالثا ، علاج المادة البشرية ..

أى علاج من ينحرف من أعضاء المؤسسة عن تقاليدها وقيمها ومثلها العليا . وانتهى المسئولون عن المؤسسة أيضا ، إلى أن هذه المواقف .. مواقف انتشار أعقاب السجاير فى أيدى أبناء المؤسسة وفى جيوبهم .. هى ، فى الواقع ، فرصة العمر لدعم مبادىء الديمقراطية بأنماطها فى مجتمع المؤسسة ، وذلك بتيسير ممارسة هذه المبادىء ممارسة سليمة .. وأتاحوا هذه الفرصة لأعضاء المؤسسة ، الذين ناقشوا الموضوع فى صراحة تامة تحت إشراف المسئولين .. ثم قرروا هم ، أنفسهم ، منع وجود أعقاب السجاير بالمؤسسة إطلاقا ، وقاموا ، هم ، أنفسهم ، بتنفيذ هذا القرار .. وفى خلال فترة وجيزة لم ير المسئولون عن المؤسسة ، بعد ذلك فيها ، أثرا لعقب من أعقاب السجاير .

ومن واقع خبرتنا العملية فى إدارة مدرسة ثانوية عسكرية داخلية نقص تجربة تثبت نجاح سياسة تربية الضمير الدينى فى بناء الشخصية السوية للمراهق .

فالمعروف أن النظام المعتاد فى المدرسة العسكرية الداخلية أن يقيم الطالب فى المدرسة طوال أيام الأسبوع ثم يسمح له بعطلة نهاية الأسبوع .

أما التجربة التى أجريناها فهى أننا قررنا السماح للطالب بأن يحصل على أجازة طارئة إذا ماحدث فى أسرته ــ خلال أيام إقامته بالمدرسة ــ مايستدعى خروجه من المدرسة لفترة قصيرة مثل حالات المرض الشديد أو الزواج أو السفر الطويل للخارج .

وكان جوهر القرار هو أن نسمح للطالب بالأجازة القصيرة

بمقتضى طلب كتابى يقدمه إلى قائده يوضح فيه الظروف التى تدعوه إلى طلب الأجازة الطارئة ، ودون أن نطالبه بتقديم مايثبت صدق طلبه مثل خطاب من والده أو ماأشبه ذلك من وثائق .

وكان يصاحب ذلك — بطبيعة الحال — تطبيق أساليب التربية الدينية فى حياة الطالب اليومية لتربية ضميره الدينى .

وكان من الطبيعى أن يبدى البعض تخوفه من أن يجد الطلبة فى هذا الأسلوب فرصة للحصول على الأجازة كذبا وبلا مبرر ، غير أن الإحصائيات أثبتت أن نسبة من حصل على أجازة طارئة لم تزد عن ٤ فى المائة من المجموع الكلى للطلبة ، وكان هذا معناه أنه حتى ولو فرض جدلا أن هؤلاء الطلبة كانوا كاذبين فى طلبهم ، فإن هناك ستة وتسعين فى المائة لم يسيئوا استغلال الفرصة المتاحة أمامهم للحصول على أجازة خلال الأسبوع ، وما منعهم من ذلك إلا ضميرهم الحى[١] .

وليس من شك فى أننا لو كنا اتبعنا أسلوبا غير هذا الأسلوب الذى يعتمد على الثقة والاطمئنان إلى ضمير الطالب المراهق وعلى إشعاره بأننا نقدره ونعترف بشخصيته ونقف بجانبه ، لما جاءت الإحصائيات بمثل تلك النتيجة الطيبة ولأدى أسلوب عدم الثقة والقهر إلى تحريك قوة المقاومة لدى بعض الطلبة ودفعهم إلى التحايل لتقديم الوثائق التى تؤيد طلبهم للحصول على الإجازة كذبا وبلا مبرر .

---

(١) بمجرد حصول الطالب على إجازة طارئة كان يرسل إلى ولى أمره خطاب يفيد بذلك ، وذلك فى نطاق التعاون بين المدرسة والبيت وكان الطلبة يعلمون ذلك .

ثانياً : الاقنـــــاع :

ومن أهم مايدعو الإسلام المربين إلى تحقيقه هو توليد الرغبة والدافع وتحرى الإقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة بالتوبيخ ، فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتُمل ذلك منه ألا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذى نشأ فى عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله ، وما ذلك إلا لندرة هذا النمط فى الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه ، ويؤكد هذا المعنى أيضا ماجاء فى حديث آخر « عجب ربك من شاب ليس له صبوة » ومن أجل هذا كان الشباب فى كل المجتمعات وفى كل العصور دائما موضع الملاحظة بالنظر إلى ظروفه النفسية والعقلية فى فورة النضج التى أشرنا إليها حتى قال الشاعر :

فإن يك عامر قد قال جهلا   فإن مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبى ﷺ فقال : يانبى الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى ﷺ : قربوه ، ادن . فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى ﷺ : « أتحبه لأمك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال : كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال : كذلك الناس لايحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا ، جعلنى الله فداءك ، فوضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه وحصن فرجه . فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعنى الزنا » .

فهذه هى الحكمة فى الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى :
﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ (سورة آل عمران ٣١) وإننا لانكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته فى اللطف وتحرى الإقناع بالرفق واللين ، ومن أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه فى خير الدنيا والآخرة ومن هنا نعلم السر فى جعل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل الناس عقولا ، وأصفاهم أرواحا وأحسنهم أخلاقا .

والقرآن الكريم يرشد إلى التلطف فى القول والرفق فى المعاملة مع تحرى الإقناع قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ (سورة النحل ١٢٥) وهناك قصة رمزية تحكى عن جدل دار بين الريح والشمس ادعت فيه كل منهما أنها أقوى من الأخرى وفى تلك الأثناء كان هناك رجل يسير فى الطريق ، فاتفقتا على أن من تجعل منهما ذلك الرجل يخلع سترته تكون هى الأقوى وبذلك يحسم الجدل . فبدأت الريح تهب شديدة قاسية لكن الرجل لما هبت الريح أخذ بأطراف السترة ولفها حول نفسه ، وكلما اشتدت الريح زاد تمسكا بأطرافها .. وهكذا فشلت الريح وجاء دور الشمس فسلطت أشعتها الحارة نحو الرجل حتى اذا سرت حرارتها فى جسده وتصبب منه العرق خلع سترته وهكذا نرى الرجل قد قاوم أسلوب العنف والإرغام الذى مثلته الريح ، بينما استجاب لإقناع الشمس بأن الجو حار فخلع سترته بمحض إرادته وحده .

إن حرية الانسان هى حق طبيعى وحيوى وحقيقة بديهية فى المدرسة الإسلامية وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بأن يكون للإنسان الحرية فى التفكير ، لأن تعطيل حريته أو مصادرتها يتناقض مع مصلحته فى الحياة ومع معنى العبادة التى خلقه لأجلها ومع التكاليف التى أمره بها ولا سيما فى اتباع مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها . قال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ (سورة البقرة ٢٥٦) وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم ﷺ : ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ (سورة يونس ٩٩) .

وقال تعالى : ﴿ **قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل** ﴾ (سورة يونس ١٠٨) .

والأمر الجدير بالتأمل حقا والذى لايصح أن يخفى علينا هو أن دعاة الإلحاد والتحلل من التقاليد والقيم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال فى الرأى تلك المعانى التى تصادف هوى لدى المراهق على وجه الخصوص وتتفق تماما مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته فنراه ــ لأن نضجه العقلى والنفسى لم يكتمل بعد ــ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

إنما تنجح المقالة فى المرء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فيجدر بالمصلحين والمربين أن يجعلوا أسلوبهم فى التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الإنسان التى قال الله تعالى فيها :

﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ وقال : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** ﴾ . (سورة الإنسان ٣) .

وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحياة والموت والجبر والاختيار والفناء والخلود والمادة والروح والبعث والجزاء وبالرسالات السماوية وشرائعها ، والتطور البشرى ومقتضياته ، والنظم الاجتماعية والسياسية وفلسفاتها إلى غير ذلك ، فإن كمال العلم فى الحلم ، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع المربى أن يعالج أمراض النفوس وهو هادىء النفس مطمئن القلب لايستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق وحسبنا فى هذا قول الله تعالى لإمام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ (سورة آل عمران ١٥٩) .

فالداعى والمصلح الذى يضيق صدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم الساخنة سوف يدفعهم إلى الانصراف من حوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بأنوار دينهم ويعرضهم للوقوع فى براثن أعداء الدين والأخلاق .

ومن أجل ذلك فالتربية الصحيحة للمراهق تعتمد على الاعتراف بشخصيته الجديدة النامية وعلى مساعدته على تحقيق مايتمناه لنفسه بأسلوب تربوى رشيد ، أما إذا حيل بينه وبين رغبته فى تحقيق ذاته فسوف يقع فى براثن اليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية بسبب مايلاقيه من إحباط وقد تنشأ عن هذا الإحباط انفعالات متضاربة وعواطف جامحة تدفع بعض المراهقين إلى التفكير فى الانتحار .

والتربية الصحيحة أيضاً لاتقابل الثورة بالثورة ، بل تتطلب من الوالدين والمربين أن يخلقوا جوا من الثقة بينهم وبين أولادهم وتلاميذهم وأن يكون رائدهم الإقناع ، وألا يوقعوهم فى عقدة القنوط بالتقريع واللوم إذا مااتفق لأحدهم أن أسرف على نفسه وعليهم أن يتبعوا نهج القرآن فى الترغيب والترهيب فيفتحون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة . قال تعالى : ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾ (سورة الزمر ٥٣) .

وقال تعالى : ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم** ﴾ (سورة الأنعام ٥٤)

ثالثاً : الترغيب والترهيب :

ولو تأملنا أسلوب القرآن فى الترغيب والترهيب لوجدنا خير المناهج على الإطلاق فى التربية الدينية قال تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما** ﴾ . (سورة الإسراء ٩ — ١٠)

ففى الآية بيان لهداية القرآن الكريم بالترغيب والترهيب ، فالترغيب : بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوى ، والترهيب : بوعيد المخالفين الذين تعدوا

حدود الله تعالى ، وإنذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم إن الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتها والوعيد كذلك يشمل نقمهما وشقاءهما ؛ فبالوعد ساق الطائعين إلى الحد فى الطاعة وبالوعيد أوقف العاصين عند حدود الأدب .

الترغيب :

قال تعالى ترغيباً فى جنس الطاعات : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً** ﴾ (سورة النور ٥٥)

وقال جل شأنه ترغيباً فى صالح العمل : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون** ﴾ (سورة النحل ٩٧)

وقال ترغيباً فى التقوى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** ﴾ (سورة الأنفال ٢٩)

وقال ترغيباً فى التمسك بالدين : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (سورة الأنفال ١٣) ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ (سورة مريم ٩٦) أى يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه .

وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ : « إذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم توضع له المحبة فى الأرض » . وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أكثر مايدخل الجنة « تقوى الله وحسن الخلق » .

ولسنا هنا بصدد ذكر ماجاء فى القرآن والسنة من آيات وأحاديث فى الترغيب فى جنس الطاعات أو أنواعها أو الأخلاق الفاضلة وإنما سقنا أمثلة لبيان الأسلوب وسحره الجذاب الذى يولد الدافع النفسى إلى الطاعة ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيباً فى الصدقة ﴿ **من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون** ﴾ (سورة البقرة ٢٤٥) وقوله سبحانه : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ (سورة البقرة ٢٦١)

الترهيـــب :

أما عن الترهيب الذى جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف ، فإن الله تعالى حذر عباده من معصيته بما أعلمهم به من نواميس ربوبيته ، وأقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفاسدة والأخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه فى الآخرة والأولى ، وهو فى كل حال حاكم عادل ﴿ **إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن**

الناس أنفسهم يظلمون ﴾ (سورة يونس ٤٤)

قال تعالى : **﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾** (سورة النساء ١٤) وقال جل شأنه : **﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾** .

ومن أمثلة أسلوب الترهيب حديث الرسول ﷺ عن عقوق الوالدين : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قلنا : بلى يارسول الله فقال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين » . متفق عليه .

ومن أساليب الترهيب أن يقـر المربى فى أذهان الشباب أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب ، وأن كل مايصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التى صدرت منه ، فالشباب ـــ ونضجه العقلى لم يكمل بعد ـــ قد يتساهل فى أمر الآخرة ويستخفه ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر وخاصة أنه يخطو خطواته الأولى نحو بناء مستقبله ، فينبغى أن يخوف بعقوبة الله فى الدنيا وبأن الذنوب يعجل شؤمها فى الدنيا غالباً ، قال تعالى **﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾** (سورة الروم ٤١) وقال جل شأنه : **﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾** (سورة الأعراف ٩٦) وقال عليه الصلاة والسلام : « خمس تعاجل

صاحبهن بالعقوبة : البغى والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لايشكر » .

وروى الحاكم بإسناد صحيح أن النبى ﷺ قال : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » . وقد يتفق مع طبيعة المراهق من حيث الرغبة فى تأكيد الذات المجاهرة بالمعاصى أمام أقرانه من قبيل المباهاة وعدم المبالاة وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من ذلك حين قال : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يافلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه البخارى ومسلم .

فى هذا الحديث يخبرنا رسول الله ﷺ أن الله تعالى يمن بفضله ومغفرته على من يخطىء من أتباعه وأمته سوى أولئك الذين يتوقحون فإذا ارتكبوا معصية لم يكتفوا بما ارتكبوا بل راحوا يعلنون عما ارتكبوا ، كأنهم لايعنيهم حساب ولا يخيفهم عقاب ، ولا يردعهم وازع من خلق أو حياء .

ولا شك أن الإنسان إذا زلت قدمه بهفوة ثم سترها وخاف من إعلانها ، دل بهذا على وجود الحياء عنده ، فهو يستحى أن يظهرها ، وهذا يستتبع أنه يعدها شيئا قبيحاً لايليق به ولا يجمل منه وهذا يستدعى أن يفكر فى الإقلاع عنها والفرار منها فكأن ستر المعصية أو عدم المجاهرة بها أسلوب من أساليب مقاومتها فى نفس صاحبها .

وهو وفى الوقت نفسه أسلوب من أساليب حصر المعصية فى

أضيق نطاق ، لأن سترها عند الذين وقعوا فيها بالفعل لايجعل الكثيرين يطلعون عليها ، ولو اطلعوا عليها لاستمرأ منهم من يستمرىء وتجرأ عليها من يتجرأ ، فتشيع الفاحشة بين المسلمين ، والقرآن المجيد يقول : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ (سورة النور ١٩) .

وينبغى أن يفهم شبابنا أن الله تبارك وتعالى إنما يعفو عن مرتكب الخطيئة المستورة إذا ندم عليها ،وتاب منها واستغفر ربه بعدها ، واستشعر أنه قد أخطأ فى ارتكابها ، وأما إذا أتاها متعمداً لها ، وعاودها مصرا عليها ، فإنه لايكون معافى ، حتى ولو كانت معصيته مخفية مستورة عن عيون جميع الناس .

رابعاً : مزج التربية العقلية بالتربية الدينية :

ومن الملاحظ أن تحقق القيم الروحية يستلزم عادة المزج بين تكوين الاعتقاد السليم وتكوين الثقافة العقلية الواسعة .. وذلك لأن غرس التدين الذى هو أساس القيم الروحية ، يكون عن طريق النظر والبحث والتأمل والاستنباط ، ولأن الاستدلال على وجود الله سبحانه يكون عن طريق العقل والعلم ، وهذه آيات من القرآن الكريم يتجلى فيها التحريض على الإيمان والاعتقاد بوساطة الدراسة والبحث فى آيات الكون ، فهى تجمع بين نفحات الروح وجلوات العقل :

﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ .

﴿ وفى الأرض آيات للموقنين ﴾ .

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .

﴿ قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض ﴾ .

﴿ والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ﴾ .

﴿ والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها .. ﴾.

﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها ﴾ .

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ..إلخ .

ومتى امتزجت التربية الروحية بالتربية العقلية نشأت عن ذلك قوة الشخصية ، لأن العقل ينمو فيستفيد الإنسان فى حياته ومعيشته وقدراته ، وتسمو الروح وتقوى فتكون عاصماً من الزلل والخطل ، ولو استطعنا أن نجعل الناشئة تعقل الأشياء بقلوبها وتحب الحياة بعقلها لخرج من هذه الناشئة نماذج تبهر وتروع ، ومن حسن الحظ أن القيم الروحية فى الإسلام تجعل القيادة عند الإنسان فى يد القوة العقلية المزدانة بكريم العواطف والمشاعر ، وهذه القوة تستطيع إذا تمكنت من سلطتها أن تقوم خطوات القوة الغضبية والقوة الشهوية فى الإنسان ، فيكون زمامه فى يد عقل قويم يصاحبه شعور كريم .

خامساً : دور المسجد :

المسجد فى تاريخ الإسلام دار للعبادة وبرلمان للشورى ومؤسسة لتلقى العلوم وجامعة تعلم قواعد العقائد وفرائض العبادات ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وطرق المعاملات . وهو منطقة لعبادة الله تغشاها الرحمة ، وتتنزل عليها السكينة وتحفها الملائكة .

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ، وهو يحمل رسالة عالمية جعل مهد هذه الرسالة ومحور انتشارها يبدأ من المسجد . وقد بدأ عليه الصلاة والسلام عمله فى المدينة ببناء مسجده العظيم وكان يعمل فيه بيده ويحمل أحجاره بنفسه .

فكان هذا المسجد النبوى مدرسة الدعوة الإسلامية الأولى ودار الدولة الإسلامية الكبرى .

تلك المدرسة التى فتحت أبوابها لمختلفى الأجناس من عرب وعجم .

ومختلفى الألوان من بيض وسود ، ومختلفى الطبقات من أغنياء وفقراء ومختلفى الأسنان من شيوخ وشبان وولدان .

وأفسحت صدرها للمرأة تحضر الجماعة ، وتشهد دروس العلم ، وتتفقه فى الحديث والفتوى .

مدرسة تلقن العلم والعمل ، وتطهر الروح والبدن ، وتبصر بالغاية والوسيلة وتعرف الحق والواجب ، وتعنى بالتربية قبل التعليم ، وبالتطبيق قبل النظريات . فلا غرو أن تخرج هذه المدرسة من الخلفاء

أمثال أبى بكر وعمر ومن القواد أمثال أبى عبيدة وخالد ، ومن القراء أمثال أبى بن كعب وعبدالله بن مسعود ،ومن العلماء أمثال عبدالله بن عباس وزيد بن ثابت ، ومن فضليات النساء أمثال عائشة وأم سلمة وحفصة وأم سليم .

كان المسجد المحمدى مدرسة الدعوة ، وكذلك كان دار الدولة ، فيه يهيىء النبى العمل للعاطل ، والعلم للجاهل ، والمعونة للفقير ، ويرشد إلى الأمور الصحية والاجتماعية ، ويذيع الأنباء التى تهم الأمة ، ويلتقى بسفراء الدول ومندوبى القبائل ، ويرتب جنود المعارك فى الحرب ، ويبعث الدعاة فى السر .

هكذا كان المسجد فى عهد رسول الله ﷺ وظل كذلك فى عهد أصحابه ومن تبعهم بإحسان .

ومن الأمور الحيوية أن يعود المسجد إلى سابق عهده مركزاً للإشعاع الدينى ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحى . روى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فإذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون فقال رسول الله ﷺ : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أحب إلى من صاحبه ، أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقة ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً ، وجلس إلى أهل الفقه » .

ويقول رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله**

من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ .

ويقول الحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه « إن بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوارى فيها هم عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره » .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة » (رواه الطبرانى والبزار عن أبى الدرداء) .

فمن الخير أن تكون للمسجد جاذبيته فى نفوس الشباب وأن توجه دروسه وعظاته نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التى تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية وتثبيت قلوبهم بالإيمان الراسخ والعقيدة السليمة وأن يجدوا الإجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم .

وقد تطورت وسائل الإعلام ، وبعد أن كانت فى صدر الإسلام تعتمد على الكلمة والخطبة والكتاب والتربية ، أصبحت الآن تعتمد على عديد من الوسائل منها :

السينما والمسرح والإذاعة والتليفزيون والصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والكتيب والكتاب ووسائل الإيضاح وفنون الإعلانات والمقابلات .

وإن رسالة الإمام والدعاة ينبغى أن تستغل الوسائل المتاحة وأن تخاطب الناس بروح العصر ووسائله كل ماأمكن سبيل إلى ذلك .

ويمكن أن يلحق بمبنى المساجد الرئيسية مؤسسات اجتماعية مختلفة كالمدرسة والمسرح والنادى وقاعة المحاضرات والمكتبة وبعض الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية . فإن ذلك يتفق مع رسالة المسجد فى العصر الحديث .

وحبذا لو استقبل المسئولون عن المسجد رواده بشىء من التسامح والعطف حتى نجذب الشبان والفتيات والأجيال الناشئة إلى أماكن العبادة بروح راغبة فى تفهم دينها وإصلاح دنياها وآخرتها .

وفى بعض المساجد الآن نهضة مباركة ، ودروس لتقوية الطلبة والطالبات خصوصاً طلبة الشهادات العامة كالابتدائية والإعدادية والثانوية .

ونجاح هذه المجموعات يعطينا دليلا عملياً ناجحاً فى الحياة إذا وجد السبيل الواضح والرعاية اللازمة .

سادساً : القدوة الحسنة :

والقدوة خير معلم للنشء الذى يكون فى مستهل مرحلة نضجه النفسى والعقلى قابلا للتأثر بالقدوة ، لدرجة كبيرة ، من أجل هذا فعلى المربى أن يحرص كل الحرص على أن يكون قدوة صالحة ظاهرا وباطناً ، وأن يعمل بعلمه فلا يكذب فعله قوله ولا يخالف ظاهره باطنه ، بل لايأمر بشىء ما لم يكن هو أول عامل به ،ولا ينهى عن الشىء مالم يكن هو أول تارك له ليفيد توجيهه ويثمر إرشاده ففاقد النور كيف يستنير به غيره ؟! ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟! وقد

قال الشاعر فى هذا المعنى :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم

وقال تعالى : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ (سورة الصف ٣) . فهذا وعيد شديد من الله لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو نفسه مقصر . وقال جل شأنه : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ فهذا توبيخ لأحبار اليهود على سيرتهم المعوجة فى الإرشاد وهو أيضاً إنذار لمن يفعل ذلك من الناس من أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

وفى مثل هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لاتسمعوا منهم ، فلو كان مادعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له فهم فى الصورة أدلاء وفى الحقيقة قطاع طرق .

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء عن الشباب والقدوة :

تشتد الوطأة على مظاهر من انحراف الشباب ، بقدر ماهم أمل الأمة وذخر غدها وأصحاب مستقبلها .

وقلما نلتفت إلى الذين هم لهؤلاء الشباب مثل وقدوة ، إذ

تنحصر القدوة ، على الفهم الشائع ، فى الحكام والرؤساء .

وهى فى واقع الحياة تعم كل من يشغلون مراكز التربية والرعاية والتوجيه : آباء وأساتذة ومعلمين ودعاة وكتاباً .

ومن هم فى موضع المثل ، كالعلماء والقضاة وقادة الفكر .

وفى صحيح الحديث الشريف : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالأمير على الناس راع وهو مسئول عن رعيته . والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، وهى مسئولة عنهم » .

وهى فى الإسلام مسئولية صعبة ، مضاعفة الجزاء ثواباً وعقاباً ، بما يحمل الذى فى مركز القدوة من تبعة الذين يقتدون به ، هدى أو ضلالا .

بصريح آيات (الإسراء ٧٤ ، النحل ٢٥ ، ص ٦١ ، الأعراف ٣٨ الأحزاب ٣٠) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ما من داع يدعو إلى هدى إلا كان له مثل أجر من اتبعه ، لاينقص ذلك من أجورهم شيئا . وما من داع يدعو إلى ضلالة إلا كان عليه مثل أوزارهم ، لاينقص ذلك من أوزارهم شيئا » .

والنساء فى هذه التبعة كالرجال ، سواء فيما نتلو من الآيات المحكمات ﴿ **يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله**

ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما ﴾

وفيما نشكو من مظاهر الانحراف ، نلوم الشباب ونلح عليهم بالزجر والوعيد ، وهيهات أن يجديا إذا افتقدوا القدوة الصالحة فى الدعاة والآباء والموجهين .

وتعوزنا ، لضبط المقاييس ، أن تكون لدينا أرقام إحصائية عن رواد كهوف الليل وأندية الميسر وحانات الخمر وأوكار الفجور : كم منهم من الشباب وكم من الآباء والأمهات والدعاة والموجهين ؟ .

ونفزع لفشو وباء الجنس والجريمة والمخدرات .

ولا نعرف على وجه التحديد الإحصائى ، كم من الشباب تجار هذه البضاعة ؟! ، وكم منهم ضحايا تجارها ومروجيها الكبار ؟ .

ويصدمنا مرأى العرى الجرىء والابتذال الرخيص على سواحل المصايف ، ولا نعلم كم من بنات المسلمين العاريات من اشترين (المايوهات) من مالهن الخاص ، ومن اشتراه لهن آباء وأزواج ؟! .

وتصدمنا مظاهر الترف الباذخ وجنون الثراء الفاحش ، مع ماتعانيه مصر من ضغط تكاليف المعركة وأعباء المرحلة ، ولم تفكر أجهزة الإحصاء ومراكز البحوث الاقتصادية والدراسات الاجتماعية ، فى تحديد أشخاص هذه الطبقة السرطانية لنعرف كم منهم من أبناء البلد الشباب ، وكم من كتاب الاشتراكية ومؤلفى قصصها ومن دعاة التقشف والزهد ..

غير أننا لانحتاج إلى أى إحصاء ، لندرك أن الشباب وعامة أبناء

البلد ، ضحايا مانشكوه من محنة فساد الذمم والضمائر ، وانتعاش الأسواق السوداء .

كما لاتعوزنا أرقام لنعرف أن الشابات يخرجن مع الأزواج والآباء ، لقضاء الليالى الساهرة مع الكأس والرقص .

ومهما يبلغ بنا الجهل بالمعروض فى دور السينما من أفلام الجنس والجريمة والوطن فى حرب تحرير ، فإن الدعاية الإعلامية تغزونا حيثما كنا ، فى البيوت وفى الطرقات ، بالصحف والإذاعة ، فلا نحتاج معها إلى معرفة ضغط الإغراء الذى يشد شباب الجيل إلى مصيدة الفن .

وليس شباب اليوم صما وعميانا ، ليفوتهم دوران الدعاة مع الريح ، أو يغيب عنهم تكافؤ الفرص بينهم وبين أبناء محترفى النقد الساخط على فروق الطبقية والدعوة الصارمة إلى محاربة الترف والانحراف .

ومقرئو القرآن ، يتلون فى الناس صباحاً ومساء .

﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ صدق الله العظيم .

سابعاً : حسن اختيار الأصدقاء :

قال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » (رواه أحمد والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة) .

والانسان بطبعه يحتاج إلى خلان وأصدقاء يأنس إليهم ويأنسون إليه ويحبهم ويحبونه ويفضى إليهم بأسراره ومشاكله ويفضون إليه كذلك بأسرارهم ومشاكلهم .. ومن طبيعة الأصدقاء أن تكثر بينهم المعاشرة والمخالطة ويؤثر أحدهما فى الآخر وتنتقل إليه أخلاقه وسلوكه فى الحياة حتى ليصبح الصديق عنواناً على صديقه وصورة قريبة منه حتى وجدنا الشاعر العربى يصور هذا حين يقول :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وحتى قيل فى الحكم : خبرنى من تصاحب أخبرك من أنت .

ولهذا كان على المربى أن يرشد الناشئين إلى أن الإنسان العاقل يدقق فى اختيار أصدقائه وخلصائه ويفكر كثيرا قبل انتقاء جلسائه ورفقائه فى حياته لأن الأصدقاء هم ثروة الإنسان الحقيقية وذخيرته التى يجابه بها هذه الحياة .. ولابد للإنسان أن ينتقى ثروته ويطرد عنها الزائف ويفحص ذخيرته قبل أن ينزل بها لمعترك الحياة ..

ومن أجل هذا وجدنا الإسلام تكفل بإرشادنا إلى كل خير نافع لنا فى هذه الناحية الهامة فى حياتنا ويزودنا بنصائحه وتوجيهاته ويرسم لنا الطريق إلى اختيار الأصدقاء الذين ينتظر أن تدوم مودتهم وتصدق عشرتهم ويرشدنا إلى أن نؤثر أولئك الذين لهم صلة طيبة بالله الذين يخشونه فى سرهم وجهرهم ويرعونه فى صلتهم بالناس فى غيبتهم وحضورهم والذين يحرصون على أداء مافرضه الله عليهم وعلى الجهد وحسن الإنتاج فى أعمالهم وعلى قدر صلة هؤلاء بالله وطاعتهم له وخشيتهم منه تكون صلتنا بهم وحبنا لهم .. غير ناظرين إلى مالهم أو

مركزهم أو جاههم .. وهذا هو ماعبرت عنه أحاديث رسول الله ﷺ بالحب فى الله أى حب الانسان ومعاشرته لمجرد أن له صلة حسنة بالله لاصلة حسنة برئيس ولأنه صاحب خلق لاصاحب مال كثير ومركز كبير أو جاه عريض يتقى شره أو يرجى نفعه لأن صلة الحب والمعاشرة فى الله هى الدائمة المثمرة التى يباركها الله وينميها فى الدنيا ويظل أصحابها بظله فى الآخرة يقول رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى » (رواه مسلم).

وفى حديث آخر يقول : « وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ » (أخرجه الإمام مالك).

ولقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الحب والصداقة فى الله تزيد الإيمان فى النفوس وتجعل الإنسان يشعر بحلاوة الإيمان وثمرته فى دعم الصداقة بين الناس وذلك حين قال : « أربع من كن فيه وجد حلاوة الإيمان » . ومن هذه الأربع : « أن تحب المرء لاتحبه إلا لله » .

أما إذا تهاون الإنسان فى اختيار أصدقائه ومعاشريه فخالط السفهاء وأصحاب الريب والمفرطين فى حق الله الذين لايؤدون مافرضه الله عليهم من صلاة وصيام وغيرهما والذين لايهمهم الخوض فى أعراض الناس أو أكل أموالهم بالباطل والذين يتآمرون على دينهم أو مصالحهم ووطنهم فإنه بلا شك سينحدر معهم فى طريقهم ويكتسب منهم صفاتهم ويكون جرثومة مثلهم فى المجتمع ولهذا يحذرنا الله سبحانه من الركون إلى أمثال هؤلاء فيقول : ﴿ **ولا تركنوا إلى**

الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون ﴾ .

ويصور لنا رسول الله ﷺ نتائج الصداقة والمعاشرة فى صورة حية ملموسة حين يقول : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك (أى يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » (رواه البخارى) .

فأنت تستفيد من الصالحين على أية حال إن لم تحملك معاشرتهم على الاقتداء بهم ومسايرتهم فى أعمالهم فأنت على الأقل تكتسب سمعة حسنة بمعاشرتهم وذلك على عكس معاشرة المفسدين والمنحلين فإنك ستخسر على أية حال إن لم تحملك معاشرتهم على مجاراتهم فى فسادهم وانحلالهم وسوء خلقهم فإن سمعتك على الأقل تتلوث بما يعرفه الناس عنهم من سوء ويحكمون عليك بما يحكمون به عليهم .

على أنه مما ينبغى ملاحظته أن الصداقة ليست سلعة يحصل عليها الإنسان بسهولة ولكنها كنز ثمين يحتاج العثور عليه إلى حسن خلق وبذل ولطف معاشرة ومن واجب الصديق على صديقه أن يحفظ غيبته ويهب لنجدته ويرعى مصالحه ويقدم له النصيحة فى لطف وكياسة كما أن من واجب الصداقة أن يكون الإنسان سهلاً فى محاسبته لأصدقائه ويتجاوز عما قد يقع منهم أحياناً من خطأ غير مقصود ويقبل عذرهم عن خطأ مقصود حتى يحافظ بذلك على بقاء صحبتهم ولا يفرقهم من حوله فليس هناك من لايخطىء وكلنا

خطاؤون وخير الخطائين التوابون :

ولست بمستبق أخا لاتلمه — على شعث أى الرجال المهذب

فلابد للإنسان من أن يتسامح فى أحيان كثيرة ويلتمس العذر لأصدقائه حتى تدوم له صحبتهم ومودتهم :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت وأى الناس تصفو مشاربــه

ثامناً : النهى عن التقليد الأعمى :

نحن أمة إسلامية كان لها ماضيها فى القيادة والسيادة ، ثم أصابها مايصيب الأمم من ضعف ومرض ، فمالت إلى تقليد غيرها من الأمم القوية ، وكاد الاستعمار يغمرها بمظاهره وتقاليده وأساليب تفكيره ، لكنها الآن بدأت تصحو وتتجه إلى نهضة حضارية شاملة .

ومما يشغل بال المربين أن يتجه شبابنا إلى تقليد الغرب تقليداً أعمى فى كثير من مظاهر حياته وعاداته وتقاليده[1] بدعوى التحضر والمدنية ، غافلين عن أن هذا الاتجاه يقودهم إلى التبعية ويمحو شخصيتهم ويضر بأمتهم وهى تجاهد لاستكمال شخصيتها .

(١) مما يذكر أن إطالة السوالف ظاهرة صهيونية قديمة يرجع أصلها إلى الأسرى اليهود الذين ساقهم بختنصر الملك البابلى إلى بابل بعد أن قضى على ملكهم وهدم الهيكل ؛ فأجبرهم على أن يطيلوا سوالفهم تمييزاً لهم عن الوطنيين البابليين فقلبوها هم إلى ظاهرة لها أصل فى دينهم وتقاليدهم حتى لايقال أنها شارة الذل والعبودية ؛ بل شارة دينية ؛ وهم الآن يبثونها بين الشباب ويتلاعبون بهم كما يتلاعبون بكل شىء فى هذا العالم .

من أجل ذلك يهاجم الإسلام التقليد والمقلدين فى كثير من آيات القرآن الكريم ويسخر منهم ، ويجعلهم كالحيوانات التى لاإرادة لها ولا إدراك فيقول عنهم :

﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون ﴾ (سورة البقرة ١٧١ ــ ١٧٢) .

ويتكرر فى القرآن مثل هذا التصوير القبيح للمقلدين لينفر النفوس من التقليد ويحررها من إساره ، ويحرضها على التفكير الحر المستقل ، ويحذرها من السير وراء الغير دون وعى أو تفكير .

ثم كان من حسن رعاية الإسلام للتفكير الحر المستقل وتشجيعه له أن جعل للمفكر المجتهد الذى يخطىء الصواب فى اجتهاده أجراً ، وللمصيب أجرين ، فى الوقت الذى لم يقم فيه كبير وزن للإيمان ، الذى يأتى نتيجة التقليد دون تفكير أو بحث .

وإذا اتبعنا خطوات الرسول ﷺ وهو يكون أول مجتمع إسلامى فى المدينة نجده ــ وهو المربى الأعظم ــ يحرص كل الحرص على إبراز الشخصية المستقلة للمسلمين ولم يتركهم يذوبون فى المحيط المشرك أو اليهودى الذى يعيشون معه ، فكان يتتبع خطوات المسلمين وتصرفاتهم بالتعديل ، وينقلهم شيئاً فشيئاً إلى معالم الشخصية الجديدة للمجتمع الإسلامى الجديد ، ويخلصهم من آثار الجاهلية أو اليهودية ، سواء كان ذلك فى العبادة أو مظاهر الحياة الأخرى ، حتى كان حين

يأمرهم أو ينهاهم عن شيء يصرح لهم أحياناً بالعلة الباعثة على ذلك ويقول لهم : « وخالفوا اليهود » حتى قال يهود المدينة مابال محمد لايريد أن يترك شأناً من شئوننا إلا خالفنا فيه .

كان أهل المدينة حين دخلها الإسلام يحتفلون بعيدين من أعياد الطبيعة فمنع الرسول المسلمين من الاستمرار فى الاحتفال بهذين العيدين ، وقال لهم :

« إن الله ـــ تبارك وتعالى ـــ قد أبدلكم بهما خيراً منهما : يوم الفطر ويوم النحر » لأن أعياد كل أمة من أبرز معالم شخصيتها ، ثم وضع للمسلمين قاعدة اجتماعية كلية وتحذيراً عاماً لهم من التشبه بغيرهم والذوبان فيهم فقال : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

ولم يكن ذلك منه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ تعنتا أو أنانية ، ولكن لأنه يعلم ـــ وهو المربى الحكيم ـــ أن التشبه بالغير فى بعض مظاهره ، قد يجر المسلم إلى محاكاته فى أفعاله وأفكاره وتقاليده الخاصة به ، ويفقد بذلك معالم شخصيته المميزة له ـــ كما نرى ذلك حولنا الآن فى بعض المجتمعات الإسلامية التى تعيش عيشة بعيدة عن الإسلام وتقاليده ، ولغته وآدابه ـــ ويصبح المسلم حينئذ إنساناً تافه الشخصية ، لاوزن له فى المجتمع المسلم ولاتقدير ؛ لايحترمه حتى الذين يقلدهم ويفنى فيهم ..

فالذى يلغى عقله وشخصيته أمام غيره يستحق الرثاء لاالتقدير ، ولا ينتظر من أحد أن يكرمه بعد أن أهان نفسه وألغى وجوده ، وصدق قول الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا

وعلى المربين أن يوجهوا الشباب إلى أن يفرقوا بين مايتصل بتكوين الشخصية المستقلة من فكر وثقافة وتقاليد ، وبين مايتصل بالعقل والعلم ، فشخصية الأمة بثقافتها وتقاليدها أمر خاص بها . أما العلم فهو تراث الإنسانية كلها . كل أمة شاركت فى وضع لبنة فى صرحه وفى تكميل مابدأه الغير فيه دون حرج ، بل بالفخر والاعتزاز ، ولم تجرؤ أمة من الأمم على أن تدعى بأن علماً من العلوم خاص بها ، وبشعبها ، ولم تشعر أمة من الأمم بأن مساهمتها فى تقدم العلم الذى فكر فيه وبدأه غيرها ، ينقص من قدرها ، ويجعلها تابعة . بل إنها تجتهد فى هذه المساهمة بالإضافة ، وتشجع عليها بالمال والجهد وهى فخورة بذلك معتزة به ، حتى أصبح سجل الشرف لكل أمة الآن فى التاريخ مرتبطاً بما تقدمه من كشوف واختراعات ، وتقدم فى مجال العلم ، بل أصبحت قوة الأمم مرتبطة كل الارتباط بسبقها للغير فى ميادين العلم .

لذلك كان استغلال مالدى الغير من علوم ونظريات فى الصناعة والزيادة عليه أمراً واجباً ، يدعو إليه صراع الحياة وغريزة البقاء وحب التفوق .

وليت شبابنا الذين برعوا فى تقليـد المظاهر ، وتفننوا فى هذا التقليد يحاكون الأمم الأخرى ، المتقدمة علميا وصناعياً ، فيما برعوا من علوم وصناعة ، ويتجهون إلى سبقهم فى هذه الميادين .. فهذا أجدى عليهم وعلى أمتهم من هذه التوافه والمظاهر التى يجرون وراءها ، ويشوهون وجه الأمة بها ..

ولهذا وجدنا الرسول المربى القائد عليه صلوات الله وسلامه وجزاه عن أمته خير الجزاء ، فى الوقت الذى يشدد فيه على منع التقليد والتشبه بالغير والذوبان فيه يحرص على أن يعلم أصحابه القراءة والكتابة عن طريق الأسرى المشركين فى معركة بدر ، ويجعل فداء الأسير الذى يعرف القراءة أن يعلم عشرة من المسلمين ، ويوجه زيد بن ثابت ــ صاحبه وكاتب وحيه ــ لأن يتعلم اللغة العبرية من أعدائه اليهود ، حتى لايحتاج إلى يهودى يقرأ له أو يكتب بالعبرية ولم ير فى ذلك أية غضاضة عليه وعلى المسلمين ، لأن العلم مشاع بين الجميع .

ويقول ﷺ يوجهنا إلى العب من العلم والتقاطه أينما وجدنا : « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها » سواء أخذها عن مسلم أو غير مسلم . المهم أن يحصل على ضالته من الحكمة ، والحكمة هنا تشمل كل نافع من المعلومات فى أمور الدنيا أو الدين .

ولم يجد كبار المسلمين وصلحاؤهم من العلماء غضاضة فى أن يطلعوا على علوم الأولين من اليونان والروم والفرس ، ويستغلوها لصالحهم وصالح دينهم وأمتهم جرياً على توجيه الإسلام .

فلا يخلط الشباب إذن بين مانطلبه منهم من الاستفادة بعلوم الغير وصناعته والزيادة عليها ، وما نحذرهم منه من تقليد الغير فى مظاهره وثقافته الخاصة به وطابعه المميز له ..

لأن العلم تركة مشاعة بين الأمم كلها ، أما ثقافة الأمة وتقاليدها فهى تركة خاصة بها ، لايليق بأحد من غير أبنائها أن يتطفل عليها

ويأخذ منها ..

ويعلمنا الرسول ﷺ كيف نبنى شخصيتنا المستقلة ، ولا نكون إمعات تابعين لغيرنا ولا أسرى لتقاليد باطلة . فيقول : «لايكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجنبوا إساءتهم » .

ومن أنفع وسائل دعوة شبابنا ــ وهم فى مرحلة المراهقة ــ إلى التمسك بالدين وإلى خير الأعمال وحميد الخصال تسليحهم بالوعى المستنير بأهداف أعداء الدين وأعداء الأمة العربية والإسلامية ، وإن كل مايصوب نحو قلب هذه الأمة من وسائل التدمير المعنوى بالحرب النفسية والانحلال والفكر المنحرف أو التدمير المادى بالرصاص والقنابل والصواريخ ، ماهو إلا مظهر لصراع حضارى خطط له أصحاب القلوب الجاحدة والنفوس المريضة الذين ينكرون فضل الحضارة الإسلامية على نهضتهم والذين يخافون أن تعود تلك الحضارة ــ بعد أن تدهورت بسبب عدوانهم وإهمالنا للدين ــ إلى سابق مجدها وإشراقها .

فليبصر شبابنا مثلا بما قاله دافيد بن جوريون مؤسس إسرائيل فى أعقاب اغتصابها لأرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨ :

« إن أشد ماأخشاه لو أن قائداً عربياً ظهر فى يوم من الأيام ليقود نهضة عربية حضارية شاملة » وبما قاله أيضاً عقب النصر الرخيص فى ٥ يونيو ١٩٦٧ : « إننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض على

حضارة العرب والإسلام » .

فهل بعد هذا دليل على أن جوهر الصراع بيننا وبين العدو هو صراع حضارى بالدرجة الأولى ؟ إن تتبع تاريخ الحضارة الإسلامية فى منجزاتها طوال العصور يؤكد أن الازدهار العربى فى عصوره الذهبية قام على سند من دين الإسلام الحنيف ، وأن تراثنا وتكويننا النفسى والأخلاقى متأثر كل التأثر بذلك الدين ، وشبابنا فى أشد الحاجة إلى إحياء دينى وروحى يعدهم لدورهم فى هذا الصراع ويبنى نفوسهم ويقوى شخصياتهم ويقوم معوجهم من الانحراف والانقياد إلى مايفد إلينا من الخارج من مذاهب واتجاهات تحمل فى طياتها بذور الاستهتار بالقيم والمقومات التى يقوم عليها الإيمان والتدين وأن أكبر مايهون على المرء احتمال الضيم والذل جهله بنفسه ونسيانه شرف أسلافه وأجداده فتخفى عليه سيرتهم الحسنة ، وأعمالهم الجليلة الخالدة وأخلاقهم الكريمة ، فلا يخجل أبدا من السقوط فى حمأة الرذيلة ولا يستحى أبداً من إتيان النقائص :

من يهن يهن الهوان عليه ماالجـــرح بميت إيـــلام

وقد امتحنت الأمة العربية فى تاريخها الطويل بكوارث متعاقبة كانت كفيلة بالقضاء عليها ومحوها من مسرح الوجود ، لو لم تحمها مقوماتها الدينية والمعنوية التى عصمتها من أن تفقد ذاتها .

ولقد سهر أعداء هذه الأمة على مدى القرون على عزلها عن أمجاد ماضيها وبطولات تاريخها وكان همهم الأكبر أن يبتروها من أصولها العريقة التى تمدها بأسباب القوة المعنوية وتزودها بسر البقاء .

فليعلم شباب الأمة العربية والإسلامية أن لأمتهم ديناً يغنيها عن كل عقيدة ويقودها إلى الرقى والمجد والتمكين فى الأرض ، ولا يحول بينها وبين الأخذ بكل ماينفع من ثمرات العقول وجهود الشعوب ولباب الحضارة ، ولتوجه أنظار شبابنا أيضاً إلى كشف تلك التيارات المعادية للدين وللأمة التى تستخدم كلمة التطور أو التطوير فى التعبير عن معان يراد بها سلخ هذه الأمة عن خصائص عروبتها ومعالم إسلامها ، ودفع شبابنا إلى تقليد الأجانب فى كل مايأتون ويدعون تحت عنوان التطور وإلى تصوير التمسك بقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا الكريمة على أنه رجعية وتخلف .

وعلينا أن نبصرهم بأن التطور النافع لايقوم على أنقاض التراث الأصيل :

ومن أضاع تراثاً من أبوته لم يستفد من سواهم قدر مافقدا

وإن الدين لايعوق الإنسان عن تطوير أساليب الحياة وتغيير مستوى المعيشة وابتكار كل مايحقق الخير والرفاهية والرخاء من وسائل العمل والإنتاج وكل ماينفع الأفراد والأمة أجمعين فذلك هو مجال التطوير الحق الذى يتفق مع دعوة الدين ، والذى سبقنا فيه غيرنا فوصلوا إلى ماوصلوا إليه وأحجمنا عن المضى فيه مع دعوة القرآن إليه فتخلفنا ، وما أروع ماقاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى عبيدة بن الجراح :

« إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » .

تاسعاً : الاقتداء بالسلف الصالح :

قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً .. اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » ..

فيجب أن يوجه النشء إلى الاقتداء بالسلف الصالح عامة والشباب منهم خاصة .

إن النماذج المشرقة من شباب الإسلام تنهض دليلاً قوياً على عمق التأثير الذى يوجده التدين والإيمان بالله فى نفس الإنسان ، ومن ذلك مايروى عن الفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، كان من عادته أن يطوف بالليل ، يتفقد شئون رعيته ، وذات ليلة كان الفاروق يسير على عادته فى طرقات المدينة مع مولاه أسلم ، فلما طال المطاف بعمر استند إلى جدار بيت فى جوف الليل فإذا به يسمع امرأة داخل البيت تقول لابنتها : « ياابنتاه ، قومى إلى اللبن فامذقيه (أى اخلطيه) بالماء ، فإنك قد أصبحت » .

وإذا الفتاة تجيب أمها وأحب الناس إليها وأعزهم عليها : « أو علمت ياأماه بما كان من عزمة (أمر) أمير المؤمنين اليوم » ؟

قالت الأم : وماذا كان من عزمته يابنيتى ؟ .

قال الفتاة : لقد أمر مناديه فنادى فى الناس ألا يشاب (أى لايخلط) اللبن بالماء .

فعادت الأم تقول فى تحريض : قومى ياابنتى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لايراك فيه عمر ولا منادى عمر .

فغضبت الفتاة وردت قائلة : ياأماه ، والله ماكنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا ، وإن كان عمر لايرى فرب عمر يرى ، والله ماكنت لأفعله وقد نهى عنه » .

الحسين بن على :

وليتدارس شبابنا من أمثلة البطولة الرائعة موقف الحسين رضى الله عنه وهو يواجه فى اثنين وسبعين رجلا جيشاً مكوناً من أربعة آلاف فارس فاتك ، فقد كان يستطيع بكلمة تصدر منه أن ينجو هو ومن معه من الموت الذى كان ينتظرهم جميعاً ، ولكن الحياة عندهم كانت لاتساوى شيئاً مع الشعور بالذل والرضا بالهوان ، فأبى رضى الله عنه أن يغالط ضميره وشعوره ، وقال يرد على الحر بن يزيد — وقد خوفه من الموت المحقق — أبالموت تخوفنى .. ؟ ثم أنشد ..

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا مانوى خيرا وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبورا وفارق مجرما
فإن عشت لم أندم وأن مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ومضى رضى الله عنه يقاتل الذين قاتلوه ، ويضرب فيهم بسيفه ورمحه حتى سقط قبل أن يسقط العلم من يده ، وكتب بدمه الذكى أروع آيات البطولة فى سجل الخلود ، ولم يخسر حياته فقد بقى حياً فى ضمير كل مسلم .. وسيبقى حياً فى ضمير كل بطل .

أسامة بن زيد :

والصحابى الجليل والمجاهد القائد الشاب أسامة بن زيد بن حارثة أنموذج رائع ومثل عظيم للشاب الذى نشأ فى طاعة الله وطاعة رسوله والعمل لخدمة الإسلام ورفعة المسلمين ، وقصته وقصة أسرته والمناخ الذى نشأ فيه تستحق أن تروى لشبابنا وللمسئولين عن التربية معاً .

فلقد نشأ أسامة على الإسلام لأن أباه كان من أوائل الناس إسلاماً فشب أسامة حتى أدرك ولم يعرف إلا الإسلام لله تعالى ، ولم يدن بغيره .

وعاش فى أسرة مؤمنة مجاهدة مضحية ، فأبوه زيد بن حارثة مات مجاهداً شهيداً فى غزوة مؤتة وأخوه لأمه أيمن ابن عبيد مات مجاهداً شهيداً فى غزوة حنين ، وأمه هى أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ، وهى من السابقات إلى الإسلام ، ومن أهل الهجرتين ، وهى التى اشتركت فى أكثر من غزوة كأحد وخيبر ، وهى التى كان الرسول يقول عنها : (أم أيمن بعد أمى) ويقول عنها : هذه بقية أهل بيتى .

ولذلك ولغيره كان أسامة حبيباً لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان يقال له (الحب بن الحب) والحب ـــ بكسر الحاء ـــ معناها الحبيب ، وذلك لأن أسامة كان محبوباً عند الرسول كما كان أبوه رضى الله عنهما ، ولقد جاء فى السيرة أن النبى كان يحب أسامة حباً شديداً ، وكان عنده كبعض أهله ، وكان يجعله رديفه فى

الركوب — أى يركبه خلفه — فى كثير من الأحيان . وكان ينظر إلى أسامة كما ينظر إلى سبطيه وريحانتيه من الدنيا : الحسن والحسين رضوان الله على الجميع ، ولقد روى أسامة فقال : كان رسول الله ﷺ يأخذنى والحسن بن على ثم يقول : (اللهم أحبهما إنى أحبهما) وفى رواية أن النبى كان يقعد أسامة على فخذه مع الحسين ويقول (اللهم إنى أرحمهما فارحمهما) وقال الرسول عن أسامة : (من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة) .

ولقد كان أسامة أفطس الأنف أسود اللون كأنه الليل كما يعبر التاريخ ولكنه كسب هذه المكانة بطهارته وصفائه ، وصدقه ووفائه ، ونضاله وفدائه ، فقد آثر الإسلام واهتدى بهديه ، وهاجر مع النبى ، واحتمل فى سبيل الله مااحتمل ، وتفقه فى دينه ، وروى مائة وثمانية وعشرين حديثاً ، كان يتطوع بالقربات والنوافل ، حتى إنه حرص خلال حياته على الصوم يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، إقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

وعرف أسامة طريق النضال من أجل الإسلام وهو مازال يافعاً ، وكان لايفخر بمال أو نسب ، بل كان يعتز كل الاعتزاز برضى الرسول عنه وحبه له ، لأن حب الرسول دليل على حب الله ، ولذلك جعل أسامة نقش خاتمه هكذا : (أسامة حب رسول الله) .

وكان الرسول يكلف أسامة من حين إلى حين بشئون تتصل بأهله ، فقد استخلفه مع عثمان بن عفان رضوان الله عليهما ، ليقوما على تمريض (رقية) بنت الرسول وزوج عثمان ، وقد ماتت رقية

والمسلمون يجاهدون فى غزوة بدر ، فاشترك أسامة وعثمان وغيرهما فى تجهيزها ودفنها . وكان أسامة رجلاً عف اللسان طيب القول ، ولعل من شواهد ذلك أنه لما حدثت فتنة الإفك حول السيدة عائشة رضى الله عنها ، سأل النبى أسامة عن رأيه ومشورته ، فأثنى أسامة خيراً . ثم قال يارسول الله ، أهلك ، ولا نعلم عليهن إلا خيراً . ولقد اشترك أسامة فى سرية فدائية فى السنة السابعة من الهجرة وهو دون العشرين بسنوات كما يروى أن النبى ﷺ حينما علم بأن خالد بن الوليد أخذ الراية يوم غزوة (مؤتة) قال : فهلا إلى رجل قتل أبوه ؟ يعنى أسامة . ويستفاد من هذا الخبر أن أسامة كان ممن جاهد فى غزوة مؤتة ، كما كان النبى يراه أهلا للقيادة يومئذ .

وكان أسامة ممن ثبت إلى جوار رسول الله ﷺ فى غزوة حنين بعد أن وقع الاضطراب الأليم الذى وقع فيها ، ولم يكن حب الرسول لأسامة إلا لله وفى الله وعلى صراط الخضوع الكامل والخشوع الشامل أمام أمر الله ونهيه ، ومما يدل على ذلك أن القوم أرادوا من أسامة أن يشفع عند النبى فى أمر المرأة المخزومية التى سرقت ، حتى لايقيم عليها الحد ، واستجاب أسامة لرجائهم وشفع لها عند النبى ، وهنا لم يذكر الرسول شيئاً سوى أمر الله وحقه ، لأن حق الله فوق كل حق ، فقال لأسامة غضباً أو عاتباً : (أتشفع فى حد من حدود الله ياأسامة . إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) (رواه البخارى) .

وكذلك يروى أن الرسول بعث أسامة على جيش ذات مرة ، وكانت أول تجربة لأسامة فى القتال ، فقاتل أسامة ببأس وشجاعة . ويقول أسامة عن ذلك البعث : فأتيت النبى ﷺ ـ وقد أتاه البشر بالفتح ـ فإذا هو متهلل وجهه ، فأدنانى منه ثم قال ، حدثنى . فجعلت أحدثه فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلاً ، وأهويت إليه بالرمح ، فقال :لا إله إلا الله ،فطعنته فقتلته . فتغير وجه رسول الله ﷺ ، وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك بلا إلّه إلا الله ؟ ويحك يا أسامة فكيف لك بلا إآله إلا الله ؟ فلم يزل يرددها على حتى لوددت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام يومئذ جديداً ، فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا إلّه إلا الله ، بعد ماسمعت رسول الله ﷺ . وقبل وفاة الرسول بقليل عين أسامة قائداً على جيش المسلمين المتهيىء للذهاب إلى غزو الروم وكان أسامة حينئذ دون العشرين من عمره ، وكان فى هذا الجيش أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وسعد بن أبى وقاص وقتادة بن النعمان ، وغيرهم من كبار الصحابة ، ولكن الرسول المعلم أراد بذلك أن يدرب الشباب على القيادة أولاً ، وأن يمجد ذكرى والد أسامة المجاهد الشهيد ثانياً ، وأن يعلم الأمة أن القائد إنما هو رمز ، فإذا أصبح فى موطن القيادة وجب على الجميع أن يسمعوا له ويطيعوا ، وأن يكونوا معه ومن ورائه يداً واحدة ووجهة واحدة وقلباً واحداً ، وبذلك تتعود الأمة الإجماع على لواء الوحدة والتآلف .

لكن الرسول ﷺ توفى قبل أن يخرج الجيش ، فلما تولى أبو بكر رضى الله عنه أمر المسلمين كان أول ماأصر عليه وشرع فيه هو إنفاذ جيش أسامة إلى غايته كما أوصى الرسول ، وزاد أبو بكر فى تكريم الجيش وقائده فخرج يودعهم ماشياً على قدميه ، والقائد الشاب فوق صهوة جواده ، وعز على القائد أن يركب والخليفة يمشى فقال لأبى بكر : ياخليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل — فأجاب الخليفة قائلا فى عزم وإصرار : والله لاتنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ومضى القائد الشاب بالجيش إلى غايته ، وكان أسامة موفقاً مظفراً وجاهد جهاداً وأوجع أعداءه وعاد بغنائم ، بعد أن مكث مع جيشه فى أرض المعركة أربعين يوماً ، وعرف أبو بكر لأسامة مكانته ، واستخلفه على المدينة فى بعض الأحيان ، وكان عمر كلما لقى أسامة قال له : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أمير أمره رسول الله ، ومات وهو على أمير .

لقد كان أسامة إلى جوار جهاده ووفائه وفدائه ، رجلاً باراً بأمه ، ولقد بلغ من بره بها أن كانت النخلة قد بلغت ألف درهم ، فأقدم أسامة على نخلة فنقرها ، وأخرج جمارها ، وأطعمه أمه ، فقالوا له مايحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟ فقال : إن أمى سألتنيه ، ولا تسألنى شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها .

أسماء بنت أبى بكر :

نشأت أسماء فى مكة المكرمة فى دار أبى بكر الصديق وترعرعت

فيها ، فكانت كبرى بنات قتيلة ابنة عبد العزى زوجته ومالبث أمر الدعوة الإسلامية أن وصل إلى مسامعها ، فأسلمت إثر سبعة عشر إنساناً ، فكانت من السابقين الأولين الذين نبذوا الجاهلية (عقيدة وسلوكاً وأخلاقاً) ثم شمرت أسماء عن ساعد الجد فشاركت أباها بعضاً من أعباء الدعوة ، وكان ذلكم فى الليالى الحالكات فى مكة .. عربون صدق وبيان يقين .

أسهمت أسماء فى رفع لواء الإسلام على دقة فى التصرف ، ووعى لطبيعة الصراع الذى يخوضه دين الله مع الجاهلية الرعناء فى تلك الآونة ، فكانت بحق من أولئك النفر الذين أسهموا فى بناء الفضيلة والخير والحضارة من ثم الإنسانية .

تعد الزاد للرسول وأبى بكر فى الهجرة :

وتشهد أسماء لحظات الهجرة الحاسمة فى تاريخ الدعوة فيكون لها من المواقف ماينوء بحمله والنهوض به أشداء الرجال .. هاهى .. رضى الله عنها تحمى ظهر نبيها ووالدها ، وقريش بقضها وقضيضها وخيلائها تخرج لتخمد أنفاس الدعوة الفتية .. ولقد لاقت من أجل ذلك وتحملت .

أخرج الطبرانى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين ، فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة ، فقالت :

ياأبت هذا رسول الله ﷺ ، فبأبى وأمى ماجاء به هذه الساعة إلا أمر ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد أذن لى بالخروج

والهجرة ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : فالصحبة يارسول الله ؟ .. قال : الصحبة .. قالت فهيأنا لهم سفرة (طعام المسافر) ثم قطعت نطاقها فربطتها ببعض ، فخرجا فمكثا فى الغار .

تتسامى بيقينها على الدنيا :

كان إيمانها كعقلها ، وكانت متحكمة أبداً فى أعصابها ، فلما كانت الهجرة حمل أبو بكر ماله كله معه ليعين به محمداً على دعوته التى كان يراها أولى من نفسه وأسرته ، فقد أخرج ابن اسحاق عن أسماء رضى الله عنها قالت : لما خرج رسول الله ﷺ أخرج أبو بكر ماله كله معه (خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف) فانطلق معه ، فدخل علينا جدى ، أبو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : كلا ياأبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت : ياأبت ، ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه فقال : لابأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، ولا والله ماترك لنا شيئاً ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

تكتم سر رسول الله وصاحبه :

كانت الهجرة سراً لايعرفه فى مكة إلا رجل وامرأة (على وأسماء) فأبى عليها دينها أن تذيع السر ، فجاءها أبو جهل وأصحابه فهددها عدو الله فلم تخف ، فرفع يده فضربها على خدها لطمة طرح منها قرطها من أذنها وكانت حاملاً بابنها عبدالله من زوجها الزبير بن

العوام (حوارى رسول الله ﷺ) . ويصل ركب النبوة إلى المدينة المنورة ، تكلؤه عين الرحمن وتحفظه ، ويبعث أبو بكر الصديق فى طلب أهله ، وتنطلق (أسماء) لاحقة نبيها ودار هجرتها ، وتضع من ثم أول مولود فى مجتمع الإسلام ويكون عبدالله بن الزبير .

زوجة صابرة مطيعـة :

وكان الزبير بن العوام قد بنى بها فى مكة على فقر حاله ، وقلة فى ذات يده وإعسار ، فكانت أسماء امرأته الصابرة المجاهدة المحتسبةالتى لاتتبرم ولا تتسخط ، حتى أبدله الله تعالى بالفقر غنى وبالضيق سعة .

فعنها رضى الله تعالى عنها قالت : كنت مرة فى أرض أقطعها النبى ﷺ لأبى سلمة والزبير رضى الله عنهما فى أرض بنى النضير ، فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ولنا جار من اليهود فذبح شاة فطبخت فوجدت ريحها ، فدخلنى مالم يدخلنى من شىء قط ، وأنا حامل بابنتى خديجة فلم أصبر فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودى أقتبس منها ناراً لعلها تطعمنى !! وما بى حاجة إلى النار ، فلما شممت الريح ورأيت ازددت شرهاً (حرصا) ، ثم جئت ثانية أقتبس ثم ثالثة ثم قعدت أبكى ، وأدعو الله فجاء زوج اليهودية فقال :

أدخل عليكم أحد ؟ قالت العربية تقتبس ناراً . قال فلا آكل منها أبدا أو ترسلى إليها منها !! فأرسل إلى بقدحه (غرفة) فلم يكن شىء فى الأرض أعجب إلى من تلك الأكلة .

ترعى حرمة الزوج وتحفظ غيرته :

كما أخرج ابن سعد عنها أنها قالت : « تزوجنى الزبير رضى الله عنه وما له فى الأرض مال ولا مملوك ولا شىء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته ، وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه (البعير الذى ينضح الماء) وأعلفه، وأسقيه الماء، وأخرز غربه (الدلو العظيمة) وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز فكان يخبز لى جارات من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى ، وهى على ثلثى فرسخ ، قالت : فجئت يوماً والنوى على رأسى فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعانى ، ثم قال : أخ أخ . (كلمة تقال للجمل ليبرك) ليحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، ذكرت الزبير وغيرته ، قالت : وكان من أغير الناس ، قالت : فعرف رسول الله ﷺ أننى قد استحييت فمضى ، فجئت الزبير فقلت : لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب معه فاستحييت وعرفت غيرتك ، فقال : والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه . قالت : حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادمة فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى » .

هكذا رعت أسماء رضى الله عنها حق زوجها ، وحرصت على طاعته ومرضاته .

جودها وبذلها فى سبيل الله :

حتى إذا فاض النعيم فى دار الزبير شكرت البارى على نعمائه ،

وراحت تنفق وتتصدق لاتلوى على شيء من أمر الدنيا ، فقد أخرج البخارى عن عبدالله بن الزبير رضى عنهما قال : « مارأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء رضى الله عنهما ،وجودهما مختلف أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء إذا كان اجتمع عندها قسمت ، أما أسماء فكانت لاتمسك شيئاً لغد » .

طاعة الله فوق حبها لأمها :

ولقد كانت أسماء فى صدق إيمانها بالله تعالى ، وجميل ولائها لدينه وشرعه كمالاً ووعياً ودقة وطلباً لما عند الله تعالى ، وإيثاراً للدار الآخرة .. وحتى فى غمرات العاطفة : العاطفة التى تشد أماً طال بها الشوق لابنتها فتدفعها لتقطع الأسفار تطلب ابنتها (قدمت من مكة لزيارة ابنتها فى المدينة) تحمل أصناف الهدايا ، حتى إذا لقيت أسماء أمها تفتح لها قلبها وابتسم فؤادها ، وقد أيقظته حنايا الأمومة وحقها ، ثم تذكر أسماء أن أمها مشركة ، وأن صلة الدين فوق كل صلة ، فتسأل عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ فى أمر أسماء ، وقد توقفت عن قبول الهدايا ، فينزل قول الله عز وجل : ﴿ **لَايَنْهَاكُم اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَم يُقَاتِلُوكُم فى الدِّين** ﴾ فتقبل من ثم على والدتها بعاطفة ، وضمة دافئة ، وقد أذن الله تعالى وحكم .

أما الزينة والتفاخر ، والرياش والأزياء ، فلأسماء الصديقة فى ذلكم بصر ونظر .. فقد أخرج ابن سعد أن المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إلى أسماء بكسوة من ثياب مروية وقوهية (نسبة لبعض بلاد خراسان) رقاق عتاق بعدما كف بصرها ، قال : فلمستها بيدها

ثم قالت : أف .. ردوا عليه كسوته . قال : فشق عليه ذلك فقال : يأمه إنه لايشف . قالت إنها إن لم تشف فإنها تصف .. ! قال : فاشترى لها سواها فقبلتها .

الأم الأبية تغرس فى ابنها الكرامة والفداء :

ولن نوفى أم عبدالله حقها ، أو بعضاً من حقها ، قبل أن نشير إلى طرف من شجاعتها ، وقد أبت عليها فروسيتها إلا أن تشارك جند المسلمين القتال فى اليرموك وتبلى بلاء الأبطال ، ولقد كانت يرحمها الله تتخذ لنفسها سلاحاً تدفع به عن نفسها ، فتكفى الرجال مؤنتها ، زد على ذلك أنها كانت فصيحة بليغة أديبة شاعرة ، رثت زوجها بمقطوعات .

أما وقد تناءت بها السن ، ودارت الدوائر على عبدالله بن الزبير ولدها وانخذل عنه الناس ، وعلم أنه مقتول .. يأتيها وهى يومئذ ابنة مائة سنة ، يتحسس بعضاً من عواطفها على صفحات قلب أم رؤوم ، بلت صروف الأيام ، وعرفت من لأواء الحياة ، ماقلدها عقلاً راجحاً ونظراً ثاقباً ، وديناً قيماً ، وتقوى خالصة ، قالت له : « يابنى ! إيَّاك أن تعطى خصلة من دينك مخافة القتل » وفى رواية أخرى أنها قالت له : إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فمت على الحق . وإن كنت خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حياً ولا ميتاً . فخرج رحمه الله وقد تأجج صدره مجداً وكرامة وعزة .. يقاتل ويقاتل .. حتى وقعت شرفة من شرفات المسجد على رأسه فصرعته وهو يتمثل الأبيات .. يناجى بها أمه ..

أسمـاء .. إن قتلـت لا تبكيـنى
لم يبـق .. إلا حسـبى ودينى
وصـارم .. لانـت به يمينى

ثم تكتب الشهادة لعبدالله ويمثل به أعداؤه .. فلا يتغير لأسماء عقل ، ولا يتزحزح لها ثبات ، ولا يرتفع لهانشيج ، حتى إذا رأته مصلوباً بعد ثلاث .. لم تزد على أن قالت كلمتها المشهورة : « أما آن لهذا الفارس أن يترجَّل » .

وبعد .. هذه أسماء .. وهذه لمحات من مآثر أسماء الإسلام ، التى زها بها تاريخ الإسلام .

عاشراً : غرس الصفات الحربية وروح الجهاد :

تعنى الدول جميعا فى إعداد جيوشها للقتال بغرس الصفات الحربية كالطاعة والنظام والانضباط والشجاعة فى أبنائها الذين يلتحقون بالخدمة العسكرية ، وتقوم بتدريبهم على هذه الصفات فى إطار النشاط اليومى والتدريب القتالى .

لكن الإسلام ينفرد بأنه لاينتظر حتى يشب الفتى ويدخل الجيش فيبدأ فى إعداده وغرس الصفات الحربية فيه ، بل يبدأ فى ذلك من مرحلة التنشئة والتربية بحيث يكون غرس الصفات الحربية وروح الجهاد من مقومات الشخصية الإسلامية .

ولقد أدرك حكمة هذا المنهج الإسلامى أخيرا كبار القادة العسكريين فها هو ذا الجنرال مارشال القائد الأمريكى المشهور يقول

فى كتاب له بعنوان الجنود فى مواجهة النيران :

« إذا رغبنا فى الحصول على الجندى الصالح للقتال فيجب أن تتجه أنظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلا ، وإلى المدرسة حيث يتعلم كيف يضحى بمصالحه الشخصية من أجل الوطن ، وفى أروقة الحكومة حيث ينبثق فى قلوب الشعب وعى صادق عن الواجب » .

والتاريخ الإسلامى حافل بالنماذج المشرقة من شباب الإسلام الذين كانوا يخرجون إلى المعركة فرحين مغتبطين ، ويغضبون إذا ردهم القائد لصغر سنهم ، ويتطاولون على أطراف أصابع أقدامهم ليظهروا أمامه كباراً فيجيزهم وكان الاستشهاد أحب إليهم من السلامة ، بل كان أملا يتسابقون إليه .

فقد منع الرسول ﷺ شابين وهما ابنا خمسة عشر عاماً من الخروج للقتال وهما سمرة بن جندب الفزارى ورافع بن خديج أخا بنى حارثة ، فقيل للرسول : إن رافعاً رام (أى يجيد الرمى) فسمح له ، ثم قيل له : إن سمرة (الشاب الآخر) يصرع رافعاً ، فسمح له كذلك .. وقد ورد أن رافعا أخذ يتطاول على أطراف أصابع قدميه ليوهم الرسول أنه بلغ مبلغ الرجال فيسمح له بالقتال بعد أن قيل إنه رام .. فماذا دعا الشابين وهما فى هذه السن إلى الانخراط فى سلك الجندية والتسابق إلى ميدان القتال ؟ .

وقال عبدالله بن عمر : عرضت على رسول الله يوم أحد ، وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن

خمس عشرة سنة فأجازني . ورد الرسول يوم أحد زيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير ثم أجازهم يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة .

ويقول عبد الرحمن بن عوف : «إنى لفى الصف يوم بدر ، إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه : ياعم ، أرنى أبا جهل . فقلت : ياابن أخى ، ماتصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه .. وقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله ، فأشرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين ، حتى ضرباه» (رواه البخارى) .

وقد استشهد هذان البطلان فى بدر وهما عوف وشقيقه معوذ ابنا الحارث الخزرجى الأنصارى .

وأخرج ابن سعد عن سعد رضى الله عنه قال : رأيت أخـى عمير بن أبى وقاص رضى الله عنه قبل أن يعرضنا (يستعرضنا) رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى . فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ ، فيستصغرنى فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة ، قال : فعرض على رسول الله ﷺ فرده ، فبكى ، فأجازه .. فكان سعد رضى الله عنه (أخوه) يقول : فكنت أعقد حمائل (حمالات) سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة .

وهذا هو حنظلة بن أبى عامر الذى زفت إليه عروسه ، ثم سمع المنادى يقول ياخيل الله اركبى (يعنى أيها المجاهدون اركبوا

خيولكم) فانتزع نفسه من الفراش ، وقام معجلا ليأخذ مكانه فى صفوف المجاهدين ، وقضى الله أن يستشهد ، فلما انتهت المعركة ، طلب رسول الله زوجه وقال لها : حدثينى عن آخر عهدك بحنظلة ، فأجابت المرأة : كان بينى وبين حنظلة مايكون بين الرجل وزوجه ،ولكنه سمع الهيعة (أى النداء للحرب) فنهض مسرعاً قبل أن يغتسل .. فقال رسول الله ﷺ : « لقد رأيت الملائكة تغسله بالأمس فى صحاف من فضة بماء المزن بين السماء والأرض » .

وهذا سعد بن أبى وقاص يقول : كنت ثالثاً فى الإسلام ، وأسلمت وأنا ابن سبع عشرة سنة .. وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى وأول من أراق دماً فى سبيل الله ، وشهد مع رسول الله المشاهد كلها ، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا ، ويوم أحد قال النبى ﷺ : « ارم سعد فداك أبى وأمى » ثلاث مرات ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وتوفى الرسول وهو عنهم راض ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب أمر الخلافة إليهم ، واستعمله عمر على الجيوش التى أرسلها إلى الفرس ، فكان قائد الجيوش الذين هزموا الفرس فى القادسية ،وهو الذى فتح مدائن كسرى ، وهو الذى بنى الكوفة ، رحمه الله تعالى .

فما هو أسلوب الإسلام فى غرس الصفات الحربية وروح الجهاد التى تصنع الشباب المؤمن القوى القادر على مواجهة التحديات الجسام ؟ .

أولاً : ربط الطاعة والانضباط بالدين :

لعل أهم أسس التربية الجهادية فى الإسلام هو ربط الطاعة والانضباط بالدين ، واعتبارهما من علامات الإيمان .

فالانضباط ــ من وجهة نظر علم النفس العسكرى ــ هو « الحالة العقلية ومقدار التدريب التى تجعل الطاعة والسلوك السليم أموراً غريزية فى جميع الظروف » من ذلك نرى أن الانضباط هو شيء يمكن تنميته فى العقل ودعمه بالتدريب ويتجلى فى الطاعة والتصرف السليم غريزياً .

والانضباط السليم ليس هو الطاعة فقط ، فما الطاعة إلا جزء صغير منه فالرجل الذى يتحلى بالانضباط حقاً هو الذى يفعل مايعرف أنه صحيح حتى فى « غيبة الأوامر أو الرقابة » ، أى أنه هو الذى يؤدى واجبه على أكمل وجه بدافع ذاتى ، لابدافع خارجى .. وهذا الدافع الذاتى « لايتولد بالإرغام ولكنه يتولد فقط عن طريق الاقتناع » .

من أجل ذلك كانت أسس بناء الانضباط فى الإسلام هى :

١ ــ الحرية والكرامة الإنسانية .

٢ ــ بناء الضمير الدينى للمسلم .

٣ ــ التدريب العملى على الانضباط ومن أمثلة ذلك مايتجلى فى العبادات .

٤ ــ اعتبار التربية الجهادية تكليفاً فى إطار إعداد القوة التى أمر الله تعالى بها فى قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن**

رباط **الخيل** ﴾ ، وفى إطار الجهاد فى سبيل الله ، وهو الوظيفة الشريفة التى اختار الله هذه الأمة لأدائها كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ **وجاهدوا فى اللهحق جهاده هو اجتباكم** ﴾ اجتباكم أى اختاركم .

٥ ــ التعريف بفلسفة الطاعة ، وبمغزاها الاجتماعى ، فليست الطاعة فى الإسلام « خضوعاً للسلطة » ، بل هى « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيادة التى هى الأخرى « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة فالله تعالى يقول : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ .

ويوضح الرسول ﷺ ضرورة القيادة لصالح الجماعة فيقول : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » (رواه أبو داود) ، كما يأمر بالطاعة فيقول : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » (رواه البخارى عن أنس) .

ثانياً : بناء الجسم القوى :

حث الإسلام على تعلم السباحة وركوب الخيل والسباق فى الجرى والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل والمصارعة ورفع الأثقال إلى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم القوى السليم ، ويمدح الإسلام المؤمن القوى فيقول الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (رواه مسلم) . ويقول أيضا : « إن لبدنك عليك حقاً » (رواه البخارى) .

ثالثاً : التدريب على السلاح والرماية :

وحث الإسلام على التدريب على الرماية بالقوس والنضال بالسهام ، والطعن بالرمح والحربة ، والضرب بالسيف ، وهى أسلحة القتال المعروفة فى ذلك الوقت ، وقد عنى النبى ﷺ عناية فائقة بتدريب المسلمين على الرمى فقال :

ـــ « ألا إن القوة الرمى » وكررها ثلاثا (رواه مسلم) .

ـــ « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والممد به ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » (رواه الخمسة).

ـــ ومر عليه الصلاة والسلام بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى ، فنزع نعليه وقال : « روض من رياض الجنة » .. يقصد أن العمل الذى يعمل فى هذا الموضع (وهو التدريب على الرمى) يوجب روضة من رياض الجنة .

ـــ وقد بلغ من تقدير المسلمين للتدريب على السلاح والرماية أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد ، وقد أثمر هذا التدريب ثمراته فى بلوغ المسلمين درجة عالية فى الكفاءة فى الرمى حتى لقبوا « برماة الحدق » أى أن الرامى إذا أراد تصويب سهمه نحو عين عدوه لم يخطئها .

رابعاً : العناية بالأسلحة :

ويربى الإسلام المسلم على العناية بأسلحة القتال ومعداته ليس

لأن « الأوامر العسكرية تقضى بذلك » ، بل وفاء بالأمانة التى فى عنقه والتى يأمره دينه أن يؤديها ويصونها ، ومحافظة منه على أدوات القوة التى أمر الله بإعدادها وحرصاً منه على أدوات الجهاد فى سبيل الله ، وإحساساً منه وادراكاً لعواقب إهمال هذا الواجب كما أخبر الله تعالى فى قوله : ﴿ **ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾ .

وهذا رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، حيث كان يناول ابنته فاطمة سيفه ويقول : « اغسلى عن هذا دمه يابنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم » ، وناولها على بن أبى طالب سيفه وقال : وهذا أيضا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم .

خامساً : غرس الشجاعة والإقدام :

أعطى على بن أبى طالب الراية لابنه محمد المعروف بابن الحنفية وقال له : « تزول الجبال ولا تزول ، عض ناجذك أعز الله جمجمتك ، تدَّ فى الأرض قدمك ، ارم بعدك أقصى القوم ، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه » نهج البلاغة .

تلك وصية على لابنه ، وهى تنطوى على غرس الشجاعة والإقدام ، ولا غرابة فى ذلك ، فعلى بن أبى طالب كان قدوة فى البطولة والشجاعة .

فلقد فزع الجيش الإسلامى فى غزوة الخندق ــ وهو يستعد للقتال ــ عندما اقتحم الخندق عملاق جيش المشركين عمرو بن

عبد وُدّ .. وهو يصيح بصوت عريض أجش : أيها المسلمون .. هل يقوى رجل فيكم على أن يأتى لمبارزتى ؟ ..

قالها ثلاثا فلم يخرج إليه أحد ، فسألهم فى سخرية :

أين جنتكم التى تقولون إن من يقتل منكم يدخلها .. ألا يريد أحدكم أن يدخل الجنة بضربة من سيفى هذا ؟ .

فتصدى له على بن أبى طالب ـــ مثل الشباب الخالد ـــ وقال : إنى مبارزك ياعمرو .. فقام إليه النبى ينصحه بأن يجلس قائلا : « إنه عمرو » ..

فقال على بكل اليقين : وأنا على ..

فاحتضنه النبى وقبله وألبسه عمامته وخرج معه بعض خطوات المودع .. ثم تركه لملاقاة عمرو ، وهو يقول : « الآن برز الإسلام كله للشرك ثم ناجى الرسول ربه : « اللهم أعنه عليه .. اللهم إن هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين » ..

فلما اقترب على من عمرو ، نظره عمرو نظرة استخفاف فبادره على بسؤاله : ياعمرو .. إنك كنت قد عاهدت الله لايدعوك أحد من قريش إلى إحدى خصلتين إلا قبلتهما .

قال عمرو : ماذا تريد أن تقول ؟ أجاب : إنى أدعوك إلى الله ورسوله ، وأدعوك إلى الإسلام .

فقال عمرو ساخراً : ليس بى حاجة لذلك ! ..

قال على : ولكن بى حاجة إلى مبارزتك .

وعاد عمرو إلى استخفافه فقال ياابن أخى اذهب أنت وابعث لى من أعمامك من هو أشد منك .. فإنى أكره أن أريق دمك ، وإن أباك كان صديقاً لى .. واللات والعزى ماأحب أن أقتلك .

فقال على : ولكنى والله أحب أن أقتلك .. وبادر على خصمه العملاق بضربة سيف أطاحت برأسه .

وكانت بداية انتصار المسلمين فى الخندق ، ودرسا لكل الشباب الذى قاد الفتوح بعد ذلك من حدود فرنسا حتى سور الصين ..

وهذا موقف آخر لعلىّ فى غزوة بدر :

خرج عتبة وشيبة والوليد ، ودعوا إلى المبارزة ، فقال رسول الله ﷺ : « يابنى هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم إذا جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله . فقام على وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فمشوا إليهم ، وكان على رضى الله عنه معلما بصوفة بيضاء ، فقال عتبة لابنه : قم ياوليد ، فقام فقتله على ، ثم قام شيبة فقتله حمزة ، ثم قام عتبة فبارزه عبيدة فجرح كل منهما الآخر ، فكر حمزة وعلى فقتلا عتبة واحتملا عبيدة إلى الصف ، فنزلت فيهما هذه الآية :

﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم ﴾ .

(إمتاع الأسماع : ١ : ٨٥)

وكانت أم المجاهد المؤمن ، إذا خرجت وراءه تشيعه للمعركة ،

وودعته بدعوة أن يرده الله إليها سالما ، رد عليها قائلا : ياأماه ، أتطلبين لى السلامة ؟ استغفرى الله ، واطلبى لى الشهادة والحسنى وزيادة ، وقد وصف الله هذا الشباب الممتلىء بالقيم الروحية بأنهم **﴿فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾** وقال: **﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾** ووصفتهم تـوراة موسى عليه السلام فقالت : **« مع محمد قوم إلى الموت أسرع من الماء فى أعلى الجبل إذا انحدر إلى أسفله ، ولا يبالون ، أسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهم ، بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، مصاحفهم صدورهم ، وقربانهم دماؤهم »** . كان هذا الشباب المؤمن ينام بالليل وسلاحه تحت جنبه ، ليكون على أهبة الاستعداد لتلبية الدعوة إذا دعا الداعى ، فإذا سمع الهيعة طار على متن فرسه ، موقنا أنه إن انتصر غنم وإن قتل استشهد ، والثانية أحب إليه من الأولى **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** .

سادساً : دراسة التاريخ العسكرى .

ويوجه الإسلام المسلمين عموما إلى النظر فى آثار السابقين ، وماذا كانت نتيجة ماصنعوا وما كسبت أيديهم ، لاستخلاص الدروس والعبر ، والله سبحانه وتعالى يسمى علم التاريخ العلم بأيام الله فى الشدة والرخاء ، فى البأساء والضراء ، فى الهزيمة والنصر ، والعلم بأسباب ذلك كله لنستفيد منه ، يقول الله تعالى :

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (سورة آل عمران : ١٣٧)

﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴾ (سورة النساء : ٢٦)

﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ .

(سورة هود : ١٢٠)

يستوحى من هذا أن الإسلام يوجه ــ فى مجال التربية العسكرية ــ إلى دراسة التاريخ العسكرى . ولا جدال فى أن الشباب فى سن المراهقة يقبل على دراسة المعارك وما فيها من مواقف الشجاعة والبطولة والفداء ، ويتأثر بما يبرز فيها من صور القدوة الصالحة فى تلك المجالات ، ولعل هذا هو مايفهم من قول زين العابدين بن على رضى الله عنهم أجمعين :

« كنا نعلم أبناءنا الغزوات كما نعلم السور من القرآن » .. وقول اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم : « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول : يابنى ، إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » .. (السيرة النبوية ــ أحمد زينى دحلان) .

سابعاً : غرس وعى الأمن والمحافظة على الأسرار :

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون أولادهم المحافظة على السر ، قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبدالله : إنى أرى هذا الرجل ــ يعنى عمر بن الخطاب ــ يقدمك على الأشياخ (يعنى كبار الصحابة) فاحفظ عنى خمسا :

لاتفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يجربن عليك كذبا ، ولا تعصين له أمرا ، ولا يطلعن منك على خيانة .

وقال أنس بن مالك : أتى على رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجة فأبطأت على أمى ، فلما جئت قالت : ماحبسك؟ (أى أخرك) فقلت : بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة . قالت : ماحاجته ؟ قلت : إنها سر . قالت لاتخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا (رواه مسلم) .

وقد جعل الله تعالى الأسرار أمانة من الأمانات التى على المسلمين أن يحافظوا عليها فقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** ﴾ ..

وقال رسول الله ﷺ : « ألا لاإيمان لمن لاأمانة له ، ولا دين لمن لاعهد له » ..

وقال أيضا : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » .

وحذر النبى ﷺ من المغامرة بالحديث أو التعجل بالقول وحث على ضرورة الحذر والتدبر قبل الكلام فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » وقال أيضا : « الصمت حكم وقليل فاعله » وقال : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » ..

وبين الرسول أمانة الكلمة وخطرها فى قوله : « رحم الله امرءا أصلح من لسانه » . وسأله عقبة عن وسيلة النجاة فقال فيما قال : « أمسك عليك لسانك » (رواه الطبرانى) .

وسأله سفيان بن عبدالله عن أمر يعتصم به فقال له : « قل ربى الله ثم استقم ، فقال سفيان يارسول الله ماأخوف ماتخاف على ؟ فأخذ ﷺ بلسان نفسه وقال هذا » . ونهى الرسول عن إطلاق الكلام فى قوله « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع » وقال عليه الصلاة والسلام « لاتتكلم فيما لايعنيك فإنه فضل (فضول) ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا » .

وحث الرسول على سرية الأعمال والخطط وقد ظهر ذلك واضحا فى السرايا والغزوات . وأوضح الإمام على كرم الله وجهه قواعد الأمن والسرية للمعلومات فى حجم مايقال وفى توقيته وفى المستوى الذى يبلغ إليه المعلومات فى قوله : « ليس كل مايعلم يقال ولا كل مايقال حضر أهله ، ولا كل ماحضر أهله حان وقته » وقال أيضا : « سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره » ..

ثامناً : الحذر ودرجة الاستعداد العالية :

عنى الإسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر وبما نسميه درجة الاستعداد العالية لحرمان العدو من المفاجأة قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ . ولعل أبلغ مايؤكد ذلك ماورد فى القرآن الكريم بشأن الصلاة فى الحرب فقد أمر الله تعالى بأدائها فى وقتها ولكنها تكون ركعتين بدلا من أربع ، وأمر بأن تصلى طائفة مع الرسول بينما الطائفة الأخرى فى موقف الحراسة ، حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر ، قال تعالى : ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك**

وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ (سورة النساء ١٠٢).

وهكذا أوجب على المسلمين أن تكون معهم أسلحتهم وجعل الطائفة الثانية للحراسة حتى لايفاجئهم العدو فيكون سوء العاقبة .

ويبين الرسول الكريم فضل القائم بالحراسة فيقول : « عينان لاتمسهما النار يوم القيامة عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (رواه الترمذى).

ويقرر الرسول الكريم المعيار الصحيح لدرجة الاستعداد لدى المجاهدين ، فى أنها القدرة على العمل الفورى فى مواجهة المواقف المفاجئة فيقول عليه الصلاة والسلام : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة ــ يعنى صيحة خطر ــ طار إليها » (رواه مسلم وغيره).

وبتحليل هذا الحديث الشريف نلاحظ الآتى :

ــ كلمة « ممسك » فى عبارة « رجل ممسك بعنان فرسه » تعنى درجة أعلى فى الاستعداد من مجرد ركوب الفرس وتنطوى على معنى الاستعداد الكامل للانطلاق بمجرد الإشارة .

ــ كلمة « طار » فى عبارة « كلما سمع هيعة طار إليها » ذات مدلول يختلف كثيرا عن كلمة اندفع أو اتجه أو تقدم أو أسرع ، وتعبر

عن أسرع شكل من أشكال التحرك على الإطلاق وتعتبر أكثر ألفاظ الحركة دلالة على السرعة .

ـــ ثم كلمة « خير الناس » التى تنطوى على تكريم المجاهد الذى يقف فى أعلى درجات اليقظة والاستعداد ، ومنشأ التكريم هنا هو مقدار العناء والجهد البدنى والعصبى الذى يتعرض له المقاتل فى فترة استعداده القصوى الأمر الذى يستحق معه التكريم وتلك هى عدالة الإسلام .

وتنطوى تلك الكلمة أيضا على تحريض المجاهدين جميعا على أن يكونوا فى أعلى درجات الاستعداد للقتال الفورى حتى لايؤخذوا على غرة فيقع الضرر للجيش ثم ليكونوا خير الناس ..

تاسعاً : مقاومة الحرب النفسية ومنع ترويج الإشاعات :

ووضع الإسلام خير المبادىء لمقاومة أساليب الحرب النفسية التى يهدف العدو من ورائها إلى تدمير الروح المعنوية للمقاتلين وإضعاف مقاومتهم وإصرارهم على القتال ، فتقرر المدرسة الإسلامية أن العقيدة الراسخة المؤسسة على الإيمان الذى لايتزعزع ، هى الركيزة العظمى لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية .

فالمؤمن إيمانا كاملا لايخاف الوعيد ولا يرهب التهديد وليس جبانا رعديدا كأولئك الذين يقول فيهم الكتاب الكريم ﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت** ﴾ (سورة الأحزاب ١٩) .

والمؤمن لايزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية إلا إيمانا وثباتا واستعدادا للبذل والتضحية ، كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ سورة آل عمران ١٧٣ .

ولعل من أروع الأمثلة التى تذكر فى هذا المقام ماحدث بين قائد جيش الفرس وبين خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين ،وكان الفرس متفوقين فى عددهم أكثر من ستة أمثال فبعث قائدهم برسالة إلى المسلمين كلها حرب نفسية ، محاولا بث اليأس فى نفوسهم وافقادهم الأمل فى النصر على قوته المتفوقة تفوقا ساحقا . وهنا تظهر عظمة العقيدة الراسخة وأثرها العظيم إذ بعث خالد بن الوليد بردّ يقول فيه : « لقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » وبهذا انتصر المسلمون .

ويحذر الإسلام من ترويج الإشاعات ويعتبر أشد أنواع الكذب أن يدعى الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذى يذيع عنه كما يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « إن أفرى الفرى ــ أى أكذب الكذب ــ أن يرى الرجل عينيه مالم تريا » كما يكشف الإسلام مدى الجريمة التى يقترفها مروجو الاشاعات كما يفهم من قوله تعالى : ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** ﴾ سورة النور ١٥ .

وقوله : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ سورة النور ١٩ .

عاشرا : دور المرأة فى المعركة :

تعلمت المرأة فى المدرسة الإسلامية دورها فى المعركة سواء فى ميدان القتال أو فى الجبهة الداخلية ..

ففى ميدان القتال كان دور المرأة القيام بخدمات الإعاشة والإمداد بالمياه والطعام والخدمة الطبية من إسعاف وتمريض وإخلاء للجرحى والشهداء ، روى عن إحدى النساء المسلمات وتدعى الرُّبَيْع قولها : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » ففى غزوة بدر مثلا كانت السيدة عائشة أم المؤمنين تحمل قرب الماء لتسقى المقاتلين وكانت تساعدها فى ذلك أم سليم زوج أبى طلحة زيد بن سهل وأم أنس بن مالك .

وفى غزوة أحد كانت فاطمة بنت النبى مع الجيش تقوم بأعمال الخدمة الطبية فلما أصيب الرسول فى المعركة أسرعت إليه تضمد جراحه فجاءت بقطعة من حصير مصنوع من سعف النخل وحرقتها وأخذت ترابها ووضعته على الجرح فتماسك وجف .

هذا دور المرأة فى ميدان القتال أما دورها فى الجبهة الداخلية فكان دورا إيجابيا باليقظة والحراسة لحماية القاعدة التى انطلق منها الجيش .. ففى غزوة الأحزاب رأت صفية بنت عبد المطلب يهوديا يمر بالحصن فقالت لحسان بن ثابت : إن هذا اليهودى يطيف بالحصن وإنى والله ماآمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا اليهود ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا فانزل إليه فاقتله ، فأجابها حسان : « يغفر لك الله ياابنة عبد المطلب والله ماأنا بصاحب هذا » . فأخذت صفية

عودا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودى حتى قتلته .

ولقد وصل دور المرأة إلى حد الاشتراك فى القتال فعلا كما فعلت صفية بنت عبد المطلب ونسيبة بنت كعب فى غزوة أحد حينما انهزم المسلمون وتحرج الموقف فتركت الماء وحملت سيفا وحاربت دفاعا عن الرسول حتى جرحت .

ثم إن من أعظم أدوار المرأة المسلمة فى المعركة هو ضربها القدوة والمثل لزوجها أو لأولادها فى الروح المعنوية العالية المبنية على الإيمان والعقيدة الراسخة فتشجعهم على الخروج للقتال وعلى الاستبسال فيه وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به . وأروع الأمثلة على ذلك ماقدمته الخنساء من مثل فريد حينما استشهد أولادها الأربعة فى المعركة ويجىء إليها نبأ استشهادهم فتقول : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » ..

* * *

المبحث العاشر

عظات نافعة فى التربية السلوكية(1)

- إعداد النشء ليكونوا رجالا .
- الاستقامة وأثرها فى صلاح الفرد والمجتمع .
- حقوق الأبناء على الآباء .
- حقوق الآباء على الأبناء .
- إرشاد الصائم .
- سر مشروعية الصوم .
- سر مشروعية الصلاة والجماعة فيها .
- المحافظة على الصلوات والخشوع فيها .
- المحافظة على الصلاة وآثارها فى الفرد والمجتمع .

---

(1) من محاضرات وخطب فضيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف (من كتابه : هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة) طبعة دار الاعتصام .

(١) إعداد النشء ليكونـوا رجالا

الحمد لله خلقنا وسوانا ، وعلى موائد بره وكرمه ربانا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وأثنى عليه بقوله جل ثناؤه :

﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وعلى آله وصحبه الذين صلحت قلوبهم وتهذبت أخلاقهم فدانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ، وكانوا هم الفائزين الغالبين .

وبعد ... فإنا سنتحدث إليكم فى موضوع له شأنه وخطره فى حياتنا الاجتماعية ألا وهو « إعداد النشء ليكونوا رجالا كاملين ناهضين » فنقول : مقدمات :

١ ــ لاريب فى أن الإنسان مجبول على حب البقاء ، بل البقاء أحب شيء إليه ،وأشهى شيء لديه ، ولكنه يعلم أنه لامحالة هالك ، وأنه لابد لوجوده من نهاية . من أجل هذا اقتضت إرادة الله عزت قدرته وجلت حكمته ، أن يجعل له فى نسله بعض العوض عن ذلك ، فإنه يرى بقاءه مستمراً فى نسله ، وذكراه لم تنقطع بذريته ، فلا يندم على جهاده فى معترك الحياة ، ولا يأسف على مفارقة ماجمعه من مال وعقار ، لعلمه أنه تركه لخلفه الذى هو جزء منه ، فكأنه هو الذى يستمتع به ، وكأنه باق لم يلحقه فناء ، وهذا كله مسلم لدى جميع العقلاء ، فالكل يحب الولد لأنه يرى فيه بقاء لذكراه ، ويوقن أنه خليفته فى هذه الحياة .

٢ ــ كل إنسان يشعر بالحاجة إلى معين مخلص ، ومساعد أمين يحمل عنه بعضاً من متاعب الحياة ، ويكون عُدته عند النوائب ، وردءاً له فى الشدائد ، ولا أحد أجدر من الولد بثقة الوالدين فى هذا المعنى . لهذا كان حب الذرية غريزة قوية فى الإنسان ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين** ﴾ .

٣ ــ محبة الذرية كغيرها من المشتهيات تارة تكون ممدوحة ،وتارة تكون مذمومة . والأشياء بمآلها وآثارها ، فالممدوحة ماتؤول إلى الخير ، وتفضى إلى نفع المجتمع وبناء العمران ، ولهذا رغب صلوات الله وسلامه عليه فى نكاح الولود ، وحذر من زواج العقيم ، روى أبو داود وغيره من حديث معقل بن بشارة قال :

« جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنى أصبت امرأة ذات حسب ونسب ومال ، إلا أنها لاتلد أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له : تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم ».والمذمومة ماتؤول إلى الشر ، وتفضى إلى ضرر الاجتماع وفساد العمران : بارتكاب المظالم ؛ وتعدى الحدود ، وانتهاك الحرمات لأجلهم ، ومن سوء تربيتهم .

هذا وإن تربية النشء تربية حسنة حكيمة من أهم الفرائض ، وألزم الواجبات التى لايصح أصلا التهاون فيها ، لشدة خطرها ، وعظم مسئوليتها ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾. أخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وغيرهم من حديث على رضى

الله عنه فى معنى الآية قال : « علموا أنفسكم ، وأهليكم الخير ، وأدبوهم » . وأخرج ابن جرير وابن المنذر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لكم ولهم من النار » . وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم »

فهذا الحديث الشريف أوجب على الآباء مراقبة الأولاد مراقبة دقيقة ، وتأديبهم أحسن الأدب . فعلى الأبوين أن يقوما بهذه المراقبة داخل البيت وخارجه : يحببان إليه النافع من الأعمال ، والطيب من الأخلاق ، وينفرانه من الضار منهما بقدر مايسعه إدراكه . وروى البيهقى عن أبى رافع « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لايرزقه إلا طيبا » والصبى أمانة فى عنق والديه يسألان عنها فى عرصات القيامة ، وقلبه الطاهر جوهرة نقية خالية من كل نفش وصورة فهو قابل لكل ماينقش فيه ويغرس قبول العجينة فى يد الخباز ، ومستعد للتوجه به إلى أى جهة ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ، ويمجسانه » متفق عليه من حديث أبى هريرة . ومعناه أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيىءلقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ، ولم يفارقها إلى غيرها ، وإنما يعدل عنها من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد بحكم البيئة ـــ ثم تمثل بأولاد اليهود وغيرهم فى اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم انحرافا عن مقتضى الفطرة السليمة ـــ فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وكان سعيدا فى

الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه أبواه ، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك فى نفسه ، وكان شقاء وبلاء على أمته ، وكان الوزر فى رقبة ولى أمره والقيم عليه .

وأول ماتجب العناية به من أمر الطفل أن يختار له حاضنة مهذبة ومرضعاً صالحة متدينة تأكل الحلال ، فإن اللبن الحاصل من الحرام لاخير فيه ولا بركة، فإذا نشأ منه الطفل انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى الخبائث ، وهذا سر تحريم لحوم السباع والوحوش من الطير والبهائم ، فإذا فصل من الرضاع لوحظ فى تربيته مايأتى :

١ ــ من واجب الوالدين أن يُعَوِّدَا الطفل على القليل من الغذاء ويحولا بينه وبين تناول كل مايميل إليه من ألوان الأطعمة ، فإن أول مايغلب على الصبى شهوة الطعام والشره فى الأكل وذا مضرٌّ به .

٢ ــ أن يمنعاه من النوم نهاراً ، فإنه يورث الكسل .

٣ ــ يمنعانه من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بطريق الحيلة ، بل يُعَلَّم أن الرفعة فى الإعطاء ، والدناءة فى الأخذ إن كان الأخذ من أولاد الأغنياء ، وإلا فهو لؤم وخسة . كما يمنع من الحلف رأساً صادقاً أو كاذباً حتى لايعتاد ذلك من الصغر .

٤ ــ يعلمانه آداب المجالس وإذا ظهر منه فعل حميد أو خلق جميل كالصدق والعفة والشجاعة مدح به وجوزى عليه بما يشجعه على المثابرة عليه ، وإن ظهر منه فعل ذميم أو خلق قبيح كالكذب والخيانة والجبن ، ذمه أمامه ، وأنبه عليه .

٥ ــ عندما يبلغ حد التمييز يحولان بينه وبين مخالطة الأشرار وفاسدى الأخلاق وغشيان الملاهى وأماكن الخلاعة والفسوق ، ويحببان إليه الاشتغال بما يفيده وينفعه فى دينه ودنياه . من صناعة أو تجارة أو زراعة ، مع تعويده على القيام بالفرائض الدينية بعد تعليمه واجباتها وآدابها(١) .

٦ ــ أن يترك له فرصة للرياضة حتى لايسأم العمل وأن يتغاضى عما فرط منه من الهنات الهينة التى لاتؤدى إلى فساد نفسه وخلقه إذا فعلها خفية وكان يخجل من إظهارها ، وإلا وجب تأنيبه عليها كى لاينشأ على الوقاحة ، وعدم المبالاة بارتكاب المخازى .

٧ ــ أن يضرب له الأمثال بالأولاد والعاملين المجدين ، والشجعان المهذبين وما وصلوا إليه من رقى وسعادة بفضل جدهم واستقامتهم ، وبالأولاد المهملين الكسالى ، والجبناء الأشرار ، مبيناً له سبب تأخرهم وشقائهم .

٨ ــ اجتناب الضرب والتهديد ، فقد ينتجان عكس المطلوب . ويتركان أثراً سيئاً فى نفس الولد ، فضلا عما يحدثان فيها من الجبن والكذب ، والخيالات الفاسدة . نعم إذا رأى المربى أنه لايفيد فى الغلام إلا الزجر ولا يصلحه إلا التخويف فلا بأس به لكن بقدر الحاجة من غير إفراط . وعلى الجملة فالمربى كالطبيب الحاذق الذى يعرف العلة ويصف لها ما يناسبها من الدواء . ولكن لابد من

---

(١) فقد روى الترمذى من حديث عمر وابن شعيب أن النبى ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

المراقبة الفعلية والملازمة العملية ؛ التى يفيدها الحديث الآتى على أى حال .

٩ ــ مما يجب التنبه له قيام الأبوين بتنفيذ الخطة التى رسماها للولد عملياً بملازمتهم له ملازمة تامة فى تنفيذها كما يشير إليه هذا الحديث الشريف : « الزموا أولادكم » . فلا يكفى مجرد الترغيب والترهيب بالقول وضرب الأمثال .

١٠ ــ إذا بلغ الصبى حد الشهوة اشتدت المراقبة حرصاً على سلامة دينه وصحته وعقله ، ومحافظة على أخلاقه وحياته ومستقبله . وأهم ماتعالج به هذه الحالة هو شغله بعمل من أعمال الحياة ، وصرفه عن كل مايثير الشهوة ويبعثها من مرقدها ، فإذا درج على ذلك وتعود سهل عليه قطع هذه المرحلة آمنا على نفسه ودينه وصحته ومستقبله ، والقول الجامع لكل ماذكرنا قوله جل ثناؤه : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ . أى ناراً شديدة تتوقد بالناس وبالحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب .

نعم احفظوا أنفسكم منها بأعمالكم الطيبة ، واحفظوا أزواجكم وأولادكم من شرها بوصيتكم وإرشادكم ، وإذا كان الأب يصون ولده من نار الدنيا ؛ فلأن يصونه عن نار الآخرة أحق وأولى بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق وجلائل الأعمال ، ويحفظه من القرناء السوء .

ومن حق الولد على أبيه أن يحسن أدبه على ماوصفنا ، ويحسن

اسمه ويختار أمه ، فقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر الابن وأنبه على عقوقه لأبيه ، فقال هذا الإبن : ياأمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال بلى ، قال : فما هى ياأمير المؤمنين ؟ قال : أن ينتقى أمه ، ويحسِّن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) . فقال ياأمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئاً من ذلك أما أمى فإنها زنجية كانت لمجوسى ، وقد سمانى جُعَلا (جعرانا) ، ولم يعلمنى من الكتاب حرفاً واحداً . فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له أجئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت إليه قبل أن يسىء إليك؟ (أى الشر بالشر والبادى أظلم).

وتلك عاقبة من فرط فى الحقوق والواجبات ، ورحم الله والداً أعان ولده على بره بتوفيته ماله عليه من الحقوق ولم يحمله على العقوق بسوء صنيعه ، لأن الوالد إذا كان عادياً جافياً جر الولد إلى العقوق . وقد قيل : ولدك ريحانتك تشمها سبعاً ، وخادمك سبعاً ، ثم هو عدوك أو شريكك وقريب من هذا قول بعض الحكماء : « لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه » . وقال يزيد بن معاوية رضى الله عنه : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال له : ياأبا بحر ماتقول فى الولد ؟ قال : ياأمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك . فقال له معاوية : لله أنت ياأحنف ! لقد دخلت على وأنا

مملوء غضباً وغيظاً على يزيد فلما خرج الأحنف ، رضى عن يزيد ، وبعث إليه بمائتى ألف درهم ، ومئتى ثوب . فأرسل إلى الأحنف نصف ذلك ، مائة ألف درهم ومائة ثوب .

هذا . والسعيد من كان أنسه بالله لابالولد : لما خرج موسى فاراً من فرعون وقومه انتهى إلى مدين على الحال التى ذكر الله تعالى ، وهو وحيد غريب خائف جائع ، قال يارب : وحيد مريض غريب ! فقيل له : ياموسى الوحيد من ليس له مثلى أنيس ، والمريض من ليس له مثلى طبيب ، والغريب من ليس بينى وبينه معاملة ، نسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بهدايته ، وأن يستعمل جوارحنا فيما يرضيه ، إن ربى لسميع الدعاء وقريب مجيب .

(٢) الاستقامة وأثرها فى صلاح الفرد والمجتمع

الاستقامة جميلة المبنى ، جليلة المعنى ، قليلة العبارة ، كثيرة الإشارة ، من تحلى بها فهو السعيد الموفق ، ومن تخلى عنها فذلك الشقى المخذول المحروم . من عرف بها عظمت بين الناس حرمته ، وعلت فيهم درجته ، وحسنت سيرته ، ووجبت محبته ودامت بينهم مودته ، وتبوأ من قلوبهم منزلة يغبط عليها ، وربح من نفوسهم مكانة تصبو إليها نفوس ذوى الهمة والفضل فى كل أمة ، وكان مقبولا لدى الله والناس أجمعين ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ فالاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها ، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن خلا منها وتجرد من ثيابها ضل سعيه وخاب جده .

« ماهى الاستقامة » الاستقامة فى وضعها ضد الأعوجاج والاستواء فى جهة الانتصاب. يقال استقام العود أو العمود إذا اعتدل . أما فى العرف فلكل قوم فيها ذوق خاص كلٌ قال فيها بقدر استعداده وبحسب ماحباه الكريم منها من حظ على قدر جده وسعيه « وكل ميسر لما خلق له » .

قال بعض العارفين : الاستقامة توبة بلا إصرار ، وعمل بلا فتور ، وإخلاص بلا التفات ، ويقين بلا تردد ، وتفويض بلا تدبير . وهذا لعمر الحق مقام عزيز لايحكمه إلا من تصفى كالذهب الأبريز — وقال آخر : الاستقامة اتباع الحق والقيام بالعدل ، ولزوم المنهج القويم وهذا أيضاً خطب جسيم ، ومقام عظيم لايكون إلا لمن أشرق قلبه بالأنوار القدسية ، وطهرت نفسه من الأدران البشرية والظلمات الطبيعية وأيده الله تعالى بروح من عنده — وقليل ماهم — وقال ثالث : الاستقامة كمقام الشكر وهو صرف العبد فى كل ذرة ونفس جميع ماأنعم الله به عليه إلى ماخلق لأجله من عبادة مولاه بما يستطيع على الوجه الأقوم والطريق الأكمل — وهى على هذا المشرب عزيزة المنال لايطيقها إلا الأكابر الواصلون . والسابقون السابقون أولئك المقربون .

ومن أجل ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **فاستقم كما أمرت** ﴾ مانزل على رسول الله ﷺ فى جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية — ولذا قال صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه حين قالوا له : قد أسرع إليك الشيب

يارسول الله : « شيبتنى هود وأخواتها » وهى الواقعة والحاقة وسأل سائل وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والقارعة . روى من عدة طرق بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى . قال العلماء : ولعل ذلك لما فيهن من التخويف العظيم والوعيد الشديد باشتمالهن مع قصرهن على حكاية أحوال الآخرة وأهوالها وفظائعها وبيان أحوال الهالكين والمعذبين مع ماشتملت عليه هود من الأمر بالاستقامة كما أمره مولاه ، لأن قوله تعالى له : « كما أمرت » يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بمولاه عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع « كما أمرت » علم أنه مطالب باستقامة تليق بمعرفته بعظمة سيده وجلال مولاه .

والقول الجامع لهذه الأقوال كلها أن الاستقامة هى المتابعة للطريقة المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضية . لاسير مع الهوى والابتداع فإن السير مع الهوى يُعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة ولا يفرق بين الخير والشر بل ينكسه ويعكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة والضلالة هداية والهداية ضلالة ﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين** ﴾ .

مـدارج الاستقامـــــة

لها ثلاث مدارج أولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة . فالتقويم يكون من حيث تأديب النفس بإصلاح الجوارح وتعديل أعمالها بميزان الخوف والرجاء حتى تعتاد الخير وتستقيم على عمل البر

والطاعة . والإقامة تكون من جهة تهذيب النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة والآفات الذميمة ، كالحقد والحسد ، والكبر والعجب والنفاق والرياء . والاستقامة تكون من حيث تقريب الأسرار الإلهية والأنوار القدسية من القلوب ، وذلك بأن تكون أعمال العبد كلها موزونة بميزان الشرع الشريف من غير تكلف تقويم ولا إقامة . فالأول تمحيص والثانى تحقيق والثالث توفيق .

علامة المستقيم فى الناس

أن يكون مثل الجبل لايذيبه الحر ولا يضره البرد ، ولا يحركه الريح ، ولا يذهب به السيل العظيم . كذلك المستقيم فى الناس لايؤثر فيه مر المصائب ولا يحوله عن ثباته صدمة البلايا ، — وهذا الوصف الأول — والثانى إذا أساء إليه إنسان ببارد القول وقارص الشتم لايتشوش منه بل يتجاوز عنه ويعده عدما ويهمله ، بل يقابل الإساءة بالإحسان ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾ والثالث : هو نفسه الأمارة بالسوء لايحوله عن أوامر سيده وطاعة مولاه . والرابع : أن متاع الدنيا وسيل زخارفها لايشغله عن ربه ولا يلهيه عن طاعته . وصفو الكلام أن علامة المستقيم الصبر فى الشدائد ، والثبات عند البلايا ، والإعراض عن الجاهلين والصفح عمن أساء إليه ، وأن لايكون للهوى والشهوة سلطان على نفسه ، وأن زخارف الدنيا لاتأخذه من مولاه ولا تشغله عن سيده .

آثارها فى صلاح الفرد والمجتمع

إذا كان المستقيم راعياً لاشك صلحت رعيته . وإذا كان مربياً سعدت على يديه تلاميذه . وإذا كان صانعاً تقدمت صناعته . وإذا كان تاجراً ربحت تجارته . وإذا كان زارعا كثر خيره ، وبورك له فى عمل يديه . وإذا كان رب منزل استقام أهله وصلحت ذريته ، ولا ريب أنه متى استقامت الأفراد وصلح حالها استقامت الأسر ، ومتى استقامت الأسر استقامت الأمة بأجمعها . فإن من لابيت له لاأمة له وغنى عن البيان أن كل أمة يكون حظها من الرقى والسعادة على قدر حظ أفرادها من الاستقامة وسلوك المنهج القويم والسير على الصراط المستقيم .

حث الشارع على لزوم الاستقامة فى كل حال

من رحمة الله تعالى بعباده أن أرشدهم إلى مافيه الخير والسعادة وما يضمن لهم الفوز والفلاح فى الآخرة والأولى . وقد عرفت مافى الاستقامة والتحلى بهامن الآثار الحسنة والمزايا الجليلة ، وبقى لك أن تعرف شيئا مما جاء عن الشرع فى الترغيب فيها والحث على التجمل بها فى عموم الأحوال . من ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ فإنه جل شأنه قد وعدهم على توحيدهم له تعالى ومعرفتهم بجلاله واستقامتهم على الطريقة المرضية « وعدهم » الأمن من كل المخاوف والسلامة من

جميع المكاره فى الدنيا وضمن لهم النعيم الدائم فى الآخرة ، ذلك بأنهم جمعوا بين توحيد الله تعالى الذى هو على الحقيقة خلاصة العلم ورأس العلوم ورئيسها ، وبين الاستقامة على أمور الدين كلها من صحيح العقائد وخالص العبادات وحسن المعاملات ومكارم الأخلاق التى هى ثمرة الأعمال وأثرها وعليها مدار المعاملات وانتظامها . لهذا كانوا لاخوف عليهم من لحوق مكروه ولاهم يحزنون لفوات مطلوب وضياع محبوب . هذا مالهم فى الدنيا بمقتضى هذا الوعد الكريم من الغنى الرحيم . ومالهم فى الآخرة أغلى وأعلى ﴿ **أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ أى من صنوف البر وأنواع الحسنات العلمية والعملية والمآثر النافعة لهم ولأمتهم التى خلدت لهم حسن الذكرى وجميل الأحدوثة .

ومن ذلك ماجاء فى صحيح مسلم عن أبى عمر سفيان بن عبدالله رضى الله عنه . قال : قلت يارسول الله قل لى فى الإسلام قولا لاأسأل عنه أحداً غيرك . قال : ﴿ **قل آمنت بالله ثم استقم** ﴾ سأله رضى الله عنه أن يبين له فى دين الإسلام وشريعته قولا جامعاً لأموره يكفيه بحيث لايحتاج إلى أن يسأل عنه أحداً بعد رسول الله ﷺ لكونه واضحاً فى نفسه مبيناً لغيره ، فأجابه ﷺ بالإقرار بالتوحيد لله تعالى ومعرفته بربه أولا . ثم الاستقامة على طريقة الدين أوامره ونواهيه ، عقائده وعباداته ، معاملاته وآدابه . وهذا من بديع جوامع الكلم التى اختص بها ﷺ فإنه جمع للسائل فى هاتين الجملتين جميع معانى الإسلام لأنه إجمالا أمور أربعة : عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق كريمة .

فالعقائد مستفادة من الجملة الأولى وما عداها من الطاعات والمعاملات والأخلاق الحسنة فهو فى ضمن الجملة الثانية .. إذ الاستقامة امتثال كل مأمور واجتناب كل منهى .

طريق الوصـــول إلى الاستقامـة

إن الحصول على الاستقامة بوجه عام ليس من الأمور الصعبة على من يطلبها بل من السهل الهين والميسور القريب ، فإن المرء إذا عود نفسه أن يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله موقنا أن الله تعالى مطلع على جميع أعمال العباد ومعتقداً أنه تعالى جازى من أطاعه برضوانه وإحسانه ، وأنه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه — إذا عود نفسه ذلك سهل عليه أن يفعل مايأمره الله به ويجتنب مانهاه الله عنه . فإذا سولت له نفسه أن يأتى معصية من معاصى الله ردها وزجرها وذكرها بعزة الله تعالى وجلاله ، وأنه تعالى قادر على الانتقام منه ، وأنه مطلع عليه لاتخفى عليه خافية ﴿ **مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم** ﴾ متى لاحظ المرء ذلك وعود نفسه عليه لايُقدم على منكر ولا يقصر فى مطلوب منه ، فتصير الاستقامة له عادة ينتقل بها من وهدة الشقاء إلى ذروة العز والسعادة ، ويخرج بها من الظلمات إلى النور بإذنه سبحانه ، فمنه التوفيق ومنه الهداية .

(٣) حقوق الأبناء على الآباء

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وهو الخلاق العليم ، القادر العظيم . وأشهد ألا إله إلا الله المدبر الحكيم ، الحنان المنان الرحمن الرحيم . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله البشير النذير . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ورباه فأكمل تربيته ، وأثنى عليه بقوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وعلى آله وصحبه ومن عمل بسنته واهتدى بهديه (أما بعد) فقد قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون** ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما ماتفسيرها : اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله . ومُروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لكم ولهم من النار ، وقال سيدنا على رضى الله عنه : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم . أيها الناس : مَن شبَّ على شىء شاب عليه ، ومن أدب ولده صغيراً سُرَّ به كبيراً ، ومن لم يتدبر العواقب كان لاشك من النادمين . ينشأ الإنسان فى أول أمره وأيام طفولته ، على فطرة سليمة ونفس صافية ، تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر ، وتنطبع فيها الأخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الأخلاق السيئة . فإذا وجد فى هذا الوقت من يحكم تربيته ، ويحسن تأديبه ، ويسلك به سبيل الاستقامة ، وطريق الأدب والكمال . شَبَّ حسنَ الأخلاق ، طيب النفس ، متعلقاً بأهداف الفضيلة ، مستمسكا بحبل الهدى والرَّشَد . فيحيا حياة

طيبة ، يكون بها سعيداً فى نفسه ونافعاً فى أمته . أما إذا أهمل أمره فلم ينل حظه من التربية والتأديب ، ولم يأخذ نصيبه من الإرشاد والتهذيب ، نشأ سيء الأخلاق ، خبيث النفس ، فاقد الهمة ، ساقط المروءة ، محباً للشر ، كارهاً للخير ، كلاًّ على أهله وعشيرته . وكان شقاء على نفسه وبلاء على الناس أجمعين — وكان على ولى أمره كفل عظيم من تَبِعات شروره وجرائمه ، لإهماله فى تربيته وتأديبه ، وتهاونه فى إرشاده وتهذيبه ؛ فهو مسئول عن ذلك أمام الله تعالى . قال صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » . أيها الناس : إن تربية الأولاد فى صغرهم على مبادىء الدين الحنيف ، وتعويدهم على مكارم الأخلاق ، من أهم المسائل التى يجب على الآباء أن يتنبهوا لها ، والمصلحين أن يُعْنَوا بها ، وأن يعلموا أن عليها تدور حياة الأمة فى مستقبلها ، وعليها وحدها يتوقف رقيها فى مدارج الرفعة والكمال . فما الأمم إلا بالأخلاق ، وما الأخلاق إلا بالتربية الدينية الصحيحة ، وإنكم لو تأملتم فى جميع مانشكو منه اليوم من فساد الأخلاق ، وانتشار المنكرات وانتهاك الحرمات ، وزيغ فى العقائد ، وتهاون فى تنفيذ أوامر الدين ، وتهتك النساء فى الطرقات والأسواق — لو تأملتم لوجدتم أن السبب فى هذا كله هو ترك التربية الدينية ، وإهمال التأديب فى وقته . الولد قطعة من أبيه ، وأمانة فى عنقه ، فاتقوا الله ياقوم فى ثمرات قلوبكم ، وأفلاذ أكبادكم . ولا تلقوا بأيديكم فى نار جهنم التى وقودها الناس والحجارة . ياقوم اتقوا الله فى أبنائكم وذريتكم ، والأطفال الذين ألقيت إليكم مقاليد أمورهم ،

وصارت رعاية شئونهم في أيديكم . هذبوا أخلاقهم ، ثقفوا عقولهم . علموهم مايحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم . اغرسوا فى قلوبهم حب الدين وآدابه ، والعمل بأحكامه وشرائعه ، مُروهم بأداء الصلوات فى الأوقات ، وشهود الجمعة والجماعات ، وعودوهم الأخلاق الحسنة ، وجنبوهم الأخلاق السيئة ، وباعدوا بينهم وبين قرناء السوء وفاسدى الأخلاق . قال صلوات الله وسلامه عليه : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » أدبوهم بالرفق واللين ، وإياكم والعنف والشدة . ففى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرفق لايكون فى شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » . أيها الناس : إنكم إن فعلتم ذلك بأولادكم والأولاد اليتامى منكم . فقد قمتم بما وجب عليكم من الحق لهم ، فإن أحسنوا بعد ذلك أحسنوا لأنفسهم . وإن أساءوا أساءوا على أنفسهم : ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته . فكلكم راع ومسئول عن رعيته » — وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « الزموا أولادكم وأحسِنوا أدبهم » واشرح فى الخطبة الثانية قول الإمام على رضى الله عنه : ثلاثة هى أفضل مايورثه الآباء الأبناء : الثناء الحسن ، والأدب

الصالح ، والإخوان الثقات ، وحديث الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم .

(٤) حقوق الآباء على الأبناء

الحمد لله على حلمه وكرمه ، والشكر له تعالى على فضله وإنعامه . وأشهد ألا إله إلا الله أمر بالإحسان إلى الوالدين . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله حذر من العقوق وجعله من أكبر الكبائر ، وأعظم الآثام . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ، الرحماء البررة . الهداة الراشدين . (أما بعد) فقد قال الله تعالى : ﴿ **وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ . أى أمر أمراً مبرماً ، وحكم حكما لامرد له ، بأن تخصوه بالعبادة ، لأن العبادة غاية التعظيم ، فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام . وذلك هو الله وحده « وبالوالدين إحسانا » أى وبأن تُحسنوا إليهما إحساناً جميلا ، لما لهما من فضل وإحسان على الولد . (أيها المسلم) كما تزرع تحصد ، وكما تدين تدان ، فمن يزرع المعروف يحصد الشكر ، ومن يزرع الشر يحصد الندامة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ وهل عاقبة الإساءة إلا الخسران ؟ . أيها الإنسان : إن والديك أحق الناس بحسن معاشرتك وجميل برك وإحسانك ، لعظيم فضلهما عليك ، وكثرة إحسانهما إليك ، وشدة عنايتهما بك فى الصغر ، وحرصهما دائماً على راحتك وسعادتك فى جميع أطوار حياتك بسببهما خرجت من العدم إلى الوجود ، وبفضل

رعايتهما قوى غضدك ، واشتد ساعدك ، حتى صرت إنساناً كاملا ، ورجلا نافعاً ، قوياً على الجهاد فى معترك الحياة.جاء رجل إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ (أى صحبتى) قال : « أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال . أمك . قال : ثم من ؟ . قال . أبوك » . فمن أولى بالبر والطاعة والمعروف والإحسان ، من أمك الشفيقة البرة الرفيقة ؟ هى التى ذاقت أنواع الآلام مدة حملك . وقاست من الشدائد ماقاست وقت معالجة وضعك ، ثم أضعفت قوتها بإرضاعك حولين كاملين ، وأَضَعْتَ راحتها بحملك تارة على الصدر وأخرى على اليدين ، كم لوثتها بالأوساخ والأقذار ، وكم أزالتهما عنك بلا ملل منها ولا ضجر ــ وإذا مرضت باتت ليلها ساهرة جائعة ، حزينة باكية ، متألمة لألمك ، خائفة عليك مما ألم بك ، تسأل الله الكريم أن يمن عليها بشفائك ، ويكشف عنك مانزل بك ، ويسرها بتمام صحتك ، ودوام عافيتك ، ويمتعها بطول عمرك فى هناء وصفاء ــ فكيف بعد هذا تؤثر غيرها عليها فى البر ، وتقدم عليها سواها فى الخير ، والإحسان ؟ وهى التى تعبت كثيراً فى تربيتك ، وبإخلاص خدمتك زمناً طويلا ولم تطلب على الخدمة جزاء ولا أجراً ، سوى أن تقر عينها بك ، وينشرح صدرها لرؤيتك ، هذا شأن الأم ، وهذا حالها مع الولد .. ثم من أحق بالحنان والعطف ، والرحمة والإحسان ، من أبيك العطوف الرحيم ، الذى أحسن إليك فى ضعفك ، ومن نفائس أمواله أنفق عليك ورباك ، وأرشدك إلى ماينفعك فى دينك ودنياك.أيها الناس ــ إن عقوق الوالدين من أفحش

السيئات . وأكبر الذنوب التى يعجل الله عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة ، فهو نكران للجميل وكفران بالنعمة ؛ ومقابلة الإحسان بالإساءة . قال صلوات الله وسلامه عليه : « كل الذنوب يؤخر الله منها ماشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات » .. وإن البر بالوالدين لمن أوجب الحقوق وأقدس الواجبات وطاعتهما من أفضل الطاعات . لهذا قرن الله حقهما بحقه ، وشكرهما بشكره ، فقال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ، وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير** ﴾ .. فمن حقوقهما عليك أن تكرمهما ، وتحسن إليهما ، وتبذل نفسك ومالك فى سبيل مصلحتهما ، وتسعى جهدك فى كسب رضاهما ، وإن بلغا عندك الكبر فلاطفهما ، واحتمل أذاهما ، ولا تضجر من حوائجهما ، وأحسن إليهما فى حال الضعف والكبر ، كما أحسنا إليك فى حال العجز ، والصغر ، وكن بهما رءوفاً رحيما ، وعليهما عطوفاً حليما ، قال تعالى : ﴿ **إما يبلغن عندك الكبرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً** ﴾ واعلم أنك مهما فعلت فى بر الوالدين والإحسان إليهما ، فلست قائماً بواجبهما ولا موفياً حقوقهما ، فسل الله تعالى أن يكافئهما عنك بواسع الرحمة ، وجزيل الرضوان . قال تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ . فاتقوا الله أيها الأبناء واحرصوا على رضا الوالدين ، فإن رضا الوالدين سعادة فى العاجل والآجل ، واحذروا غضب الوالدين ، فإن غضب الوالدين شقاء فى الدنيا ووبال فى الآخرة . قال

رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « رضا الله فى رضا الوالد ، وسخط الله فى سخط الوالد » أخرجه الترمذى . والمراد بالوالد : الأب والأم . وروى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما بإسناد حسن قال : قال رسول الله ﷺ : « بروا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم . وعفوا تعف نساؤكم » .. وتقول فى الخطبة الثانية : روى أن ولداً اشتكى إلى رسول الله ﷺ أباه ، وأنه يأخذ ماله ، فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا . فسأله فقال : إنه كان ضعيفا وأنا قوى ، وفقيرا وأنا غنى ، فكنت لاأمنعه شيئا من مالى ، واليوم أنا ضعيف وهو قوى ، وأنا فقير وهو غنى ، ويبخل على بماله . فبكى رسول الله ﷺ وقال : « مامن حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ، ثم قال للولد : أنت ومالُك لأبيك » مرتين . وشكى إليه آخر سوء خلق أمه ، فقال : « لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أسهرت ليلها وأظمأت نهارها ؟ قال : لقد جازيتها . قال : مافعلت ؟ قال : حَجَجْتُ بها على عاتقى ــ قال : ماجزيتها ولو طلقةً » ..

(٥) إرشــــاد الصــــائم

الحمد لله الذى أذاق الطائعين حلاوة الطاعة ، وعلق قلوب الموفقين بالمساجد والجماعة . لا إله إلا الله جعل السعادة للصائمين القائمين الخاشعين ــ وأشهد ألا إله إلا الله وفق من شاء للتجارة معه

فكانوا هم الرابحين . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام الصائمين الصابرين المتواضعين . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه الذين صانوا صيامهم عن اللغو والكذب فكانوا هم الفائزين . أما بعد : فقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيَهم أجورهم ويزيدَهم من فضله إنه غفور شكور** ﴾ أيها الصائمون : إن التجار ينتظرون المواسم لعظيم الرواج فيها ، فإذا جاءت تلك المواسم شمروا عن ساعد الجد فى أعمال التجارة ، واستحضروا من الأصناف أجودها وأعلاها ، واختاروا من الألوان أجملها وأحسنها ، يسوقهم إلى هذا رجاء الربح ، وقد تحملهم شدة الحرص عليه إلى تضحية راحتهم ، ومفارقة أهليهم وأوطانهم ، ويركبون البحار ويتعرضون للأخطار والمخاوف ، ويقطعون وعر المفاوز ، وليس فيها إلا سبع مفترس ، أو قاطع طريق أو لصٌّ محتال ، يرتكبون ذلك غير مبالين بما ينالهم من مشقة وعناء ، بل يستسهلون فى سبيل الربح جميع الصعاب ، مواصلين فى ذلك الأيام والليالى . ولا عجب فى تحمل التجار هذه المشاق ، فإن من ذاق لذة الربح هانت لديه جميع الشدائد ، وسهلت عليه كل المتاعب . هذه ياقوم حال تجار الدنيا الذين يطلبون ربحاً غير مضمون فقد يكون ، وقد لايكون — وعلى فرض أنهم ربحوا الدنيا بأسرها فالفناء مآلهم ، والزوال مصير مايربحون ، وكما أن للدنيا تجاراً مُجدِّين منهمكين ، فإن للآخرة تجاراً أمناء صادقين ، أوفياء رحماء مخلصين ﴿ **رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً**

تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيَهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ فلا هُمْ بتجارة الدنيا يُفتَنون ، ولا هم عليها وحدها يُعَوِّلون ، وإنما عولوا على التجارة معه ولا خسارة ولا كساد . بل هى تجارة مأمونـة رابحـة رائجة لن تبور . أيها الناس : هل سمعتم أو رأيتم أن المشترى يعطى التاجر أكثر من الثمن ؟ لا ، ولكن الله الغنى الكريم البر الرحيم يأخذ عمل العبد ويعطيه على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة إلى مالا يحصه عداد **﴿ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾** .. ومن واسع كرمه أنه يكافىء من اتقاه فى التجارة معه ، وأحسن المعاملة مع خلقه ، بدار لايَفْنى نَعيمُهَا ، ولا يُنَغّصُ عيشُهَا ، بجنَّةٍ **﴿ عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ﴾** ومن رحمته أن حفظ أهل الاستقامة فى التجارة معه من خطر السقوط والخسارة . وكتب لهم الأمن من كل المخاوف ، والسلامة من جميع المكاره ، فى هذه الحياة وفى تلك الحياة **﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** فاتق الله أيها الصائم ولا تنهمك فى تجارة الدنيا وتُقصر فى تجارة الآخرة فما عندكم ينفد وما عند الله باق . اتق الله ولا تُضيّع العظيم الباقى بالحقير الفانى **﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾** . واعلم أيها الصائم أنك الآن فى موسم ربح عظيم ، لايتيسر لتجار الآخرة فى العام إلا مرة واحدة . موسم مَن اتّجَرَ فيه مع مولاه الكريم كان ربحُه أن

يُعتقَ رقبته من النار ، ويَغْفر له ماتقدم من ذنبه ـــ موسم من تقرب فيه من ربه بالبر والطاعات ، وواظب على الجمعة والجماعات ، فاز بعظيم الخير وعميم الرحمة . موسم من صدقت فيه نيته ، وطابت فيه سريرته ، وصان عن اللغو والفحش صيامه ، وكفّ عن الحرام عينيه وأذنيه ولسانه ، وتهذبت بالصيام نفسه فكان صابراً متواضعاً تقياً ، صادقاً أميناً وفياً ، على البؤساء عطوفا ، وبالضعفاء رحيما ، نال من الله جزيل الإحسان وجميل الرضوان ، وكان من المحبوبين لدى الله والملائكة والناس أجمعين . فشَمِّرْ فى هذا الموسم عن ساعد الجد واجعل صالح الأعمال بضاعتك ، والتواضع شعارك ، والحلم واللين شيمتك ، والرأفة والرحمة حليتك فالسعيدُ المرحوم من اتجر فيه بمرضاة المنان والشقى المحروم من خرج منه بالخيبة والخسران . ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ .. قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : « **كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى** » متفق عليه أىْ أن الصيام سر بين العبد وربه . وقال ﷺ : « من لم يَدَعْ قولَ الزور والعَملَ به فليسَ لله حاجة فى أن يَدَعْ طعامَه وشرابَه » . رواه البخارى ــ أى فلا ثواب له .

(٦) ســر مشروعيــة الصــوم

الحمد لله أعظم المِنَّةَ على عباده بما دفع عنهم من غوائل النفس والشيطان . جعل الصيام حصناً للمخلصين وجنة . وفتح

للمتواضعين فيه أبواب الجنة . وأشهد ألا إله إلا الله عرَّف الطائعين أن الشهوات وسيلةُ الشيطان إلى القلوب . وبقمعها تطمئن النفس وتقوى على قهر الشيطان الرجيم . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله قائد الخلق إلى الحق ، والهادى إلى طريق السعادة . اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ذوى البصائر الثاقبة ، والعقول الراجحة (أما بعد) فقد قال الله تعالى : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات** ﴾ أيها الناس : إن الله تعالى فرض الصيام فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، لما له من آثار حسنة ، ومنافع جمة ، وفوائد عظيمة فى الدنيا والآخرة . فهو يضبط النفس ويطفىء شهوتها ، فإنها إذا شبعت تمردت وسعت وراء شهواتها ، وإذا جاعت خضعت وامتنعت عما تهوى . قال صلوات الله وسلامه عليه : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءَة فلْيتزوج ، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج . ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ذلك أنه يكسر من شهوة الشباب حتى لاتطغى عليه الشهوة ، فيصير إلى العنت والفاحشة . فكان الصوم ذريعة إلى كف النفس عن المعاصى ، فسبحانه من إله عليم حكيم ، وإن الصيام وسيلة إلى إصلاح النفوس وتهذيبها : يربى فى الإنسان فضيلة الصدق والوفاء ، والإخلاص والأمانة ، والصبر عند الشدائد ، لأنها إذا انقادت للامتناع عن الحلال من الغذاء الذى لاغنى لها عنه طلباً لمرضاة الله تعالى ، وخوفا من أليم عذابه ، فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام الغنية عنه . فلا يكذب الصائم ولا يَغْدِر ، ولا ينقض عهداً ولا يُخْلِف وعداً ، ولا

يكون مرائياً ولا خائناً . فكان الصوم سبباً فى اتقاء المحارم ، وقوة العزيمة، والتحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل ، وإلى هذا كله أشار جل وعلا بقوله : ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أيها الصائم : الصوم يدعو العبد إلى شكر النعمة : إذ هو كف النفس عن الطعام والشراب ومباشرة النساء ، وكل هذا من جلائل نعم الله على خلقه . والامتناع عن هذه النعم من أول اليوم إلى آخره يُعرِّف الإنسان قدرها ، إذا لا يُعرف فضل النعمة إلا بعد فقدها . فَيبْعثُه ذلك على القيام بشكرها ، وشكر النعمة واجب . وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ وإن الصيام يَبعثُ فى الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء ، والعطف على البائسين . فإن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع فى بعض الأوقات ، تذكر من هو جائع فى جميع الأوقات . فيسارعُ إلى رحمته والإحسان إليه . قيل ليوسف عليه السلام ــ وكان كثير الجوع ــ لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : « إنى أخاف أن أشبع فأنسى الجائع » أيها الصائم : الصوم ينقى الجسم من الفضلات الرديئة ورطوبات الأمعاء ، ويشفى كثيرا من الأمراض ، وفيه من المزايا الصحية ماشهد به العدو قبل الصديق . فسبحانه من إله عليم حكيم ، وبخلقه رءوف رحيم . وعلى الجملة فإن إمساك الإنسان عن الطعام الشراب ، وكف نفسه عن شهواتها ، ومخالفته لعاداته فى ذلك يوماً كاملا مع صون الجوارح عن اللغو ومساخط الله ، فيه كسر لغائلة شهواته النفسية ، وتذليل جماحها عن ميلها إلى غاياتها البهيمية ، والقرب بها إلى أفقها الأعلى ، والأخذ بزمامها إلى

سموها ورفعتها ، والبعد بها عن طبيعتها الأرضية إلى عالم الملائكة .
وإن جسم الإنسان عُرضة للنمو والزيادة ، فكان فى حاجة إلى تخفيف شيء منه فى كل سنة حتى يقوى وينْشط ويسلم من الأذى ، ولا يكون ذلك إلا بمنع الغذاء عنه جزءاً من الزمن . والصومُ بإجماع الأطباء حِميَة منظمة ، والطبيب الحاذق يأمر المريض بالاحتماء لتصفى عروقه ، وتنفع فيه الأدوية . كذلك الصوم تصفى فيه عروق الإنسان من المعصية فتنفع فيها الرحمة .

(٧) سر مشروعية الصلاة والجماعة فيها

الحمد لله فرض الصلاة وجعلها أفضل الطاعات وأعظم القربات ، وأشهد ألا إله إلا الله العلى الكبير ، اللطيف الخبير ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله إمام الطائعين وأفضل الخاشعين ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والذين هم على صلواتهم يحافظون (أما بعد) فقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** ﴾ أيها الناس..الصلاةُ عمادُ الدين ، وأعظم أركان الإسلام ، ومدار السعادتين ، وأساس الفوز فى الدارين ﴿ **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** ﴾ فرضها الله على عباده المؤمنين . لتكون صلة بحضرته ، وتذكيراً بعظمته وجلاله ، وشكراً له على جلائل نَعمائِه . ومن رحمته بعباده جعَلَها فى خمسة أوقات تيسيراً عليهم ، وتذكرة لمن ينسى ، وتزكية لمن يخشى . تُقَوِّى ماضعف منهم ، وتزيد المستيقن يقينا ، والمؤمن إيمانا ، فسبحانه من

إله حكيم عليم ، رءوف رحيم . تعلم المرء بما فيها من الركوع والسجود ، والثناء والتعظيم ، كيف يتواضع لخلق الله ، وكيف يشكر من أحسن إليه ، ويكافىء مَن أسدى إليه معروفا ، تورثه من الرحمة والقناعة مايجعله رحيما بالضعفاء ، راضياً عن الله فى الشدة والرخاء وتغرس فى نفسه من هيبة الله وخشيته مايحول بينه وبين مايغضب مولاه من الذنوب والآثام ، وكيف لايقنع بما قسم الله ، أو يقسو على بائس ، أو يكسب إثما ، بعد ماقال فى كل ركعات الصلاة : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ؟ كيف يعبد دنياه أو يسأل غير مولاه بعد ماقال وهو بين يديه : إياك نعبد وإياك نستعين ؟ كيف يطلب منه أن يهديه الصراط المستقيم من يسعى فى الأرض فساداً أو يكيد لإخوانه المسلمين ؟ كيف يجترىء على ارتكاب مايغضب الله من امتلأ قلبه خوفا أن يكون من المغضوب عليهم المطرودين أو من الضالين الخاسرين ؟ (أيها الناس) : إن من أقام الصلاة فى وقتها واستنار بها قلبه وتأثرت نفسه بما فيها من جلال وكمال ، سارَعَ إلى الخيرات ، وصبر فى البأساء والضراء ، وتباعد عن كبائر السيئات وصغائر المحرمات ، وكان بَرا نقيا ، متواضعا تقيا ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون** ﴾ أيها الناس : عليكم بتأديتها فى جماعة فإنها تزيد عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، كل درجة منها لايعلم قدرها إلا علام الغيوب . قال صلوات الله وسلامه عليه : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجة » . فبالاجتماع فيها تذهب الضغائن وتزول الأحقاد ، وتتآلف القلوب وتتحد الكلمة ، وتظهر

عظمة ملك الملوك ورب الأرباب ، ويعم الفيض وتنزل الرحمة ـــ نادى منادى الصلاة ودعا داعى الفلاح ، فأجابه الفقير والغنى ، والكبير والصغير ، والأمير والحقير . فإذا اجتمعوا فى صعيد واحد وراء إمام واحد إلى قبلة واحدة ، يعبدون ربا واحدا خاشعين خاضعين ، خائفين من عذابه، طامعين فى رحمته . فلا جرم أن تنزل عليهم البركات ، وتحيط بهم الرحمات ﴿ **وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ فاتقوا الله أيها المسلمون وبادروا إلى الصلاة فى أوقاتها تكونوا من المفلحين ، وفرغوا قلوبكم من الشواغل فيها تصيروا من الفائزين . ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ فى الحديث القدسى عن رب العزة « **عبدى أخذك الشيطان منى لالعجزى ولكن لضعفك أنت** » وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « سألت رسول الله ﷺ أىُّ الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت ثم أىُّ ؟ قال : بر الوالديـن . قلت ثم أىُّ ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » . وتقول فى الثانية : أيها الناس : يقول الله جل وعلا : ﴿ **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ فهو تعالى غنىٌّ عن العبد وعن عمله ، لاتنفعه طاعة ولا تضره معصية . وإنما العبد هو المحتاج إليه تعالى فى جميع أحواله . أليس هو الفائز بالأجر إذا أحسن الصلاة ، أليس هو الظافر بالقبول إذا أخلص فيها لمولاه ـــ ماعذر تارك الصلاة إلا الكسل أو التكبر على طاعة الله ، والتشبه بالكافرين الهالكين ، والله تعالى يقول : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ تارك الصلاة يمحق الله البركة

من عمره ورزقه ، وماله وولده ، ويذهب نور وجهه ، ويُحرَمُ من نعمة التوفيق للخيرات ، ويجترىء على جميع المحرمات . هذا فى الدنيا ، ويوم القيامة لايجيب الله له سؤالا ، ولا يتقبل منه أعمالا ، وتغلق فى وجهه جميع أبواب الرحمة ، ويذوق أنواع الذل والهوان — اللهم إنا نعوذ بك من غضبك وعذابك ، ونسألك رضاك ورحمتك ، بمنك وكرمك ياأكرم الأكرمين .

(٨) المحافظة على الصلوات والخشوع فيها

الحمد لله الذى أنزل الشريعة هدى للناس ورحمة . وجعلها طريقاً واضحاً إلى سعادة الدارين . والشكر له تعالى هدانا للإسلام وفضلنا على جميع الأمم . وأشهد ألا إله إلا الله أعز الطائعين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أفضل المصلين وإمام الخاشعين . اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه والحافظين لحدود الله (أما بعد) فقد قال الله تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ . عباد الله : إن الصلاة عماد الدين ، وأعظم أركان الإسلام . من حافظ عليها فهو السعيد الرابح ومن أضاعها فذلك الخاسر الشقى . وإن الخشوع فيها مع الإخلاص لله آية الإيمان وسبيل الفلاح ، وأمان من وساوس الشيطان الرجيم ، فإن العبد إذا اعتاد الوقوف بين يدى مولاه فى اليوم والليلة خمس مرات خاشعاً متواضعاً فارغ القلب من الشواغل ، متدبراً مايتلوه من آيات الله . انغرست فى نفسه خشية مولاه فى جميع أعماله ، وحضرته هيبة خالقه فى عموم أحواله . فإذا سولت له نفسه أمراً ، أو زين له الشيطان سوءاً تبرأ

منهما قائلا : إنى أخاف الله رب العالمين . فكن فى صلاتك خاشعاً ، وفى مناجاة ربك صادقا . فلا تقل الله أكبر وأنت تظن أن هناك من يساويه أو يدانيه فى عظمته . لاتقل الحمد لله رب العالمين وأنت بالحلال لاتقنع . ومن الحرام لاتشبع . لاتقل الرحمن الرحيم وأنت شديد البطش قاسى القلب على الضعفاء والمساكين . لاتقل مالك يوم الدين وأنت لاتذكر الوقوف بين يدى أحكم الحاكمين . لاتقل إياك نعبد وأنت تعبد هواك ودنياك . لاتقل وإياك نستعين . وأنت تلتجىء فى الشدائد إلى المخلوق وتترك باب مولاك . لاتقل إهدنا الصراط المستقيم وأنت منحرف عن طريق المهتدين . لاتقل صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وأنت سىء الأخلاق حقود حسود ، نمَّامٌ مغتاب ، غشاش كذاب واقع فيما يغضب الله والملائكة والناس أجمعين . لاتقل ولا الضالين . وأنت فاسد الاعتقاد شر فى الأعمال ، تدبر الأذى وتكيد لإخوانك المسلمين ــ ياهذا ــ إن من حافظ على الصلواب فى الأوقات ، وواظب على الجمعة والجماعات وأداها بخشوع وخضوع ، استنار قلبه ، وتهذبت نفسه ، وحسنت مع الله والناس معاملته ، وحيل بينه وبين المحرمات ، وكان على البؤساء عطوفا ، وبالضعفاء رحيما ، وأفلح فى دينه ودنياه ، وكان من المحبوبين لدى الله والناس أجمعين . النفس أمارة بالسوء ، والشيطان أيضا يأمر بالفحشاء والمنكر ، ليُضل المرء عن سواء السبيل ، ويقذف به فى مهاوى الشقاء والخسران . والسيف القاطع ، والدواء النافع ، الذى جعله الله تعالى لوقاية الإنسان من شر النفس والشيطان إنما هو الصلاة ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ،

ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ماتصنعون ﴾ . أيها الناس..الله تعالى يقول : ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ أولئك هم الذين خلت صلاتهم من التذلل والخضوع ، فتراهم يُسرعون فى أدائها وهم عنها غافلون . لايعرفون لها معنى ، ولا يعقلون لها سراً ، ولم تشعر قلوبهم بحلاوة الطاعة ، ولذة المناجاة . نعم لهم الويل . ملكتهم الوساوس ، وامتلأت قلوبهم بشواغل الدنيا ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** ﴾ . ومن الناس من عميت بصائرهم وتحجرت ضمائرهم ، فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وأهملوا أوامر الله ، وغفَلوا عن واجب شكره ، ولم يخافوا سطوة جبروته ، ولا سوء الحساب ، ولا نار العذاب . ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ فيأيها المسلمون اتقوا الله ربكم وحافظوا على صلواتكم ، وقوموا لله خاضعين خاشعين لتفوزوا برضوان الله وتكونوا من المفلحين الذين شملهم الله بإحسانه ، وغمرهم فى بحار رحمته . ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ فى الحديث القدسى عن رب العزة : « **ماأقل حياء من يطمع فى جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى** » . وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتنى فترفع ، وإذا أساء الرجل الصلاة فلم يُتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتنى . فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » .

(٩) المحافظة على الصلاة وآثارها فى الفرد والمجتمع

الحمد لله الذى جعل رضاه ورحمته لمن أطاعه ، وغضبه وعذابه لمن عصاه ، وهو الغنى القوى الكبير المتعال . وأشهد ألا إله إلا الله فرض على المؤمنين خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وجعلها فى خمسة أوقات رأفة بعباده ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أفضل العابدين ، وإمام المخلصين . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الراكعين الساجدين . الخاشعين الصادقين (أما بعد) فقد قال الله تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ أيها الناس : أمرنا الله تعالى بالمحافظة على الصلوات فى أوقاتها ، والقيام فيها خاشعين لجلاله ، خاضعين لعظمته ، وجعلها طريق الفوز والسعادة فى العاجل والآجل بقوله : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ ذلك أن الصلاة الكاملة تنير القلب ، وتهذب النفس ، وتعلم العبد آداب العبودية ، وواجبات الربوبية ، بما تَغرِسه فى قلبه من جلال الله وعظمته ، والتحلى بمكارم الأخلاق : كالصدق والأمانة ، والقناعة والوفاء والحلم والتواضع ، والعدل والإحسان ، وتوجهه إلى مولاه : فتكثر له مراقبته وخشيته ، حتى تعلو بذلك همته ، وتزكو نفسه ، فيبتعد عن الكذب والخيانة ، والشره والغدر ، والغضب والكبر ، يترفع عن البغى والعدوان ، ودناءة الفسوق والعصيان ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ماتصنعون** ﴾ بالمحافظة على الصلاة تقوى النفس على احتمال الشدائد ، وتثبت عند نزول البلايا والمحن ،

ويسهل عليها البذل حالة الغنى واليسار ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ أيها الناس.. ماذا كان من آثار ترك الصلاة فى المدن والقرى ؟ كان من آثاره فى المدن انتشار الفواحش والمنكرات : ترى حانات الخمر والميسر ، وبيوت الدعارة والبغاء ، ودور الملاهى والخلاعة ، مملوءة بخاصة الناس وعامتهم ، حتى فى ليالى رمضان ، شهر الطاعة والقرآن . عبد الناسُ المال فلا يبالون من حلال أكلوا ، أم من حرام أكلوا ، وشغلوا بنعم الله عن الله . وهو تعالى يقول : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾ قل فيهم الصدق والوفاء ، والإخلاص والأمانة ، فقلت الثقة من أفراد الأمة بعضهم ببعض ، فلا يكاد المسلم يثق إلا بالأجنبى ، وانحلت الروابط الدينية ، والوحدة الإسلامية ، فزال منهم التضامن فى المصالح الاجتماعية ، والتعاون على المشروعات الاقتصادية التى تحفظ وحدة الأمة واستقلالها ، وتضمن رقيها وعزتها ﴿ **وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ . وأما آثار ترك الصلاة فى القرى فاستباحة أهلها لإتلاف المزروعات والآلات ، وسرقة الحاصلات والبهائم ، ونقل الحدود ، وإساءة الجوار ، بل انتهاك الأعراض وإزهاق الأرواح . حتى كثرت بينهم القضايا والمنازعات . ولو أن المسلمين حافظوا على الصلوات فى الأوقات ، وأقاموها على وجهها كما أمر الله ، لانتهوا عن الفحشاء والمنكر ، واستراحوا من هذا البلاء والشقاء ، وعاشوا آمنين مطمئنين ﴿ **ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً**

لهم وأشد تثبيتا ، وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما ، ولهديناهم صراطاً مستقيما ﴾ المحافظ على الصلاة لايكون زانياً ولا مرابياً ، ولا حقوداً ولا حسوداً ، ولا مماطلا فى حقوق الناس . المحافظ على الصلاة لايُضيع حقوق أهله وعياله ، وأقاربه وجيرانه ، ولا يقهرُ اليتيم ، ولا يقسو على المسكين ولا يمنع الماعون عن إخوانه ، الذى يقيم الصلاة على وجهها يحب الحق وأهله ، ويكره الباطل وحزبه . ولا يرضى بالذلة والهوان لنفسه وأمته ، ولا يركن لأهل البغى والعدوان ، ولا يطغى عند النعمة ، ولا ييأس عند النقمة ، ولا تعبث به الخرافات والأوهام ، فهذا هو الإنسان الكامل الذى يؤمن شره ، ويرجى فى الناس خيره . فاتقوا الله أيها المسلمون واشكروا نعمه عليكم بالطاعة والاستقامة . حافظوا على الصلاة فى الأوقات تحفظوا من بلايا الدنيا ، وتأمنوا من فزع الآخرة . وأحسنوا أداءها يُحسن الله حالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم . قال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة طرف النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ . فى الحديث القدسى عن رب العزة يقول الله تبارك وتعالى : « **يابن آدم خلقتك بيدى ، ورببتك بنعمتى ، وأنت تخالفنى وتعصينى ، وإن رجعت إلى تبت عليك ، فمن أين تجد لك ربا مِثلى ، وأنا الغفور الرحيم** » ؟ وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم . وتقول فى الثانية : أيها الناس . الصلاة رياضة بدنية ، وصلة بين العبد وربه ، وإقامتها من أكبر علامات الإيمان ، وأعظم شعائر الدين ، وأجلى مظاهر العبودية لله ، وأظهر آيات

الشكر له على نعمه التى لاتحصى . فإضاعتها انقطاعٌ عن الله تعالى وحرمان من رحمته ، وإهمالها من ضعف الإيمان وهدم الدين ، وتكبر على الله وكفران بنعمته . وقد قال تعالى : ﴿ **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ الصلاة الصحيحة هى الدواء الشافى من أمراض القلوب ، وفساد النفوس ، والنور المزيل لظلمات الذنوب والآثام . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسلُ منه كل يوم خمس مرات هلٍ يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لايبقى من درنه شيء . قال فذلك مَثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » . متفق عليه — اللهم وفقنا لما تحب وترضى ياأرحم الراحمين .

* * *

مراجـــع الكتـــاب

- القرآن الكريم .
- سيد عويس : حديث عن الثقافة .
- عبدالله شحاته : فقه العبادات .
- عبد المنعم النمر : إلى الشباب فى الدين والحياة .
- على عبد الواحد وافى وآخرون : أصول التربية ونظام التعليم .
- على محفوظ : هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة .
- محمد أبو العلا محمد : علم النفس .
- محمد جمال الدين محفوظ : المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية .
- وزارة الأوقاف : مكتبة الإمام ٢ .
- وزارة الأوقاف : النشرة الأسبوعية رقم ٤٠ ، ٦٧ مكرر .
- وزراة التربية والتعليم : دراسة لبعض مشكلات الطلاب فى المدارس الثانوية .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللواء أركان حرب محمد جمال الدين على محفوظ

- ولد فى أغسطس ١٩٢٢ ووالده عالم من علماء الأزهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ الوعظ والإرشاد .
- مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاها فى وظائف القيادة والتدريس والأركان والإدارة العليا والتوجيه المعنوى والإعلام والحرب النفسية وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ .
- حاصل على ماجستير العلوم العسكرية وعلى درجة زميل لكلية الحرب العليا وعلى ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .
- حصل على دورات تخصصية فى كثير من المعاهد العسكرية الأمريكية والإنجليزية والروسية .
- عين مديراً للتوجيه المعنوى للقوات المسلحة فى مصر بعد حرب يونيو ١٩٦٧ فاتخذ منهج الإسلام لبناء الروح المعنوية وإرادة القتال :

(١) فجعل « الجهاد فى سبيل الله » ... عقيدة للقتال للقوات المسلحة .

(٢) وجعل « النصر أو الشهادة » ... شعارا للقوات المسلحة .

(٣) وجعل « الله أكبر » ... صيحة القتال للقوات المسلحة .

(٤) وجعل لعلماء الدين والوعاظ دورا فعالا فى معايشة القوات المسلحة وتحريض رجالها على القتال تحت لواء الجهاد ، وربط أعمالهم فى السلم والحرب بالدين ، وقد كان هذا المنهج من أهم أسباب النصر فى حرب رمضان ١٣٩٣ (أكتوبر ١٩٧٣) .

- له أكثر من عشرين كتابا فى العلوم العسكرية والقيادة وأساليب التعليم والإدارة العلمية وعلم النفس العسكرى والتوجيه المعنوى والحرب النفسية ومازال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة فى المعاهد والكليات العسكرية .
- مفكر إسلامى متخصص فى التاريخ العسكرى الإسلامى والعسكرية الإسلامية ، وله فيها عدة كتب وأبحاث ومقالات فى الصحف والمجلات ، كما قدم العديد من الأحاديث والندوات الإذاعية والتليفزيونية فى مصر والدول العربية .
- يحمل لواء الدعوة إلى إحياء أمجاد العسكرية الإسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الإسلامية ، وقد شارك بأبحاثه فى المؤتمرات الدولية مثل مؤتمر « الدفاع والعالم الإسلامى » فى لندن عام ١٣٩٩ هـ ، والمؤتمر الثالث للسنة والسيرة النبوية بالدوحة فى المحرم عام ١٤٠٠ هـ ، والمؤتمر الرابع للسنة والسيرة الذى عقد بالقاهرة فى صفر ١٤٠٦ هـ .

- وهو عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو شرف بالمعهد الإسلامى لشئون الدفاع والتكنولوجيا بلندن .
- من أحدث مؤلفاته : المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ــ العسكرية الإسلامية ونظريات العصر ــ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية .

العنوان الدائم : ٣٠ شارع الشهيد عبد المنعم إسماعيل ــ ألماظة ــ مصر الجديدة ــ جمهورية مصر العربية .

تليفــــون : ٦٦٣٨٨٠

* * *

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٣٣٩ / ١٩٨٦

دار النصر للطباعة الإسلامية

٢ نشاطي - شبرا مصر

هذا الكتاب

- أول كتاب من نوعه يتناول مرحلتى الطفولة والمراهقة باعتبارهما الأوان الحقيقى والمناسب لعملية التربية التى تستهدف بناء شخصية الإنسان فى أخطر مراحل نموه ، ويعرض منهج الإسلام فى تربية الطفل والمراهق فى البيت والمدرسة والمجتمع ، مع ربطه بأصول علم النفس وعلم الصحة النفسية ، كما يعرض بعض الأبحاث العلمية النافعة فى هذا المجال ، ويقدم خلاصة خبرته العملية فى تربية النشء وقيادة الشباب .

- وينبه الكتاب إلى خطر الحرب الحضارية التى يشنها أعداء الإسلام لقطع أبناء الأمة الإسلامية عن مقوماتهم الأساسية الأصيلة المطبوعة بطابع الدين والعلم والأخلاق .

- ويؤكد الكتاب أن منهج الإسلام الذى أقام فى صدر الإسلام مجتمعا قويا ، وقدم للعالم قادة فكر ، وأبطال جهاد ، ورواد حضارة ، هو أحكم منهج لبناء الإنسان القادر على قيادة نهضة الحضارية الشاملة ، فما الأمم إلا بالأخلاق ، وما الأخلاق بالتربية الدينية الصحيحة .

دار الاعتـ

٢٢٥ قرشا